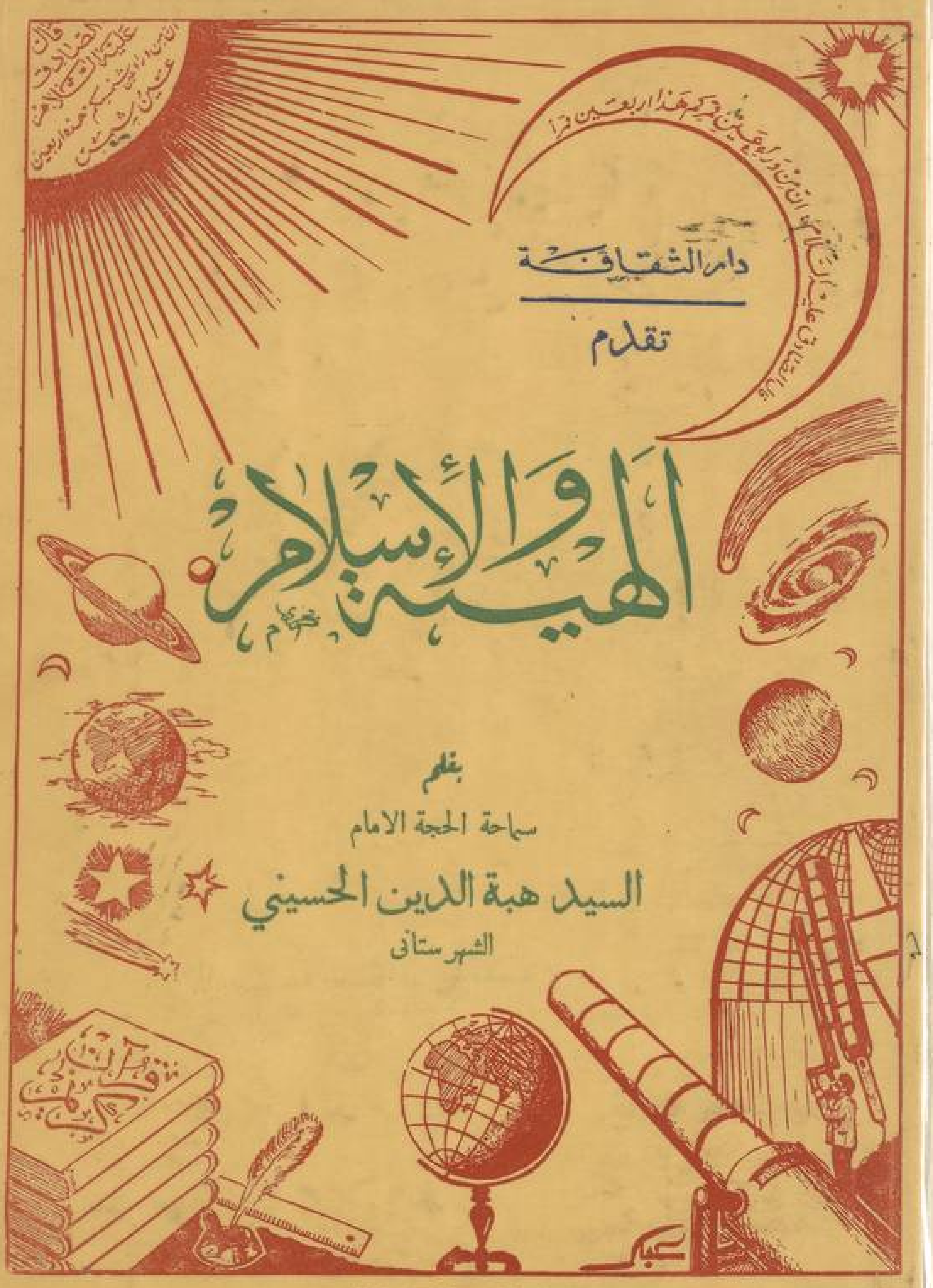


دار الثقافة

تقدم

الهيئة والإسلام

بقلم

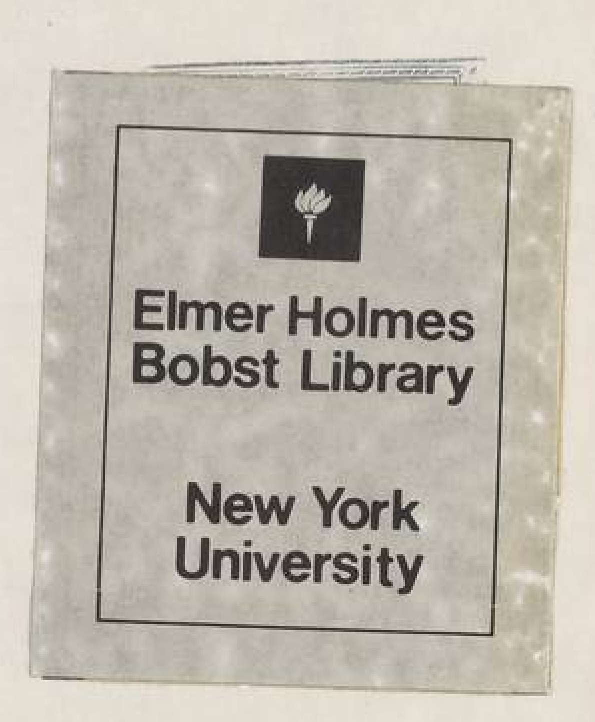
سماحة الحجة الامام

السيد هبة الدين الحسيني

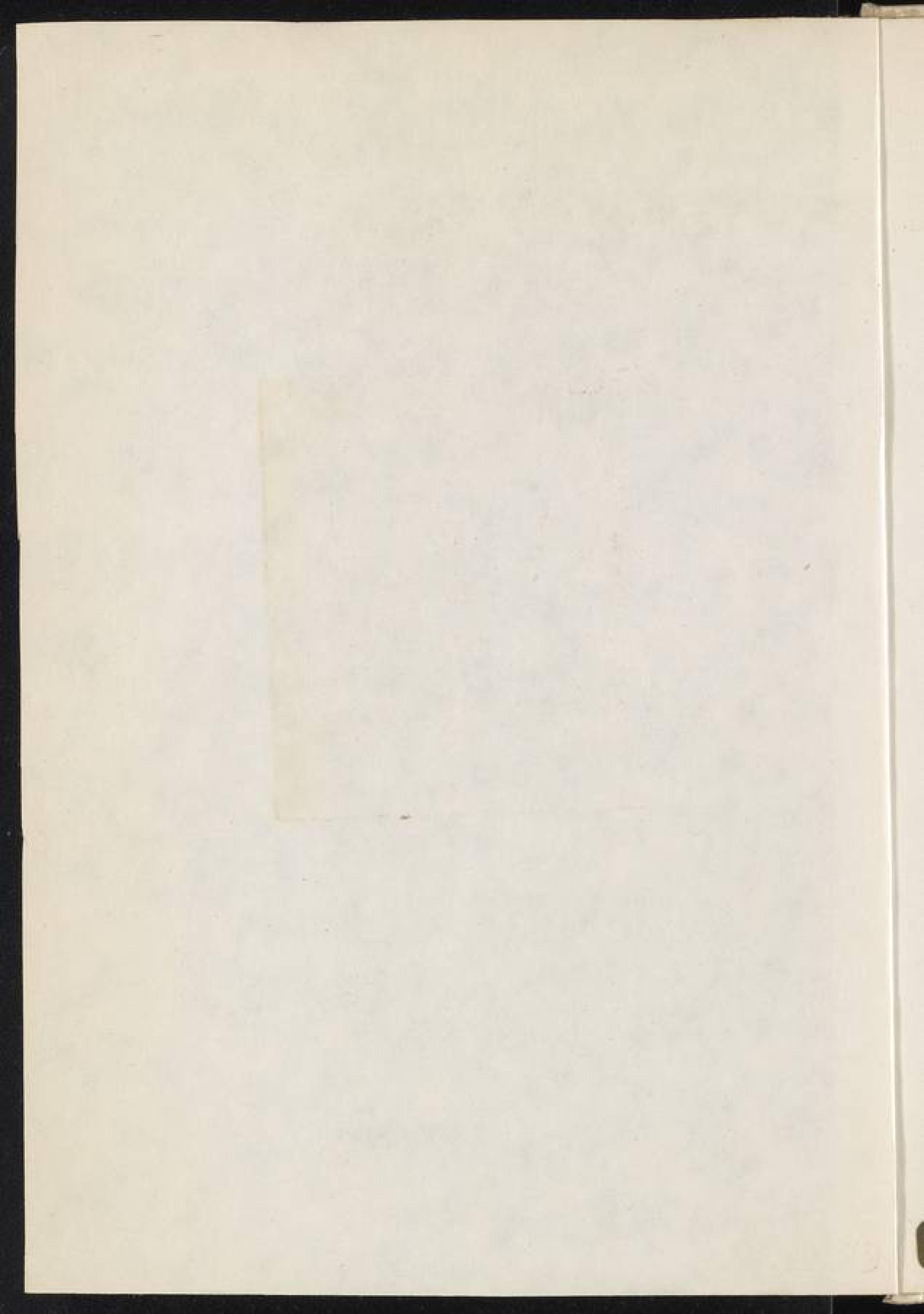
الشهرستاني

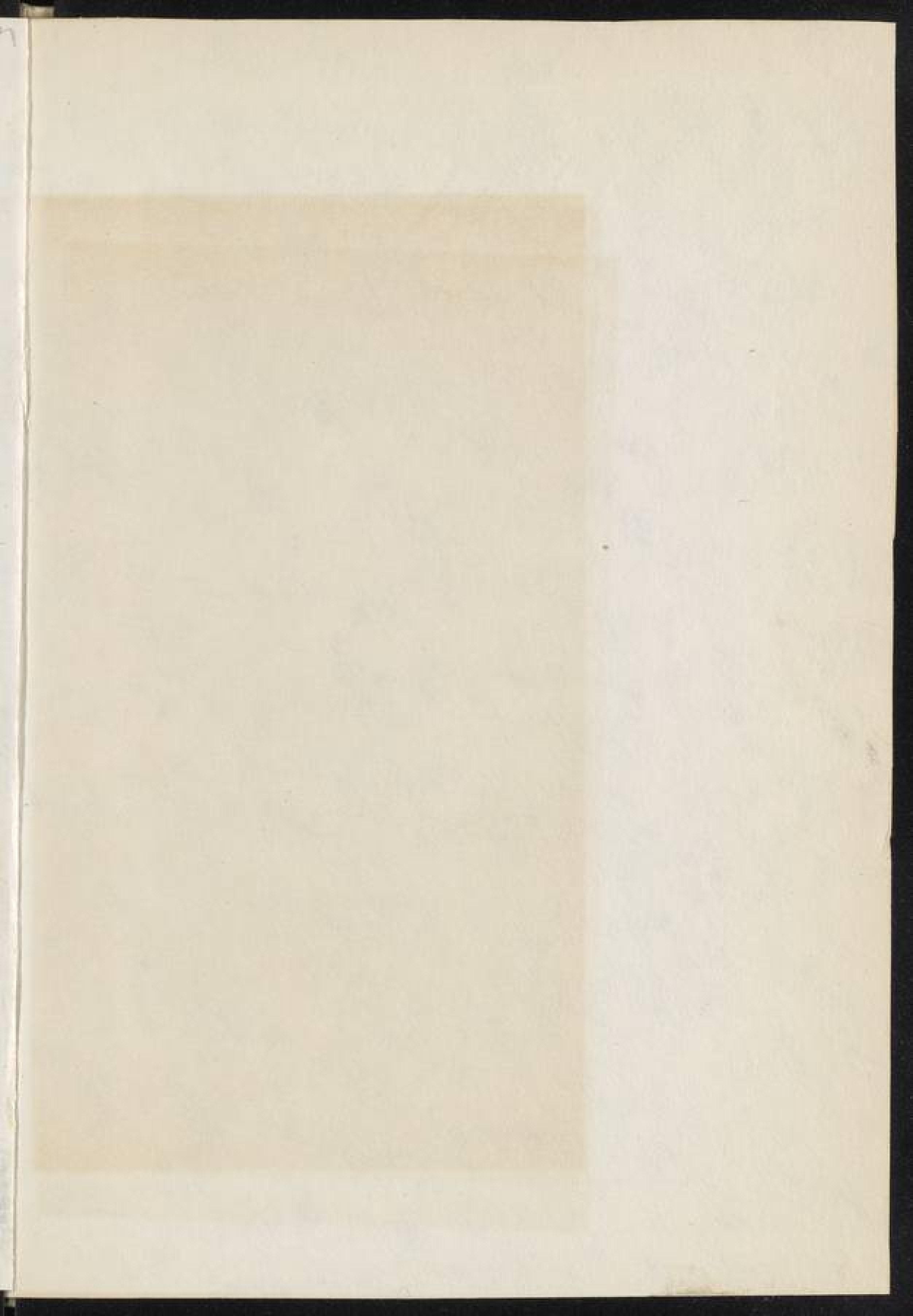
مطبعة الآداب - النجف - تلفون ٨٩٨


BOBST LIBRARY
3 1142 02809 1448


Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University









تأليف

سماحة الإمام الحجة

السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

تقديم وإشراف

السيد أحمد الحسيني

منشورات

دار الثقافة — مكتبة الثقافة الدينية



١٣٨١ هـ ١٩٦١

تقديم

بقلم

السيد احمد الحسيني

يرجع عهدى بهذا الكتاب القيم إلى سنين متمادية ، اذ كنت احضر حينذاك حلقة درس فى الآدب فى احد المساجد بالنجف الأشرف وأرى فى زاوية ذلك المسجد أوراقا مبعثرة كثيرة مطبوعة ومخطوطة . وفى ذات يوم لم يأت الاستاذ ساعة الدرس وبعد الانتظار واليأس حدانى حب الاستطلاع الى النظر فى تلك الأوراق فرحت افتش فيها واقلبها بترو ودقة حتى عثرت على اوراق مطبوعة من كتاب فارسي يبحث فى الهيئة الحديثة ويوفق بينها وبين ماورد من هذا العلم فى الآيات القرآنية واحاديث النبي الكريم واهل بيته المعصومين - عليهم الصلاة والسلام .

استلفتت نظرى هذه الأوراق وصرت لا أتمكن من اهمالها كما اهملت كثيراً من الأوراق التى اطلعت عليها هناك ، بل استغرقت فى القراءة ولم ألتفت الى المواعيد المسبوقة بينى وبين آخرين للبحث والدرس والتدريس ولم ينبهنى شىء الاذان الظهر واقامة الجماعة فى ذلك المسجد ، فاستصحبت معى تلك الأوراق الى البيت ولم اقم بعمل فى ذلك اليـــوم حتى استوعبت قراءتها عن آخرها ، وعند ذلك صرت افتش عن اسم الكتاب ومؤلفه ونسخة كاملة منه فساقنى القدر الى صديق عزيز قال لى : أن هذا الكتاب هو ترجمة كتاب (الهيئة والاسلام) ومؤلف الأصل العربى سماحة الحجة العلامة الأكبر السيد هبة الدين الحسينى الشهرستانى ، ويوجد لدى نسخة من

الأصل العربي يمكنني اعارتها اياك لمدة اسبوع واحد فقط .

* * *

هكذا تعرفت بهذا الكتاب وكنت أترقب الفرص للتعرف بمؤلفه حتى ساعدني التوفيق على المثول بين يديه ولثم أنامله الكريمة في مكتبته العامة العامرة (مكتبة الجوادين) في الكاظمية ، فوجدت سماحته أعظم بكثير مما كنت قد سمعته من معاريفه وما قرأت عنه في الكتب والمجلات والجرائد ، رأيته بحراً زاخراً يفيض علماً وثقافة ومعرفة . لمست منه شخصية علمية كبيرة عارفة بحاجيات العصر وما يتطلبه الزمن من رجال العلم والدين ، وكيف لا وهو ربيب مهد العلوم الدينية (جامعة النجف الأشرف) تلك المدينة المقدسة التي رفعت منار العلم منذ ألف سنة وضمت بين جوانحها باب مدينة علم الرسول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

سررت كثيراً بهذا التعارف المبارك وجعلت أزوره يومياً وأتروى من منهله العذب كلما سنحت لي الفرصة أيام إقامتي في الكاظمية المشرفة ولم أقطع رسائلي عنه أيام بقائي في النجف الأشرف ، كما أن السيد شملني بألطافه ولم يتوان عن الإجابة على رسائلي التي أرسلتها اليه بين حين وحين ، وأحتفظ الى الآن - بكل فخر واعتزاز - ما كتبه إلي من الكتب والرسائل .

وفي إحدى مقابلاتي طلبت من سماحته أن يأذن لي في طبع بعض كتبه وذكرت في جملة تلك الكتب (الهيئة والاسلام) وقلت له : اني قد شغفت كثيراً بهذا الكتاب وأود أن يعاد طبعه حتى يفتح لشبابنا باب جديد من العلم ويتهيأ لهم جو ثقافي اسلامي لكي يفهموا الاسلام كما هو عليه لا كما عرفه المهرجون وأعداء الدين .

فأجابني : ان هذا الكتاب قد طبع قبل نصف قرن وأنا تتبعت بعد

طبعه الكشفيات المستحدثة وما استجد فى الهيئة وكتبتها على هوامش نسخة مطبوعة بصورة غير منظمة حتى أحفظ مايتجدد فى مجموعة أستعين بها عندما يوفقنى الله تعالى لاعادة طبع الكتاب ، ولكن هذا عمل شاق لم أوفق للقيام بعبئه حتى الآن لكثرة أشغالى وانحراف صحتى وشيخوختى ، وانى لا أعلم انه هل يقوم شخص بهذا العمل الذى يحتاج الى مثابرة طويلة وتضحية وقت كثير حتى أعطيك نسخة معدة للطبع أم لا ؟

فقلت : انى مستعد لانجاز هذه المهمة اذا كنت عند ثقتكم .

٭ ٭ ٭

كان لهذا الكلام وقع حسن فى نفس سماحته فأمر خادمه أن يحضر الكتاب ، فلما رأيت النسخة فى يدى كدت أطير من الفرح ، إذ رأيت أمنية من أماني تتحقق بعد طول الانتظار ، قلبت النسخة وجعلت أتصفحها فاذا الهوامش مملوءة بالكتابة وربما الهامش لم يسع الموضوع المطلوب بحثه فزيد بين الكتاب ورقة بيضاء أو أوراق متعددة للكتابة فيها .

فى هذا الوقت شعرت ان المسؤولية التى ألقيت على عاتقى عظيمة جداً والقيام بها يحتاج الى عمل جدى متواصل ، لأن الكتاب قد شوه تماماً وأصبح شيئاً آخر فى الوضع والترتيب ، بالاضافة الى أن الطبعة الأولى ليست بصورة تناسب والطباعة الحديثة ، ولكنى استصغرت كل هذه المتاعب والصعوبات فشرعت فى العمل فيه .

٭ ٭ ٭

قسمنا ماكان مكتوباً على الهوامش الى ثلاثة أقسام :

١ ــ أشياء تنسجم مع موضوع الكتاب تماماً فأدرجناها فى الكتاب نفسه .

٢ - أشياء تناسب موضوع الكتاب ولكنها ليست من صلب الموضوع فجعلناها فى الهامش .

٣ - ما لم يناسب الموضوع أصلا بل هى مذكرات متفرقة كتبها المؤلف فى حينه فرأينا حذفها أنسب فحذفناها .

ولم ننس الاستفادة من الترجمة الفارسية للكتاب حيث كان المترجم والناشر قد استدركا بعض الكشفيات والآراء الحديثة على الكتاب فترجمناها الى العربية ووضعناها فى الهامش ، ورمزنا لها بحرف (ف) .

وحاولنا جهدنا أن يكون التنسيق علميا فكابدنا المتاعب والمشاق لتحقيق هذا الغرض واضطررنا الى كتابة الكتاب من أوله الى آخره باليد ومراجعته مراراً وتكراراً حتى لا يذهب عنا شىء من الكتاب أو مما كتبه سماحة المؤلف فيما بعد ، ونحن نعلم أن هناك أغلاطاً وهفوات وقعت من دون اختيارنا نرجو من الناظر المحترم الغض عنها فان الانسان لا يخلو من الغلط والاشتباه ، وسبحان من لا ينسى .

٭ ٭ ٭

وبعد :

فانى إذ أقدم هذا المجهود المتواضع الى أرباب العلم وعشاق الفضيلة أنتهز الفرصة فأقدم شكرى المتواصل الى سماحة المؤلف - أطال الله أيام حياته - إذ جعلنى موضع ثقته وهيأ لى العمل على أحسن وجه حينما قدم لى نسخته الثمينة الفريدة وزودنى بمعلومات قيمة ذللت أمامى المصاعب ، كما أننى أقدم ثنائى العاطر الى الأخ النبيل محمد الكتبي صاحب (مكتبة الثقافة الدينية) حيث ساعدنى على إكمال هذا المشروع العلمى الجليل وطبعه بهذه الحلة القشيبة.

النجف الأشرف ١٦ ج ١ ١٣٨١هـ

مقدمة المؤلف للطبعة الجديدة

لقد وفقت ـ والشكر لله ـ قبل خمسين عاماً لتأليف كتابي الموسوم بـ (الهيئة والاسلام) فى استنباط مسائل الهيئة الحاضرة وكشفيات الغربيين الفاخرة من ظواهر آى الذكر الحكيم وأحاديث رسوله الكريم وعترته الطاهرة ـ عليهم أفضل الصلاة والتسليم ـ ذلك الكتاب القيم الذى كان الأول من نوعه ، وتحملت الجهود الجبارة فى تأليف منقولاته من مختلف المصادر وتصنيف مسائله الفنية من كتب الأوائل والأواخر ، فما انتشر إلا واشتهر تلك الشهرة الواسعة وتواردت علينا تقاريظ كثيرة من القريب والغريب ، ونهض لترجمته إلى اللغات المختلفة لفيف من أهل العلم والفضل حتى ترجمه الى اللغة الهندية ثلة من الفضلاء وترجمه إلى الفارسية جماعة من العلماء والأدباء وذاع صيت اولئك المترجمين فى الآفاق كما ذاع صيت الأصل العربى وحسنت شهرته فى المجتمع الاسلامى وقرظه أصحاب مجلة المقتطف المصرية بقولهم : « إن هذا الكتاب لو يترجم إلى لغة غربية يوقع دوياً فى الأندية العالمية . . . »

أجل ، أثار هذا الكتاب فى كل وسط وبلد شعوراً حسناً نحو دين الاسلام ومذهب أهل البيت النبوى (ع) كما أثار شوقاً عظيماً فى النفوس نحو اقتباس العلوم الحديثة وكشفياتها الجديدة وروحاً قوية للتمدن الشرقى ، كما جدد شعوراً طيباً نحو التمسك بالدين والتوفيق بينه وبين افكار المتجددين حتى قال لى رئيس الشيعة وشيخ الشريعة سماحة المغفور له المولى فتح الله

الاصفهانى : « إن هذا الكتاب صار همزة وصل بين القديم والجديد . . » .
فنال هذا السفر النفيس ـ ولله الحمد ـ حسن اقبال من العامة عامة ومن
الخاصة خاصة .

وفى خلال هذه المدة وردتنى اقتراحات عدة فى تلخيص هذا الكتاب
واختصاره ، كما وردتنى اقتراحات فى توسيع نطاقه وتفصيل ابحاثه وتأييد
مكتشفاته ، فضاق صدرى وابتهلت إلى ربى فى توفيق الأسباب والوسائل
لاعادة طبعه وتقديمه إلى المتشوقين إلى العلم معتقداً بأن لله سبحانه عناية عامة
ورعاية تامة لدينه القويم وتقويته فى كل عصر بوسال القوة المناسبة له ، فلا
بد وأن يهيء لذلك نفوساً صالحة لنشر اريجه ومؤيدات تعزيزه وترويجه كما
ولا شك انه سيقيض رجالا لمساعدتى فى تعظيم شعائر الدين ومعاضدة كل من
ينوى خيراً وخدمة للمسلمين .

بينما احدث نفسى وامنيها واسليها اذ طلب منى الشاب النابه فضيلة
الاستاذ الأديب السيد احمد الحسينى اجازة تجديد طبع الكتاب ، فوجدت
ضالتى المنشودة فيه فشكرته و « من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق » .
وانى اذ لبيت طلبه واجزت له اعادة طبعه انتهز الفرصة لادخال
اضافات قيمة وكشفيات جديدة وتصاوير فنية مفيدة ، فوق ما هنالك من
تصحيح وتنقيح وتكملة وتوضيح ، مؤملا من وجه الله الكريم أن يتقبلها
منى ومنه بقبول حسن انه سميع الدعاء .

هبة الدين الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أظهر بكتاب الاسلام أسرار العوالم وهيئة الاجرام ، ووفقنا لتفصيل المجمل مما تبين من ظواهر الكتاب والسنة ومظاهر علوم الوحى والإلهام ، والصلاة والسلام على المبعوث بأعظم المعجزات محمد وآله الهداة ما دامت الأرضون والسماوات .

اما بعد :

فيقول خادم العلم والدين هبة الدين محمد على بن حسين الحسينى الشهير بالشهرستانى أحسن الله حاله ومآله وبلغه آماله : إن الدواعى التى دعتنى الى تأليف كتابى (الهيئة والاسلام) هى أغراض أربعة ألخصها فيما يلى :

١ — صيانة عقائد المشتغلين بالفنون الفلسفية لاسيما الهيئة العصرية ، سواء الأساتذة والتلامذة فى المدارس والمستمعون للمحاضرات والخطابات وقراء الصحف والمجلات والمتطلعون على المكتشفات الغربية . فى الناس أناس غرتهم الشبهات والنظريات ، فزعموا سلوك أولياء الشريعة مسلك الحكماء فى مباحث الفلك والطبيعة وفيهم من ظن أن الهيئة القديمة هى الموافقة للشريعة الأسلامية القويمة ، فتراهم اذا اعتقدوا بطلان تلك الفلسفة الغابرة ضعف إيمانهم بنواميس الشريعة الطاهرة . فقصدت من تصنيف هذا الكتاب إيضاح كون الاسلام بمعزل عن طرق الفلاسفة بل تهدم مقالاته معظم المبانى من الهيئة السالفة وتخالف مذاهب الأوائل أشد المخالفة .

فعلى هذا ينبغى أن يكون تصديق الناس للعلوم سبب قوة إيمانهم بالمعارف الاسلامية ومزيد يقينهم بصدق البقية من مقالات النبى الأمين والأئمة من آله الميامين - صلى الله عليهم أجمعين.

٢ - إتمام الحجة على من خالفنا فى المذهب والدين، وأنكر على المسلمين تصديقهم بما جاء به محمد خاتم المرسلين ﷺ - ذلك الرجل المتخرج من بادية العرب أمياً بين أميين لا يعرفون الكتب والكتابة ولا درسوا على علماء الشرق والغرب - فان ما شرحته فى هذا الكتاب من كلماته وكلمات صحابته وقرابته وحفاظ شرعه أخبار غيبية وأنباء سرية وخفية، لا تستند الى أدوات فنية دقيقة ولا على الآلات المستحدثة الرقيقة.

إذن، فهى موحات من عوالم الغيب بلا ريب، فالذى يخبر بصورة جدية عن حقائق خفية لا يقتضى وجودها عقل ولا يدركها حس هو ولى الله المحيط بأسرار هذه العوالم. فدراسة أبحاث هذا الكتاب خير وسيلة لإفحام المخالفين كما هو خير وسيلة لتنوير أفهام المنصفين وخير طريقة لتصديق أمناء الاسلام من أقصر الطرق وأقصد السبل.

ألا ترى أن الامام المرشد المخبر بوجود أقمار وشموس وراء المحسوس قبل وجود النظامات ووسائل الاكتشافات بألف سنة يذعن له القلب السليم والعقل المستقيم وبأنه هو الولى الربانى والمربى الروحانى المتصل بالعالم النورانى إذ لا يشك أحد فى أن الاصول العلمية الحديثة والمكتشفات الجديدة أمور لا يرشد اليها دليل عقلى قبل إحساسها ولا تحس إلا بواسطة الآلات الدقيقة والأدوات المستحدثة، ومعلوم أيضا حدوث اختراع هـــذه الوسائط والأدوات بأسرها وتأخر زمان ظهورها بعد الألف الهجرى نعرف مخترعيها وتواريخ صنعها واختراعها ولم يكن منها فى صدر الاسلام أثر ولا خبر،

بل كانت فى أيدى العرب بعض التجارب والخرافات عن السماوات والفلكيات والنجوم والطب (غير ماجاء الاسلام به كتابا وسنة) حتى ترجمت الى العربية بعد المائة الاولى كتب الفرس والهند وعلوم اليونان والاغريق .

فما شرحته فى هذا الكتاب خير برهان وآية لصحة الاسلام واتصال علومه بالوحى والالهام ، ولا يجدن المنصف المتحرى مثله فى سائر الشرائع والمذاهب ، وان كشف الدين عن الخفايا والمغيبات آية صدقه عند الجميع فى كل ملة ونحلة .

٣ — تنزيه ساحة النبى الأمى ﷺ ودفع ما يتوهمه بعض الزنادقة والمشككين الزاعمين فيه ﷺ انه كان ترجمانا لآراء غيره من فلاسفة البشر وقراء كتب السلف. ولسانا معربا عن أفكارهم ومن المعلوم أن الميزة بين الانبياء العظام وبين الفلاسفة هى من أهم أبحاث الأديان ولا أظن كفيلا لفصل هذه المعضلة أصح وأوضح من علم الغيب وبيان الشريعة لأسرار الاجتماع وخفايا الطبيعة ، فقصدت بهذا التأليف إثبات أن النبى ﷺ لم يوافق فلاسفة عصره ومن قبلهم حتى يظن فيه الاكتساب منهم والانتساب اليهم ، بل عارضهم فى كثير وناقضهم فى أكثر . بل أظهر - وهو أمى - رموزاً من عوالم الاجتماع وأسرار الطبيعة والفلك وكامنات الكائنات هى بالضد مما كان عليه حكماء عهده والأقدمون .

نعم ، كشف ﷺ - وهو ابن الصحراء - للمتمدنين من خفايا الأرض والسماء ما مصره اليوم فى الغرب والشرق فى المجالس والمدارس والمراصد والمختبرات بالعقول والأقلام والألسن . حتى ظن البعض فى مكتشفات الافرنج أنها مقتبسة من مصابيح ظواهر القرآن والحديث .

وان مؤلفات استاذ الحكماء جابر بن حيان الكوفى الصوفى المتوفى سنة

١٦١ هـ ـ التى طبعت فى باسل وسائر مدن الافرنج فى عصر (كوبر نيكوس) الالمانى وغيره ـ هى التى أوجدت نهضتهم العلمية ونبهت أساتذة الهيئة والطب الى أصولها الحديثة .

اللهم اننا خسرنا افتخار هاتيك الكشفيات من قبل ، أى حينما كثر المتفلسفون فى صدر الاسلام وأخذوا بتأويل الآيات والروايات وتحريف ظواهرها نحو نظرياتهم ، حيث استغربوا حقائقها من قصور فى معارفهم ، إذ كانت أدواتهم العلمية ناقصة يومئذ كأدواتهم الحربية فستروا بأغشية تأويلاتهم محاسن الحقيقة ، والتبس الأمر على القاصرين فزعموا أن ظواهر الشريعة ترجمة للآراء الفلسفية ـ وهذا الظن إثم ـ فكم لزعيم شرعنا ﷺ معنى لم يحم حوله فهم مدرك قبله ! .

٤ ـ هدفنا الأخير أن نجعل كتابنا هذا مفسراً جديداً لمأثورات الدين ويمهد طريقة جديدة لمسلك إصلاحى يحل مشكلات الكتاب والسنة ويتكفل تفسير الآيات المشكلة وتوضيح الروايات المعضلة ـ تلك اللواتى حسبهن الجمهور من المتشابهات ، اذ وجدوا ظواهرها لا تنقاد لعلومهم فخاضوا فى تفاسيرها وتكلفوا فى تناسبها بتأويلات رديئة ومعان خفية ، وصيروا ظواهر الحديث والقرآن أساساً لاختلاف الرأى وباباً لتثبيت الكلمة ومفتاحا لتفرق الأمة وعقبة تمنع سير الأفكار فى مضمار الارتقاء وقصب السبق . كل ذلك من أجل أنهم لم يشموا نفحة من العلوم والمكتشفات العصرية ولم يتفطنوا بعرضها على المأثورات الاسلامية .

ولقد جاء ـ والحمد لله ـ كتابى هذا شارحا لأكثر هاتيك المشكلات والمتشابهات ، رافعاً عن محيا أسرارها أستارها كالمجهر المتين فى ايضاح جوهر الدين ، وسيلوح لك أفقه المبين واضحاً فى طيات الكتاب .

وانى أظن ان منشأ الاختلافات الحادثة فى صدر الاسلام ـ التى أوجبت انشعاب الدين القويم الى هذه المذاهب الوافرة والمشارب المتنافرة ـ انما هى أمور أقواها انتشار آراء الفلاسفة الماضين بين المسلمين ، وثقتهم بفلسفتهم من غير اجتهاد واعمال للفكر فى الأقوال الصادرة عن الفلاسفة ، ثم وجدوا أصول الاسلام وظواهره مخالفة لما أيقنوا بصحته من الآراء الفلسفية فتفرقوا من ذلك أيادى سبا ، فأنكر بعضهم أصول الشريعة الاسلامية جهراً وأخذ الآخر يؤول ظواهرها كيف ما تجود عليه فكره ورأيه ، وأنكر بعضهم انكار الشريعة خفية ـ كذئب بزى شاة ـ يحدث فى الدين أنواع المفاسد والبدع .

ولعمرى ان الفلسفة المستحدثة والمبادىء العصرية ستفعل بالناس مافعلته القديمة لنقص فيهم وفيها ، الا اذا تصدى المحققون اصلاح فاسدها ونهضوا لدفع مفاسدها ، وبذلوا الجهد البليغ فى ترويج العقائد الحقة وتنقيحها عن الأباطيل والزوائد .

وما ذكرته من التأثير انما هو فى النفوس الناقصة والعقول القاصرة والقلوب المتزلزلة ، وأما المعتصم بحبل الله ورسوله والمستمسك بظاهر السنة والفرقان الذى لا يأتيه الباطل ـ لاسيما الذى أكمل تحريه فى العلوم ـ فهو فى عز الأمان ، لاتزيده الفلسفة الحديثة الا بصيرة فى الدين وتفكراً فيما جاء به نبي الاسلام وما قاله ذريته ـ عليهم السلام ـ .

وأسأل الله تعالى أن يجعل الانتفاع بهذا الكتاب عاماً وأن يغفر لى يوم الدين (يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) .

ولا بد قبل الشروع فى أصل الموضوع من تقديم مقدمات وهى :

«المقدمة الاولى»

(طريق الاطمئنان الى الأقوال المنقولة ومصادر الكتاب)

حدثني بعض الأبرار قال: ان شخصاً سمع حديثاً ناطقاً ببعض الخفايا المكتشفة فى هذه العصور فاستغرب وقال: لو كنت على يقين من صدور هذا المقال عن نبي الاسلام أو أحد أوصيائه لآمنت بشريعته وصدقته.

أقول: لا ريب فى ان الاطلاع على قول أى شخص كان انما يحصل بطريق أتقنها سماعه عن لسان قائله، وهذا مختص بمن أدرك حضرته دون من تأخر عنه زمانه أو تقاصى عنه مكانه.

الطريق الثانى — أن ترى خط المتكلم المعلوم نسبته اليه بالتواتر أو بقرائن قطعية.

الطريق الثالث — أن ينقل اليك قوله بنحو التواتر، وهو إخبار جمع لايجوز تواطؤهم أو تقاولهم على الكذب.

الطريق الرابع — أن ينقل قوله اليك من تثق بصدق سماعه من قائله، ولا فرق فى المنقول بواسطة بين قلة الوسائط وكثرتها. نعم يجب أن يكون كل واحد منهم ثقة فى الصدق والأمانة.

وهذه الطرق الأربعة تورث الاطمئنان والإعتقاد بصدور ذلك القول عن قائله، وعليها تدور رحى الأعمال والمحاكمات والمعاملات عند العرف والعقلاء من غير نكير، وليس الاعتماد عليها أمراً مختصاً بالمسلمين. وقد يجمع أقوال شخص أو أشخاص فى كتاب ونحوه ليخلد ذكرهم أو علومهم فى الدهر، مثل كتب الحكماء والكتب المقدسة ونحوها لتحدث فى المقام نسبتان:

(الأولى) ـ نسبة مؤلف الكتاب تلك الاقوال الى أصحابها باحدى الطرق الاربعة المذكورة ، فان ثبتت بأحدها كان الكتاب معتبراً من هذه الجهة فارغا من هذه الحيثية .

(الثانية) ـ اسناده هذا الكتاب الى ذلك المؤلف ، ويثبت ذلك بأحد الوجوه الخمسة المعمولة بين المؤرخين والعقلاء من كل صنف وملة ، ولا يسلك المسلمون فى هذه الامور العامة وغيرها غير مسالك العقلاء ، بل نجد محافظتهم على أمثال ذلك أشد .

فاسأل أصحاب الاديان والملل المتمدنة والمؤرخين قاطبة فان كان لهم فى معرفة أقوال العلماء والحكماء وأحوالهم غير الطرق المعمولة بين المسلمين مما ذكريه أو سأذكره فانى ضامن لإتيان مثله أو الاكمل منه لنقل أقوال علمائنا وكلمات أولياء شرعنا ، فلو لم تثق مع هذا بما نقوله وننقله فيلزمك أن لا تثق بكتب العلماء والتواريخ الغابرة بالطرق الاولى إلا أن يحملك التعصب — والعياذ بالله .

تنبيــه

ان المقالات التى نعتمد عليها فى الشريعة الإسلامية المنقولة فى هذا الكتاب إنما هى على أربعة أصناف :

(١) — كلمات الله سبحانه المنقولة الى نبينا محمد ﷺ بطريق الوحى ، وهى مجموعة فى الكتاب المقدس المعروف بالقرآن ، وهو مقدس عند المسلمين بأشد من تقدس التوراة عند اليهود والانجيل عند النصارى ، وتواتره عن النبي محمد ﷺ أظهر من الشمس فى وسط السماء .

(٢) – مقالات النبى محمد ﷺ وكثير منها مضبوط فى كتب الحفاظ والعلماء . وقد وصلت تلك اليهم بأحد الطرق الاربعه الماضية فدونوها فى كتبهم ووصلت الينا بأحد الوجوه التى سنذكرها .

(٣) – مقالات خلفاء النبى محمد والأوصياء الأئمة من اهـــل بيته الذين نص على خلافتهم وتقدسهم نبينا محمد ﷺ ، وهم عندنا معشر المسلمين الاماميين اثنى عشر اماماً ، وهم :

١ - اخى النبى وابن عمه امير المؤمنين على بن ابى طالب .
٢ - الحسن بن على المجتبى .
٣ - الحسين بن على الشهيد .
٤ - على بن الحسين السجاد .
٥ - محمد بن على الباقر .
٦ - جعفر بن محمد الصادق .
٧ - موسى بن جعفر الكاظم .
٨ - على بن موسى الرضا .
٩ - محمد بن على الجواد .
١٠ - على بن محمد الهادى .
١١ - الحسن بن على العسكرى .
١٢ - محمد بن الحسن المهدى القائم (١) .

(٤) – مقومات الصحابة الفائزين بصحبة النبى محمد ﷺ المقتبسين من حضرته وحضرة اوصيائه اصول العلوم والمبانى واسرار حقائق الاعيان

(١) لم ينقل فى المسائل الهيوية عن كل الأئمة بل المنقول فيها عن الامام على عليه السلام الى الرضا ، واما بقية الأئمة فلم ينقل عنهم شىء يخص الهيئة .

والمعانى كابن عباس وسلمان الفارسى وابو ذر الغفارى ومقداد بن الأسود الكندى وجابر الجعفى وغيرهم ، اذ مقالات هؤلاء فى امثال هذه المغيبات تشعر بكونها مأخوذة من معدن الوحى ومهبط جبرائيل الأمين .

وهذه الأصناف الأربع من المقالات المتبوعة مضبوط اكثرها فى كتب حفاظ المسلمين بالطرق المعمولة بين العقلاء ، وكتبهم ايضاً معتمدة بينهم ثابت نسبتها بأحد وجوه خمسة :

(الوجه الأول) ـ التواتر ، اعنى به إخبار الجمهور من اهل عصر وطبقة بأنهم سمعوا نسبة الكتاب الفلانى الى صاحبه المعلوم من جمهور طبقة ثانية سابقة عليها ، والطبقة الثانية سمعت تلك النسبة بعينها من جمهور طبقة ثالثة سابقة وهكذا يسمع جمهور كل طبقة عن جمهور مثلهم من طبقة سابقة حتى يتصلوا بعصر صاحب الكتاب . وهؤلاء الجمهور فى كل عصر قد يكونون من طائفة العلماء والحفاظ خاصة وقد يكونون من سائر طوائف الناس ، كتواتر الصحاح الست الحديثية الى اصحابها وتواتر صحاحنا الأربعة الحديثية الى اصحابها ، وهى الكافى والاستبصار والتهذيب ومن لا يحظره الفقيه .

(الوجه الثانى) ـ تصريحات المؤرخين والمترجمين لأحوال المؤلفين من عصر ذلك المؤلف وبعده بأن الكتاب الفلانى انما هو لفلان بن فلان . وجميع العلماء والعقلاء والمصنفين من كل امة يطمئنون بهذا الوجه فى نسبة الكتاب الى صاحبه .

(الوجه الثالث) ـ سلسلة الرواية ، وهى ان تأخذ نسبة الكتاب الى صاحبه عن ثقة ضابط اخذها عن مثله حتى تنتهى سلسلة هذه الرواية والأخذ الى صاحب الكتاب ، سواء كانت هذه الرواية فى الخطاب او فى الكتاب .

(الوجه الرابع) ـ طبع الكتاب فى حياة مؤلفه او فى مطبعة رسمية

يطمئن الانسان بصحة نسبته الى مؤلفه من جهة استبعاد كذب هذا النحو من الطبع .

(الوجه الخامس) - شهادة القرائن المعتبرة عند العقلاء المقوية لصحة نسبة الكتاب الى صاحبه ، كنقل عبارات ذلك الكتاب فى الكتب المعتبرة عند الرد على مؤلفه او جرحه أو مدحه او قدحه او غير ذلك ، ومثل ان تجد الكتاب بخط مؤلفه او يكون خطه عليه او تكون النسخة عتيقة عليها آثار إعتبار المعلوم اوالشهرة او نحوها .

* * *

إن الطرق المتداولة بين الناس موجودة بأجمعها بين المسلمين لمعرفة آثار اسلافهم واخبارهم ، بل هى لديهم اكمل ، بل ندعى امتياز المسلمين عن غيرهم بحفظ كثير من هذه الطرق مع فوتها عن غيرهم ، فان العلم والدراسة والتحفظ على الآثار والأخبار كانت معهودة متداولة بين المسلمين من صدر الاسلام الى هذه الأيام ، وأما سائر الملل فقد اعتراها من عظائم الغير والتفرق والتمزق ما تفصح عنه صحائف التواريخ والصحف ، حتى اشتهر ان اليهود ونحوهم لاتصح دعوى التواتر منهم لوقوع القتل والفتن الممزقة بينهم بحيث خلى بعض اعصارهم عمن يقوم به التواتر ، وغلب الجهل على الافرنج وغيرهم عصوراً طوالا حتى اشرقت عليهم انوار العلوم من افق المسلمين .

الافرنج هم انفسهم يعترفون بذلك ، فقد قال المستر « وز ويرس سميث » الانكليزى ما معناه : بينما كانت اروبا غارقة فى ظلمات الجهل والعرب مدة خمسة قرون ينيرون العالم والانسانية بمصابيح العلوم ، فهم الذين اعادوا شباب الآداب وعلوم الكلام بعد هرمها وترجموا أقوال اليونان ورقوا علم الزراعة والفلك وأوجدوا على الجبر والمقابلة والكيمياء وزينوا مدائنهم

بالمكاتب والمدارس كما ملؤها بالمساجد وعلموا أروبا مذاهب الفلسفة من قرطبة - يعنى فلسفة ابن رشد . . .

اقول : وهذه العلوم قد انتشرت بين المسلمين بعد اسلام الفرس ولكنهم كانوا يؤلفون الكتب باللغة العربية لانضباطها واتساعها فنسب الافرنج هذه العلوم الى العرب . وقيل : نسب الأفرنج هذه العلوم الى العرب لأن علماء الأندلس هم الذين نشروها فى اروبا .

وقال المؤرخ « دروى » (١) : بينما اهل اروبا تائهون فى دجى الجهالة لا يرون الضوء الا من سم الخياط اذ سطع نور قوى من جانب الملة الاسلامية من علوم أدب وفلسفة وصناعات واعمال يد ، حيث كانت بلادهم مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشرت فى الأمم واغتنم منها اروبا فى القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنوناً عظيمة .

وجاء فى هامش مشهد الكائنات : ان مكتبة القاهرة سنة ٣٢٥ هـ تضمنت من كتب العرب فى فن النجوم ستة آلاف وخمسمائة كتاب .

اقول : لاريب ان اهتمام المسلمين من بدء البعثة الى تلك السنين انما كان فى طلب العلوم الدينية ونشرها دون العلوم الرياضية ، لا سيما النجوم المعروف عندهم بجلب الفقر والهموم ، فاذا كان لهم فى مكتبة واحدة من بلد واحد ستة آلاف كتاب فى خصوص علم النجوم فما ظنك بكتبهم الدينية فى مكاتب البلاد ومدارسها الحاوية لمقالات نبيهم والأئمة من بعده التى اضحى الجمهور عاكفين عليها يتقربون الى الخلق والخالق بحفظها ونشرها ، فطرق الاطلاع على اقوال نبي الاسلام واوليائه - عليهم السلام - اوضح واصح

(١) كذا جاء فى بعض اعداد مجلة العرفان لسنتها الأولى ، والذى اظنه انه المؤرخ « دوزى » الهولندى الذى له (تاريخ الفرق الاسلامية) .

من الجميع عند الانصاف .

* * *

وقد وجب علينا الآن ان نسمى الكتب التى وجدت فيها آراء القدماء والمتأخرين ، والتى وجدت فيها مقالات النبى محمد (ص) ومقالات ألسنة وحيه وحفاظ شرعه - عليهم السلام .

أما الكتب المنقولة عنها فى هذا الكتاب مقالات النبى وحفاظ شرعه فالعمدة من بينها تنقسم الى ثلاث طوائف .

(الأولى) - ماثبت عندنا نسبته الى صاحبه بجميع الأوجه الخمسة المتقدمة ، أو صار تواتر اسنادها فى الوضوح والاشتهار كالشمس فى وسط النهار وهى سبعة كتب :

١ - كتاب (الكافى) بجميع مجلداته ، للحافظ الجليل ثقة الإسلام (محمد ابن يعقوب الكلينى) المتوفى ببغداد سنة ٣٢٩ عام تناثر النجوم . وكتابه أصح معتبراتنا الحديثية وعليه مدار أحكام المسلمين الاماميين من عصر تأليفه الى الآن ، ونسخه العتيقة الصحيحة كثيرة جداً .

٢ - كتاب (نهج البلاغة) فى المختار من كلمات الامام أمير المؤمنين على (ع) ومؤلف هذا الكتاب هو الحافظ الفاضل الامامى (محمد الشريف الرضى) المتوفى سنة ٤٠٦ هج ، وشروح هذا الكتاب متواترة أيضاً كشرح الفاضل ابن ميثم البحرانى المتوفى سنة ٦٩٧ ، وشرح الحافظ عبد الحميد بن أبى الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ . وعندى نسخة من نهج البلاغة قديمة الخط تاريخ قراءتها على

السيد العلامة يوسف الاصبهانى سنة ٧٦٠ هـ (١) .

٣ ـ كتاب (مجمع البيان) فى تفسير القرآن . للحافظ الامامى أمين الاسلام (فضل بن الحسن بن فضل الطبرسى) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ . وفى مكتبة شيخنا النورى نسخة منه كتبها عبد العزيز الترمذى سنة ٧٢٥ .

٤ ـ كتاب (تفسير القمى) للحافظ (على بن ابراهيم القمى) من علمائنا فى القرن الرابع . وقد ادعى تواتر نسبته الى مؤلفه جملة من العلماء وشهرته لاتنكر ، ولقد وجدت نسخة منه كتبت سنة ٨٦٦ .

٥ ـ كتاب (بحار الأنوار) للعلامة الحافظ مولانا (محمد باقر المجلسى) من أعاظم علماء الامامية توفى سنة ١١١١ هـ . وهذا الكتاب ستة وعشرون مجلداً ضخماً يحوى مقالات شرعنا فى كل علم وباب آية أورواية أوحكمة أوتحقيق أو تاريخ ، لم يعمل مثله فى الإسلام حتى الآن .

٦ ـ كتاب (الأنوار النعمانيــة) للحافظ الامامى (السيد نعمة الله الجزائرى) المتوفى سنة ١١١٢ هـ .

٧ ـ كتاب (الوافى) كتاب كبير جامع لأخبار كتبنا المعتبرة فى كل فن ، للحافظ الفاضل (محمد محسن الفيض) الكاشانى المتوفى سنة ١٠٩١ هـ . وتواتر كتابه عنه مسلم .

(الطائفة الثانية) ـ ماثبت نسبته عندنا الى صاحبه بغير التواتر من اكثر الأوجه الخمسة المتقدمة ، وهى ثمانية كتب : (كتـاب التوحيد) و (علل الشرائع) و (الخصال) و (عيون أخبار الرضا) و (معانى الأخبـار) و

---

(١) وقد عثرت بعد ذلك على نسخة من كتاب نهج البلاغة كتبت سنة ٤٣٠ هـ كان نسخة اخرى توجد فى مكتبة الامام الرضا (ع) بطوس وهى بخط ياقوت المستعصمى المتوفى سنة ٦٩٨ هـ .

(الأمالى) وجميع هذه الكتب الستة للحافظ الصدوق (محمد بن بابويه)القمى من اجلة علماء الامامية المتوفى سنة ٣٨١ هجـ . ورأيت هـذه الكتب بخطوط عتيقة وهى مطبوعة مكرراً .

و (الاحتجاج) للحافظ (أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى) من علمائنا فى القرن الخامس الهجرى . قال تلميذه رشيد الدين محمـــد بن على بن شهر اشوب المتوفى سنة ٥٨٨ فى كتاب المناقب : وجدت بخط أبى طالب الطبرسى كتابه الاحتجاج .

و (الدر المنثور) للحافظ (عبد الرحمن جلال الدين السيوطى)الشافعى المتوفى سنة ٩١١ هجـ .

(الطائفة الثالثة) ـ ماثبت اسناده الى صاحبه ببعض الأوجـه الخمسة المتقدمة وذلك ستة :

١ ـ (تفسير العياشى) للحافظ (محمد بن مسعود) من علمائنا فى القرن الرابع الهجرى .

٢ ـ (بصائر الدرجات) للحافظ (محمد بن الحسن) القمى الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هجـ من علمائنا الفائزين بصحبة العسكرى (ع) . وجدت نسخة منه كتبت سنة ١٠٦٨ مبوبة على ١٦٣ باب .

٣ ـ (منتخب البصائر) للفاضل صاحب كتاب « المحتضر » (الحسن ابن سليمان) من علمائنا فى القرن الثـامن الهجرى . انتخب فيه كتاب بصائر الدرجات للحافظ الامامى سعد بن عبد الله القمى المتوفى سنة ٢٩٩ هجـ .

٤ ـ (كتاب الاختصاص) للمحقق العلامة قطب الشيعة (محمد بن محمد ابن النعمان) المفيد المتوفى ببغداد سنة ٤١٣ هجـ . وله كتب تبلغ المئات منها « الارشاد » و « المقالات » ولقد وجدت فى مكتبة شيخنا المحدث ميرزا

حسين النورى المتوفى سنة ١٣٢٠ نسخة منتخبة من كتاب الاختصاص أولها: « الحمد لله الذى لاتدركه الشواهد . . . » انتخبها الشيخ أبو على أحمد بن الحسن ابن أحمد بن عمران الامامى وكتبت سنة ١٠٥٥ هج .

٥ - (كتاب النجوم) واسمه فرج المهموم للحافظ السيد (على بن طاوس) من أجلة علمائنا المتوفى سنة ٦٦٤ هج .

٦ - (نور الثقلين) تفسير للحافظ الشيخ (عبد على بن جمعة العروسى) من علمائنا فى القرن الحادى عشر . وجدت منه نسخة كتبت سنة ١٠٦٥ هج .

* * *

وأما كتب الحكماء والفلاسفة التى أنقل منها فى الاكثر ماقاله المتأخرون والقدماء فهى :

(الشفاء) لشيخ الحكماء رئيس فلاسفة المسلمين (أبى على الحسين ابن سينا) المتوفى سنة ٤٢٧ هج وكتابه متواتر مشهور عند المسلمين وغيرهم .

(اصول الهيئة) ، (ارواء الظماء فى القبة الزرقاء) ، (النقش فى الحجر فى فنون الفلسفة العصرية) للفيلسوف الفاضل (كرينليوس فانديك) الهولندى أصلا الأمريكى مولداً ثم البيروتى المتوفى سنة ١٨٩٥ م .

(مشهد الكائنات فى الخالق والمخلوقات) لمدرس الخطابة (ميخائيل مشاقة) المسيحى المتوفى سنة ١٨٨٨ م (١) وله كتاب (أساطير الأولين) .

(هيئة فلاماريون الفرنساوى) من مشاهير فلاسفة أواخر القرن التاسع عشر ، بترجمة الفاضل (عبد الرحيم التبريزى) الشهير بطالب اوف المتوفى

---

(١) قال اسكندر معلوف فى مجلته (الآثار) منتقداً : ان ميخائيل غبريل اللبنانى الخورى هو مؤلف هذين الكتابين وليس ميخائيل مشاقة الدمشقى . . . وهو أدرى .

سنة ١٣٢٠ هج .

(هيئة فيلكس ورنه الفرنساوى) من مشاهير القرن التاسع عشر ، بترجمة الفاضل (نجم الدولة) الفلكى الطهرانى المتوفى سنة ١٣٢٠ هج .

(دائرة المعارف) للعلامة (بطرس البستانى) المسيحى المتوفى سنة ١٨٨٣ م . ويشتمل هذا الكتاب على مجلدات ضخمة معروفة .

(تاريخ علم الفلك) مجموعة محاضرات للسنيور (كرلو نلينو) الايطالى الاستاذ بالجامعة المصرية وبجامعة بلرم بايطاليا ، ألقاها سنة ١٩٠٩ - ١٩١٠ م وطبعها فى روما بايطاليا سنة ١٩١١ م .

كتاب فى وصف الكون ، أى (السماء والعالم) طبع فى غوتنغن ١٨٤٩ م . ولمؤلفه كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد) فى الجغرافية والهيئة التاريخية طبعه (وستنفلد) فى غوتنغن سنة ١٨٤٨ م .

(عجائب المخلوقات) للفاضل القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود الأنصارى) المتوفى سنة ٦٨٢ هج ١٢٨٣ م .

(التصريح فى شرح التشريح) لامام الدين بن لطف الله اللاهورى ألفه سنة ١١٠٣ هج ١٦٩٢ م .

(حدائق النجوم) مجلدان ضخمان فى الهيئة الجديدة بالفارسية للفاضل دبير الملك (هشيار جنك) الهندى سنة ١٢٥٣ هج .

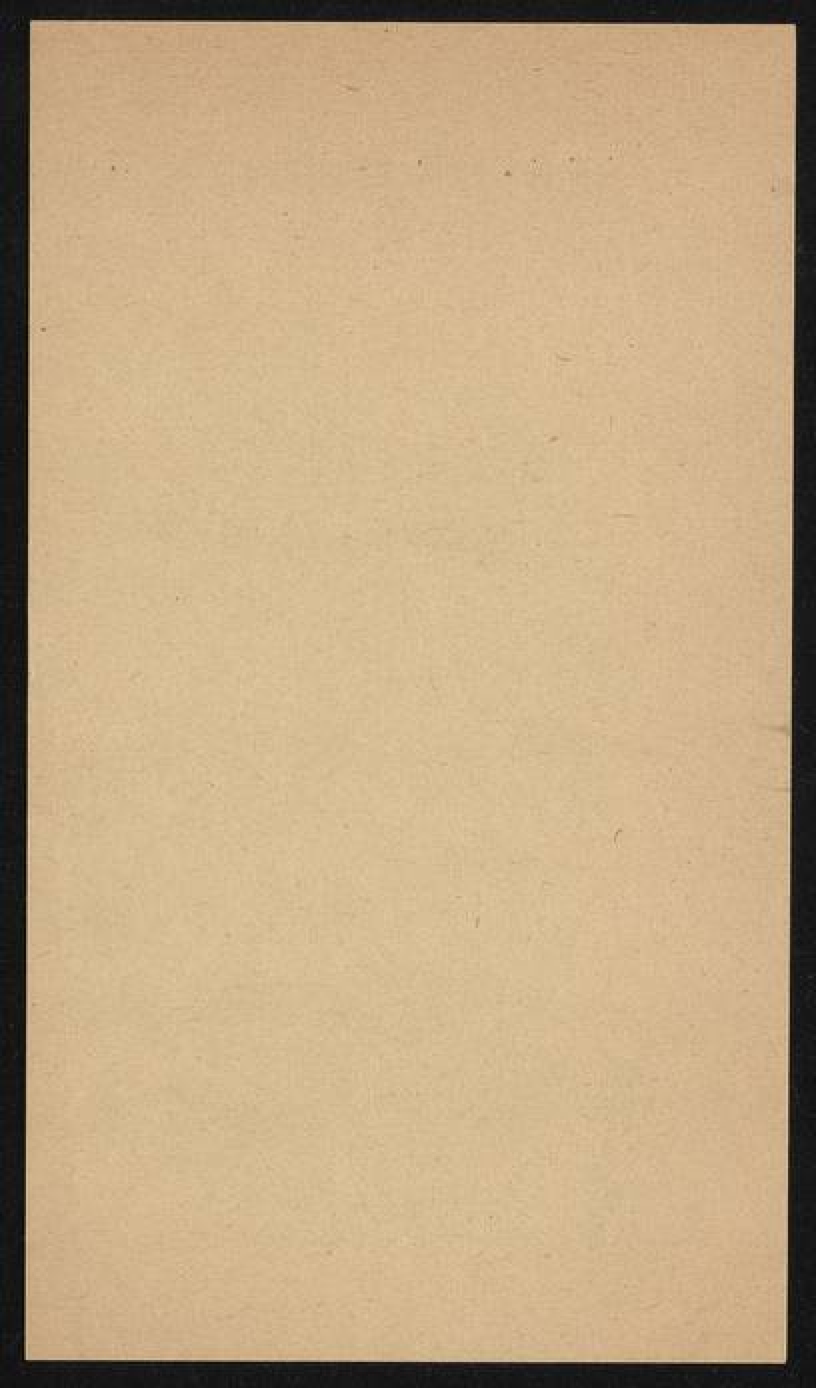
(الآيات البينات فى عجائب الأرضين والسماوات) للفاضل (ابراهيم أفندى) الحورانى المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٣ م (١) .

---

(١) وقد نقلنا أشياء كثيرة من غير هذه المصادر كالأنوار الناصرية ، المقتطف ، الهلال ، تقويم المؤيد ، تقويم الحاج نجم الدولة ، مختصر الهيئة لاليزافرث ، المباحث المصرية ، تحفة النجوم ، سياحة المعارف ، المقتبس .

AL-SHAHRASTANI

AL-HAY'AH WA-AL-ISLAM



فاستبان بما سلف ان الطالب لتصحيح نسبة الكتب الاسلامية وتوثيق مقالات شرعنا الأقدس يجد لمقصده طرقاً واضحة متقنة كالطرق المتعارفة بين سائر الامم بل أكمل منها . فلو لم تثق ياصاح بعد ئذ بما نقل عن شرع الاسلام لزمك ان لاتثق بما ينقل اليك من غيره حتى مقالات الحكماء وتواريخ الملل .

«المقدمة الثانية»

(طريق ترجيح احد المتعارضين)

اعلم ان العاقل عبد لما ايقن به فيعمل على وفقه ان كان عمليا ويقنع باعتقاده ان كان علمياً ، ولا يتزلزل يقينه الحاصل الا بسبب اقوى يورث يقيناً مخالفاً لما حصل قبله . فلو أيقنت بموت زيد مثلا باخبار ألوف من الثقات فهذا اليقين لايزول عند الشك من اخبار عشرة بحياته الا ان يقترن خبر العشرة بشواهد قوية يرجحها العقل ، فالعقل تابع دائما لأقوى الاعتقادين ومخطىء لأضعف الطريقين ويعالج ايضاً بأخف العلاجين .

فلو سمعت رجلا يحدثك عن موسى النبي (ع) انه جوز الجمع بين الضدين وانت عالم برسالة موسى (ع) وعصمته عن الخطأ وعالم باستحالة الجمع بين الضدين فلا شك انك تؤول الخبر أولا الى معنى صحيح فان صعب عليك تأويله تكذب المخبر فى خبره أو تعالج بالأخف مؤنة . ولا تعمد اولا الى تكذيب موسى (ع) ولا الى تصديق الجمع بين الضدين ، اذ اليقين فى هذين الأخيرين اقوى من اليقين بصدور ذلك الخبر من موسى (ع) وأقوى من اليقين بالظاهر من ذلك الخبر ، ولا يطرح الأقوى بغير الاقوى .

فعلى هذه الطريقة العقلية لو كان فى مقالات شرع الاسلام - بعد الايمان به - كلام ينافى ظاهره امراً يقينيا لوجب علينا العمل بتلك الطريقة العقلائية ، اعنى المعالجة بأخف الأدوية وترجيح اقوى الاعتقادين ، اى نجتهد فى تأويل ذلك الكلام اولا الى معنى مناسب ولو عجزنا عن هذا العلاج كذبنا ناقل هذا الخبر ، مع ان الاسلام قد اختص اقواله بخاصية لا نضطر بعد العلم بها

الى تكذيب الناقل ، وهى انا وجدنا فى هذه العصور وقبلها مقالات فى شرع الاسلام تنافى ما علم فى الفلكيات والفلسفيات والسياسيات وغيرها ، ولأجل تلك المنافات رأينا علماءنا السلف أولوا ظواهر تلك المقالات الى معانى صحيحة عملا بأخف المعالجات ، ثم من بعد اطلاعنا على الكشفيات الجديدة والآراء السديدة علمنا ان ظواهر تلك المقالات كانت ناطقة بهذه الكشفيات وكان تأويلها من فساد معلوماتنا السالفة لا من جهة نقصان ظواهر المقالات ، وسيضحك الخلف ببعض علومنا كما نضحك بعلوم السلف الأقدمين .

فاذا اتضح لديك المقصد قلنا لك : ان العقل بعدئذ لو ظفر فى شرعنا على كلام ينافى ظاهره ما علمه فهو يجوز اولا خطأ علمه ، ويقول : لعل اتساع دوائر العلم وتكميل الادوات يظهر لنا فى المستقبل حقيقية هذا الكلام كما اظهر ألوفاً من قبيله ، فانى اتركه على سنبله واضمره لمجيء اهله فكم ترك الاول للآخر ونال الغائب ما فات الحاضر ، ثم اذا جزم العقل بحكم ولم يجوز خلافه اصلا ـ مع ندرة هذا الجزم من الحكيم ـ فعلاج العقل عند ذلك تأويل الكلام الى معنى صحيح ، ثم لو عجز عن التأويل بعد الاجتهاد فعلاجه تكذيب ناقل الكلام عن الأولياء عليهم السلام .

«المقدمة الثالثة»

(الشواهد الداخلية على صحة النسبة)

إن اليقن بصدور الكلام عن صاحبه قد يحصل بسماعه عنه أو بثقات ناقليه - كما فى الخبر المتواتر أو خبر من ترى عصمته و تقدسه عن الخطأ - وقد يحصل من امور أخر : مثلا لو اخبروك بمقالة فى غاية البلاغة عن شخص متناه فى البلاغة فانك تجزم بأنها منه حيث تعلم فرضاً انه ابلغ المتكلمين كما تعلم انها ابلغ المقالات ، فلو جوزت كونها من غيره فلا تنقض يقينك بأنه الابلغ - وهذا خلاف المفروض - فلا بد من تصديقك بأنها منه ، وهكذا لو اخبروك عن الولى بمقالة غيبية تنطق بما لا يقتضيه العقل ولا تدركه الحواس فانك تجزم بأنها منه حيث تعلم ان الاخبار بما لا تدركه الحواس ولا يقتضيه العقل شأن الولى فقط فانه المحيط بحقائق الكون حيطة غيبية مستمدة من المجردات الروحانية ، فلو جوزت ان تكون المقالة من غيره فقد نقضت علمك ويقينك .

ومقصودنا من هذا الكلام ان الأخبار التى نرويها فى هذا الكتاب عن النبى (ص) واوصيائه (ع) إذا تضمنت كشف المغيب قبل انكشاف بالآلات فلا يهمنا البحث عن نقلة الخبر وانهم ثقاة او ضعفاء وان الكتاب المنقول عنه معتبر عند الأصحاب أو غير معتبر ، فان هذا الباب غير سائر الأبواب ، حتى أنه لو وجد مثل هذا الخبر فى اوهن كتاب عن اضعف الناقلين لكان ذلك مقبولا لدينا - إذا تقدم تاريخ الكتاب على تاريخ المغيب المكتشف -

لأنا نعلم انه اخبار عن المغيب فرضاً ونعلم أن المغيب لا يخبر عنه الاولى الله المرتبط به .

وهاتان المقدمتان المفيدتان تلازمان الخبر نفسه كيفما كان ناقله ولا ينقضهما شيء إلا تأخر تاريخ الكتاب عن وقت كشفت فيه الأدوات برقع الخفاء عن وجه مضمون الخبر ، فمراعاة هذا الأمر أهم من كل شيء .

ولذلك ترى حكماء الافرنج إذا تلي عليهم خبر يتضمن كشف مغيب يجتهدون فى تحصيل نسخة عتيقة الخط تتضمن ذلك الخبر ولا ينظرون إلى ناقله قط ، ولأجل هذه النكتة تجدنى ساعياً فى تكثير اسامى الكتب الشاملة للخبر مبيناً تواريخ نسخها فى المقدمة الأولى لتطمئن القلوب بتقدم الخبر على زمان ظهور المغيب المخبر عنه ، فأذكر الخبر مثلا عن كتاب الكافى وتفسير القمى والاحتجاج ومجمع البيان والبحار والبصائر وغيرها ، فيخال الناظران ذلك الخبر مروى فى كل من هذه الكتب بسند غير ما فى الآخر والحالة انه فى الجميع بسند واحد ، فالوجه فى ذلك ان المقصود انما هو ايجاد العلم بأن مضمون هذا الخبر صادر قبل زمان انكشافه للحكماء المتأخرين ، وهذا المقصد يحصل بذكر الكتب المتعددة الشاملة لهذا الخبر المكتوبة أو المؤلفة قبل زمان اختراع الأدوات الكاشفة عن تلك الحقائق .

ومن علم تاريخ سراية علوم الغربيين إلى اقطار الشرق فقد استغنى عما قدمناه ، فان العلوم العصرية والكشفيات الغربية لم ينتقل شيء منها إلى أبناء الشرق إلى القرن الثانى عشر الهجرى . والمنقول من المؤرخين هو ان القطر المصرى والسورى اول بقعة فى الشرق طلعت عليهـــا شمس العلوم الغربية بواسطة (بونابرت نابليون) الفرنسى المتوفى سنة ١٨٢١ م إذ حسب تسخير الشرق نشر علومهم فيه ، ثم القطر اليابانى دبت فيه العلوم الافرنجية وهى

ذات ثروة فاضلة وصنائع كاملة وحكومة ذكية ، فاستقبلت العلم بترحاب وانتخبت من ملتها رجالا للاغتراب ، ثم القطر الهندى ثم القطر الفارسى سرت فيه فى عصر الخاقان (فتحعلى شاه) فظهرت فى عصر حفيده ناصر الدين شاه وأثمرت فى عصرنا الزاهر الذى نرى فيه ملل الاسلام باقتضاء دينهم يتسابقون الى اعادة مجدهم واضاءة الوطن بنور العلم وفضل الدستور . والى الله ترجع الأمور .

«المقدمة الرابعة»

(الفرق بين التفرس وكشف المغيب)

اعلم أن كشف المغيب الذي هو حجة الأنبياء والأولياء هو اظهار مالا يدركه الحس ولا يقتضيه العقل كقول نبينا (ص) بأن الهواء فيه خلق وقول وصيه على (ع) : « لا تبل فى الماء فان للماء اهلا » (١) ونحو ذلك مما لا تدركه حاسة مجردة ولا كان يقتضيه دليل عقلى كما لم يكن مقتضياً لعدمه . فمثل هذا الأمر لا ينطق به الا المحيط بحقائق الكون المنكشف لديه اسرارها ـ كالله تعالى ومن اوحى اليه منه تعالى ـ فمن ادعى النبوة والولاية وأظهر المغيبات التى يعجز الحس والعقل عن كشفها فهو صادق لدى ابناء كل شريعه ، اذلا يقدر على ذلك غير الولى الكامل والولى منزه عن الكذب والخيانة على الأصول المقررة فى علم العقائد .

واما التفرس فهو مغاير لكشف الغيب . فان التفرس انما هو اظهار امر خفى من علاماته ولوازمه الدقيقة ، فان كان الامر من صفات النفس ونحوها سمي التفرس (قيافة) كتفرس الحمق فى عريض القفا وتفرس الفطانة فى القصير ونحو ذلك ، وان كان من الحوادث الآتية خصوصاً او عموماً سمي (التنبوء) كتفرس السياسيين مستقبل احوال الأمم وما سيحدث فى العالم .

---

(١) وقال (ع) فى بعض خطبه : « ورب هذه الأرض التى جعلتها قراراً للأنام ومدرجاً للهوام والأنعام وما لايحصى مما يرى وما لا يرى .. » فما لا يرى هو المكروب المشهور المشار اليه فى آية : « ويخلق ما لا تعلمون »

والتفرس بجميع اقسامه لا يكون دليلا على شيء مما ذكرناه ، لأن منشاؤه الحدس والتروى فى الأسباب الخفية والعلل المعدة التدريجية والقياس على النظائر والأشباه .

* * *

وفى شرعنا القدسى مقالات فى اظهار ما سيحدث يحتمل فيه الوجهان مع الغض عن شاهد يخصها بأحدهما . كاخبار القرآن بغلبة الروم بعد مغلوبيتهم فان الأجنبي يحتمل فيه انه اخبار عن مغيب لايدركه حس ولا يقتضيه عقل ، ويحتمل فيه ايضاً انه تنبؤ منشأه النظر فى الاسباب الخفية والحدس القوى ، لكن الشاهد على كونه كشفاً للغيب هو : ان التفرسات السياسية تفيد الظن ، وبعيد جداً أن يذكر مدعى النبوة بين أعاديه فى كتابه الذى هو معجزه الباقى أمراً ظنياً وحادثة حدسية ويخبر عنها بصورة الجزم فيقول : ﴿ آلم غلبت الروم . فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ (١) .

وكيفما كان فللاسلام مقالات وافرة من قسم كشف الغيب ، كتصريح الرضا (ع) بوجود ارض فوقنا فى السماوات ، وتصريح الباقر (ع) بوجود اقمار عديدة بعد قمرنا المحسوس ، وكذلك التصريح بكثرة العوالم والشموس وتصريح على (ع) بنجمة اروس ، وغير ذلك مما لا محمل له عند الانصاف الا الوحى والارتباط بخالق العالم والمحيط بأسراره ، اذ لا نرتاب فى أن هذه الأمور يعجز الحس المجرد والعقل عن ادراكها ، وانما توصل المتأخرون الى فهمها بالادوات القوية المخترعة بعد الألف الهجرى .

* * *

فان قلت . نجد هذه الآيات والروايات بعضها صريحاً واضح الانطباق

(١) سورة الروم آية ١ - ٣ .

على الكشفيات الجديدة وبعضها مجملا يحتاج الى بيان ، فأى وجه للعدول فيه من التوضيح الى الاجمال ؟

قلت : لا ريب ان الكلام قد يخلو مجاله عن كل مانع فنجده واضحاً أكمل توضيح ، وقد يقترن بشواهد مقامية أو عقلية يستغنى المتكلم بسببها من تطويل الكلام فيستوفى الحاضرون مرام المتكلم لإحاطتهم بالشواهد ولا يستوفيه الغائب لفوات الشواهد منه فيحتاج الى بيان ، وقد يحصل الإجمال من اختلاف اللغات وخفاء بعض الصفات ، فيصف المتكلم شيئا بلغة عصره ومصره ثم يعثر على هذا الكلام أبناء سائر الأعصار والأمصار فلا يأنسون بمساق الكلام أو لا يفهمون الصفات والعلامات المذكورة فيه لاختلاف اللغة أو اختفاء الصفة ، كما فى الروايات الناطقة عن أئمتنا (ع) : « إن لله تعالى مدينتين عظيمتين فى أرضنا أحدهما بالمشرق اسمها جابلقا والاخرى بالمغرب اسمها جابرسا وفيها خلق لا يعرفون آدم ولا ولده » فانى احتمل ان تكون الأولى اشارة الى جزيرة اوستراليا التى اكتشفها (دويفكن) القبطان سنة ١٦٠٦ م ولذلك تسمى بالهولند الجديدة وهى فى شرق جزيرة العرب التى هى مصدر كلمات الشريعة ، وتكون الثانية اشارة الى جزيرة امريكا التى اكتشفها (كولومبس) و (امريك) سنة ١٤٩٢ م وهى فى غرب جزيرة العرب قبل نصف الدور ، فهذا التطبيق لا يبعده غير اختلاف اللغات والأسامى وبعض الصفات الخفية (١) .

ثم ان المتكلم قد يرى المانع من توضيح كلامه فيكسو قوله حلة الايجاز كما لو توقف شرح الكلام على مقدمات غير موجودة بحيث لو كانت المقدمات

(١) ويجوز أن تحمل المدينتان على كرتين فى خارج أرضنا . وانظر مجلة المقتبس ج ٩ المجلد ٤ ص ٥٧٠ فان فيها مقالا هاما عن جابلص وجابلق .

لأفاد الشرح للمخاطبين . وأما مع فقدها فقد يضر بحالهم أو بشأن المتكلم حيث انهم يكذبونه أو يهينونه من استغراقهم فى الضلال والجهالة ومن غرابة أصل المعنى حتى قرب من الاستحالة فكيف يصدق به من لايحسه ولايتصوره فيكسو المتكلم عندئذ حلة التشبيه أو الايجاز حتى لا تعطى غرابة كلامه ممسكا بيد العدو العالم أو المحب الجاهل – أعاذنا الله منهما – فيتولد من ذلك ما يفوت الأغراض المقدسة التى كانت على عهدة المتكلم .

ومما اكتسى ثوب التشبيه قول النبي (ص) : « فر من المجذوم فرارك من الأسد » (١) فان أطباء الإفرنج كشفوا عن موضع الجذام واذا فيه ميكروب على صورة الأسد تنتشر فى الهواء المجاور للمجذوم فتدخل من مجرى النفس فى من يقترب منه فتؤثر فيه بعض الأحيان . فتشبيه النبي (ص) فرارنا عن المجذوم بالفرار عن الأسد يعطى المرام بنحو من اللطافة .

نكتة

أكثر الحقائق الخفية نجدها فى شرع الاسلام تدرجت لدى ظهورها عن ألسنة الشريعة فالمطلب الغامض البعيد عن عقول الجمهور نجد القرآن الكريم يومى اليه باجمال ، وكذلك النبي (ص) يشير اليه فى ظواهر كلماته ، وأما الأئمة (ع) فيظهرونها للناس بالتصريح تدريجا . فتحرك الأرض مثلا

(١) وفى من لا يحضره الفقيه : « انه (ص) كره أن يكلم الرجل مجذوما الا أن يكون بينهما قدر « ذراع » .

يومى اليه القرآن بكسوة التشبيه تارة بأنها مهد أو ذلول وبكسوة الاجمال اخرى فى قوله تعالى : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ﴾ (١) وأما الأئمة (ع) فيصرحون بالتحرك كما سيأتى .

وأيضاً تعدد الأرضين يشير اليه القرآن بقوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ (٢) ويصرح الأوصياء بأنها سبع أرضين وانها فوقنا وفيها كذا وكذا .

وأيضاً كثرة الشموس والأقمار والعوالم يومى اليها القرآن بقوله تعالى : ﴿ رب العالمين ﴾ (٣) وقوله : ﴿ وجعل فيها سراجا ﴾ (٤) ونحوها ، ويصرح الأئمة بأن من وراء هذه الشمس المحسوسة شموس وأقمار عديدة وخلف عالمنا عوالم كثيرة فيها خلق كثير .

وهكذا أكثر الأبواب نجد السنة فيها أصرح من الكتاب . ولعل الوجه فيه امور :

(منها) ان القرآن كتاب عام لا يخص عصراً ولا مصراً ، فينبغى له المشى المتوسط بحيث يرغب اليه الكل فى كل عصر ويتدبرونه برغبة حتى يسلموا بهداه . كما قد جارى رأى أهل عصره فى محل القوة الدراكة ، فانهم كانوا يحسبون ان محلها الصدر والقلب فسايرهم القرآن فى ذلك حكمة وسياسة ، فقال تعالى : ﴿ وشفاء لما فى الصدور ﴾ (٥) وقال : ﴿ ونزعنا ما فى

---

(١) سورة النمل آية ٨٨ .

(٢) سورة الطلاق آية ١٢ .

(٣) سورة الفاتحة آية ٢ .

(٤) سورة الفرقان آية ٦١ .

(٥) سورة يونس آية ٥٧ .

صدورهم من غل » (١) وقال : « فانها من تقوى القلوب » (٢) .

(ومنها) ان هذه الشريعة نشأت فى قوم استغرقتهم الجهالة واستعبدتهم الخرافات ، فلو فاجأتهم بتكذيب جميع خرافاتهم دفعة ونسخت كل عقائدهم بغتة فى العبادات والمعاملات والإلهيات وأسرار الكون لما تقدموا اليه شبراً ، فوجب نشر العلم فيهم شيئاً فشيئاً وابطال عقائدهم تدريجاً مقدار ما تستنير عقولهم وتحمله أفهامهم القاصرة . قال النبي (ص): « انا معاشر الأنبياء امرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » فالذين يرمونه بالجنون — لأنه جعل الآلهة إلهاً واحداً — كيف يسكتون عنه إذا قال لهم مثلا : ان نجمة المشترى هى أرض مثل أرضنا ألف مرة وفيها بحار وأشجار وعمار وديار فهل تقتضى سياسة العقلاء إلا المماشاة معهم وتنوير عقولهم بالتـــدريج ! فالنبى (ص) يحرك العقول نحو هذه الغرائب والأوصياء يبثونها مشروحة .

* * *

فان قلت : سيأتى ان اظهار هذه الأمور خارج عن وظيفة النبي (ص) ولا يجب عليه ، فما كان الباعث له فى ابداء هذه الأسرار حتى يقارب الأخطار ولم لم يسكت عنها كباقى الأديان ؟

قلت : إن فى ذلك أسراراً ومصالح وافرة ، ولا ينبغى لنا قياس الاسلام بباقى الشرائع فان الاسلام دين يبقى الى الأبد ويتكفل تكميل البشر من كل وجهة ، وينبغى أن يتدبر الناس فى معاجزه وآياته فى كل عصر ومصر ، ومعجزاته الحسية ترشد الحاضرين عند الرسول (ص) ويلزم للغائبين وابناء القرون الآتية معاجز متجانسة على اختلاف مشارب العقلاء .

(١) سورة الاعراف آية ٤٣ .
(٢) سورة الحج آية ٣٢ .

ألا ترى حكماء الافرنج لا يهتدون اليوم بنقل تكلم الضبي والضب وانفلاق الحجر وانشقاق القمر ونحوها من معاجز نبينا ، ولكنهم اذا تدبروا القرآن وشاهدوا مثلا الآيات الناطقة بأن الذكورة والأنوثة وناموس اللقاح لا تختص بالحيوان بل تعمه وتعم النباتات والجمادات كما فى قوله تعالى : ﴿ وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ (١) وقوله : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ (٢) تعجبوا من ذلك واتخذوه مصدقاً لرسالة محمد (ص) من دون التفات الى سائر المعجزات أو بلاغة القرآن .

ولعمرى ان مقالات الشريعة الاسلامية مجملها ومفصلها ملكت قلوب العارفين فى كل مكان وزمان وصارت فى النفوس الكاملة أشد تأثيراً من شهود خوارق العادات لغيرهم ، فالإلهيون قديماً وحديثاً يستنيرون من حقائقها متعجبين من دقائقها وكذلك فلاسفة الطبيعة والفلك ودواهى البلغاء والمؤرخين من القدماء والمتأخرين ، فلكل قوم أصبح الاسلام هادياً بمعاجز معنوية تناسب مشاربهم .

وأما السياسيون من الافرنج وغيرهم فحسبك اعتراف كثير منهم بأن التمدن الغربى الذى أضحى نخبة لأفكار ملايين الألوف من الحكماء أكثر من ستمائة سنة بتشكيل آلاف الألوف من المجالس والجمعيات الكاملة لم يبلغ بعد ذلك كمال التمدن الاسلامى الذى أظهره رجل واحد ، إذ لا يشذ عنه شيء من محاسن مدنية الغرب اصولها وفروعها بل يفوقها ويزيد عليها ، وليس فيه شيء من مفاسد تلك المدنية التى أعيى الحكماء رفعها .

تدبر آفات المدنية الحديثة فكل كمال فى التمدن الحاضر تجد الاسلام

(١) سورة الحج آية ٥ .
(٢) سورة الذاريات آية ٤٩ .

حاوياً له وكل نقص يوجد فيه تجد الاسلام بعيداً عنه وناهياً إياه ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (١) .

قال القس (لوازن) فى خطبة ألقاها فى مصر ٢١ فبراير سنة ١٨٩٦ م :

« . . . وليس فى الاكتشافات العلمية الحديثة ولا فى المسائل التى انتهى حلها والتى تحت الحل ما يغاير هذه الحقائق الاسلامية الوضاءة . . . ولهذا فان التوفيق الذى نبذل كل جهدنا معاشر المسيحيين ايجاده بين العقل والاعتقاد فى ديننا المسيحى هو سابق موجود فى الديانة الاسلامية » .

(١) سورة آل عمران آية ٨٥ .

« المقدمة الخامسة »

(سبب سكوت الأديان الأخرى عن الأسرار الكونية)

ان الغرض من بعثة الأنبياء ونصب الأوصياء وإنزال الكتب إنما هو إرشاد العباد الى عبادة الرب تعالى ونصحهم للعمل بما يحبه وترك ما يكرهه من الأفعال ليبقى نظام الاجتماع وتحفظ الأشخاص والأنواع وتكمل النفوس وتصفى القلوب ويتهيأون لحضرة الرب عظم شأنه ، فلا يجوز للرسل الإخلال بشيء من هذه الوظائف المقدسة المختصة بهم ، واما ارشاد الناس الى وسائل المعاش وطرق تكميل الدنيا وتجملاتها أو تعليم العلوم المنعقد تكليف بيانها على ذمة الحس مع العقل كالحساب والهندسة والطب ونحوها فجميع هذه الأمور خارجة عن وظائف الرسل ، فلو بينوا شيئاً منها فاحسان منهم وتفضل بمقدار ما ينبغي لهم أو يقتضي الحال فاقداً للموانع بحيث لا يزرى بشأنهم ولا يخل بمقصدهم الأصلي .

وهذا الذى أقوله يعتقده كل حكيم متبحر . جاء فى المقتطف ص٥٤٧ سنة ١٣١٤ هـ : اما نحن فقد قلنا مراراً أن ليس غرض الكتاب السماوى تعليم العلوم الطبيعية ولا نقضها ، فان وافقها أو خالفها فالموافقة والمخالفة عرضيتان كما اننا فى معاملاتنا اليومية نوافق العلوم الطبيعية مرة ونخالفها اخرى .

ويجيب فى مشهد الكائنات متردداً سأله : لماذا لم يذكر موسى النبي (ع) ما رأيناه بتمامه (يعنى الكشفيات الجديدة) ؟ فقال فى جوابه : ان النبي لم

يتحر إلا تاريخ الانسان ولهذا تراه ذكر بالاجمال عن كيفية السماء والأرض .

أقول : وأما نبينا وأوصياؤه - الذينهم ألسنة الشرع الاسلامى - فقد شرحوا لنا مبادىء العلوم المفيدة غالباً ونطقوا بكشفيات الحكماء كثيراً ، لكن المنقول منها بين الحفاظ قليل والواصل الينا أقل ، وهو مع قلته يغلب المحيط نداه ويفوق الرعود صيته وصداه . وليس قلة المنقول لتقصير من الأولياء (ع) بل لقصور أو تقصير من أصحابهم الراقدين ، فان المصيبة انهم - عليهم السلام - انبعثوا بين اناس جاهلين لا يعرفون قدر المعارف ولا أثمان الكمالات ، تشهد لبعضهم قلوبا كالحجارة أو أشد قسوة .

ولو نبغ هذا الدين فى غير جاهلية العرب لاكتسبوا من أنواره وعلومه ما يغنى النـــاس ويضىء العالم ، ومن ذلك صار أكثر حملة العلم فى الاسلام الفرس كما صرح به المؤرخ الكامل جرجى زيدان وغيره . وقصدى من هذا الكلام ان الشريعة الدائمة وأولياءها (ع) أتوا للأمة فوق ماتحتاج اليه من العلوم والكمالات ، ولكنها قصرت فى ضبطها ونقلها على ما ينبغى ففاتها الكثير وبقى القليل ، ولكن (قليلك لا يقال له قليل) .

المقدمة السادسة

(فى المتفق عليه والمفترق من الهيئات)

ان المسلم بين الفلكيين بل وعند الناس أجمعين فى أبواب الفلكيات انما هو وجود الأجرام السماوية المحسوسة وظهور الشمس والقمر والنجوم بعد خفائها وخفاؤها بعد ظهورها فى كل يوم وليلة وتشكلات القمر وسائر أحواله المحسوسة وقرب الشمس وبعدها عن شمال الأرض أو جنوبها فى السنة مرة وتبدل أوضاع الثوابت المجتمعة فى شهور السنة وعودها الى أوضاعها بعد سنة وأمثال ذلك من التغيرات التى لا ينكرها حيوان فضلا عن انسان . وانما الخلاف فى الأسباب الحقيقية لهذه الأمور وتميز الوهمى منها والحسى وتفرقة المجازى من الحقيقى ، فاختلفت الحكماء فى هذا المقام من سالف الأيام واختار كل مسلكا ونظاماً وهيئة وأحكاماً . والمنقول من هاتيك الهيئات ستة :

١ - هيئة ذيمقراطيس

ومجمل هذه الهيئة على ما فى مشهد الكائنات ان الفضاء مملوءة من الهواء والكواكب كلها منثورة فى الهواء غير ثابتة فى جرم وتتحرك بمقتضى طبعها بسبب جذب الهواء ، فكلما كان الكوكب قريباً من مركز الأرض كان أبطأ سيراً وكلما كان أبعد كان أسرع ، كما هو شأن الكرة المتحركة على مركزها فى نفس الأمر دون ظاهر الحس . ومن ذلك صارت الثوابت لديه أسرع سيراً من الجميع دائرة حول الأرض فى يوم وليلة . . الخ

٢ ـ هيئة بطلميوس

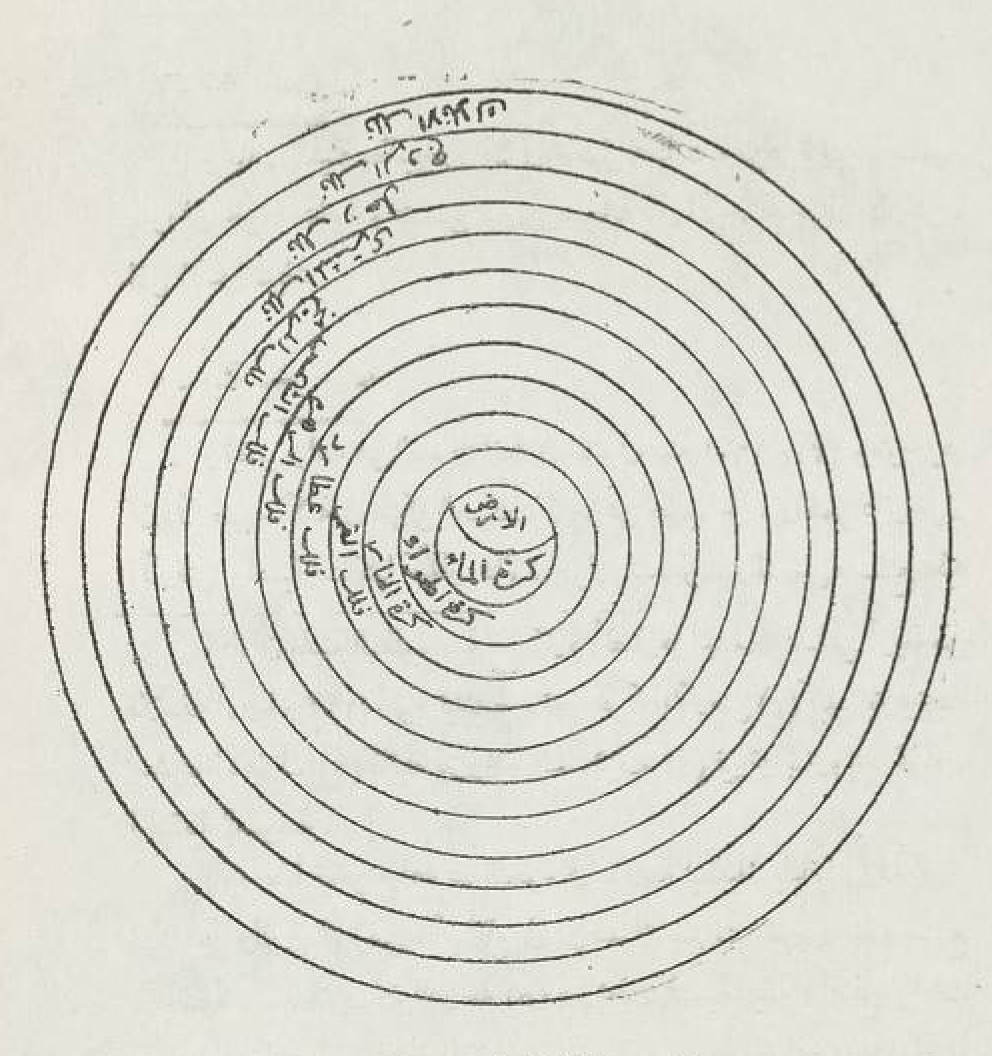
وبطلميوس (١) هذا هو مصنف المجسطى قبل الميلاد بقرن ونصف قرن وموجز هيئته ان الأرض كرة ساكنة فى الوسط يستر الماء أرباعاً من سطحها وتحيط بالمجموع كرة الهواء ثم تحيط بالهواء كرة النار ثم يحيط بالنار فلك القمر وليس فيه شىء غير القمر ثم يحيط به فلك عطارد ثم فلك زهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل يحيط كل فلك منها سابقة ، ولن يوجد فى ثخن الواحد منها غير نجمة واحدة بها يعرف ذلك الفلك ، ثم يحيط بفلك زحل فلك عظيم ثامن قد ارتكزت فى ثخنه الكواكب الثابتة بأجمعها ، ثم يحيط بفلك الثوابت فلك تاسع اسمه اطلس ليس فيه نجم أصلا ولانهاية لأقطار ثخنه وهو المالىء لفضاء العالم كله ولايعلم محدبه الا الله تعالى ، وهو فى سرعة الحركة بمثابة يدور حول الأرض بجميع مافى جوفه من الأفلاك والأجرام مرة فى كل يوم وليلة . انظر شكل (١)

ولكل نجمة غير الثوابت سير خاص تبعاً لسير فلكه المخصوص على خلاف سير الأطلس ، ولذلك سميت بالسيارات السبعة وتختلف حركاتها جداً ، ويشتمل كل فلك من السبعة على أفلاك جزئية قد أطنب فى شرحها القدماء فى كتبهم ، وسنذكر بعض مبانيهم واعتقاداتهم فى ضمن مسائل هذا الكتاب .

والهيئة البطليموسية هذه كانت لعمرى على أحسن تلفيق ونظام وأشبه بالحقيقة لولم تعارضها نتائج الآلات الحديثة والكشفيات الأخيرة ، ولذلك تراها نسخت جميع النظامات والأقوال من حين ظهورها وارتضاها جماهير

---

(١) المشهور بين القدماء فى ضبطه تقديم الميم على الياء المثناة وأما عند العوام فبالعكس والصحيح هو الأول .



(ش - ١) النظام الشمسي البطلميوسي

الحكماء وصار له في العالم المتمدن مجالا لأصحابها ، وهي التي نسميها بالهيئة القديمة (١) .

٣ - هيئة المصريين

وتخالف هيئة بطليوس الا في جعل عطارد والزهرة قرين للشمس يدوران حولها خاصة والشمس تدور بصحابة باقي الأجرام حول الأرض . نقل ذلك فانديك .

٤ - هيئة تيخو براهه

وتيخو براهه هو العالم الدانيماركي المتوفى سنة ١٦٠١ م (٢) وموجزها ان الأرض ساكنة في مركز الحركات كما مر عن بطليوس ، والقمر دائر حول الأرض والسيارات كلها كأقمار دائرة حول الشمس ، والشمس مع هذه

---

(١) ان الهيئة البطليموسية مع كثرة أنصارها انهدمت بمساعي أربعة من فلاسفة أوروبا وهم (١) كوبرنيك بترويجه حركة الأرض (٢) كبلر بترويجه بيضوية الأفلاك (٣) غاليله بترويجه التلسكوب (٤) نيوتن بترويجه قوانين الجاذبية العمومية .

(٢) خذأ تيخو براهه علم النجوم في مدرسة ليبسيك بالمانيا وولع بالزيج الالفنسي والزيج البروسي ، ثم أقام في مرصد الدنيمرك عشرين سنة وصنع زيجات لانكسار النور حتى الدرجة (٤٥) وزيجات شمسية دقيقة وأصلح الزيجات القمرية ، وأثبت ان أفلاك المذنبات وراء القمر ، وعين مواقع (٧٧٧) نجماً من الثوابت . وأبقى أرصاداً كثيرة للسيارات على الهيئة القديمة استخدمها تلميذه كبلر في اثبات الهيئة الكوبرنيكية .

السيارات سائرة حول الأرض . نقل ذلك فانديك وجاء فى دائرة المعارف أيضاً . وذهب الى هذا النظام (ليكومنطانوس) غير انه قال بحركة الأرض .

٥ - هيئة فيثاغورس

وهو الفيلسوف اليونانى المتولد فى ساموس سنة ٥٩٠ قم . ومجملها على مافى تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ ان أشرف مكان الكون اذ كان لأشرف عنصر وكان المركز والمحيط أشرفا الامكنة كانت النار فيهما ، ففى المركز جرم نارى تدور حوله جماعة الأجرام العشر الآلهية ، وهى الثوابت أولا ثم السيارات السبع ثم الارض من بعد القمر تاسعة ثم الانجم الخيالية التى توهمها الفيثاغورسيون مكملة للنظام الكونى ، فتكون الارض دائرة حول النار المركزية على دائرة مائلة ، ثم تدور هى على نفسها حول خط وهمى بين قطبيها محور دورة توحيد الليل والنهار .

وبدل (أرستارك) من أصحابه نار المحيط بالفضاء الفاقد للنهاية كما بدل نار المركز بالشمس ، فأضحت هذه الهيئة أقرب الى الهيئة العصرية من الجميع .

٦ - الهيئة الجديدة

وهى من فلاسفة أروبا الناهضين نحو العلوم بعد نهضة المسلمين ، ومن ذلك تسمى (نظاماً حديثاً وهيئة عصرية أو غربية أو جديدة) وغير ذلك .

ويمكننا القول بأن هذه الهيئة الجديدة هى الهيئة الواردة فى أخبار آل محمد عليهم السلام وذلك لان الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام المشهور بذكر المغيبات قد تحقق انه تكلم فى فنون الهيئة والكيمياء ومباحث الطبيعة كما يظهر

من كتب تلميذه جابر بن حيان المطبوع كثير منها فى ألمانيا قبل ظهور نوابغ الهيئة الجديدة (١)

(١) قال ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان عند ترجمته للامام الصادق عليه السلام: انه أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الامامية ، كان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه فى مقالته ، وفضله أشهر من أن يذكر ، وله كلام فى صناعة الكيمياء والزجر والفال ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفى الطرسوسى قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق ، وهى خمسمائة رسالة .

وقال كرنيلوس فانديك فى مقالته (أطباء الشرق) المنشورة ص ١٢٣ من مجلة المقتطف لعام ١٨٧٦م مالفظه : أبو عبد الله جعفر بن محمد بن على الصادق السادس من الأئمة المستورين العلويين ألف فى الهيئة والكيمياء والرمل وتوفى فى المدينة سنة ١٤٨هـ ، ٧٦٠ م ، وأبو موسى جابر بن حيان الصوفى الطوسى مولداً الكوفى مسكنا من تلامذة جعفر الصادق ، واشتهر فى الكيمياء وجمع خمسمائة رسالة من رسائل جعفر فى ألف صفحة طبع مؤلفه فى ستراسبورج سنة ١٥٣٠ م وطبع أصول الكيمياء لجابر فى باستل سنة ١٥٧٤م وكتاب له فى الهيئة طبع فى نورسبرج .

وفى كشف الظنون بعد تصريحه بكون جابر تلميذ جعفر الصادق قال : وأول من اشتهر هذا العلم عنه جابر بن حيان الصوفى من تلامذة خالد .

أقول :لابد وان يراد من تلمذه على خالد استفادته من كتب خالد ، كما أن الجلدكى المتأخر كثيراً عن جابر يعد نفسه من تلامذة جابر ، ضرورة تأخر عصر جابر عن عصر خالد المتوفى سنة ٨٥ أى فى أواخر القرن السابع الميلادى حينما توفى جابر سنة ١٦١ أى بعد وفاة خالد بنحو ثمانين سنة ، وقد صرح —

والمعروف أن (كوبرنيك) كان ذا اطلاع على الكتب الشرقية وانه كان يأخذ منها المطالب ثم يسندها الى نفسه ، فيظهر اذن مما تقدم ان علماء الهيئة والكيمياء من أهالي أروبا وألمانيا عرفوا نظام الهيئة الجديدة والكيمياء من كتب علماء الشرق القدماء الذين أخذوا علومهم من آل محمد ﷺ ، ثم من بعد مااهتدوا الى نظام الفنون الطبيعية صاروا يؤيدون أقوالهم بالأدوات والآلات . ويؤيد ذلك ان ظهور الهيئة الجديدة في أروبا كانت أولا قبل اكتشاف النظارات وبقية الأدوات .

ولما كان أساس هذه الهيئة الجديدة حركة الأرض والسيارات حول الشمس حركة وضعية وانتقالية ، وكان أول المبرهنين على هـذه المسائل (كوبرنيك) البروسي المتوفي سنة ١٥٤٤ م اسندت هذه الهيئة اليه ، مع انه لم يكتشف اموراً جديدة في الهيئة وقد سبقه في اكثر أقواله أساطين الحكمة من المسلمين واليونان والافرنج ، لكنه امتاز من بينهم باقامة البراهين والتوضيحات اللازمة فاتبعته الحكماء سراً وجهراً وعد بذلك مؤسساً للهيئة الجديدة وصار لقوله دوي عظيم ، لكنه أخطأ في مدارات السيارات اذ فرضها بركارية ، أي دوائر حقيقية تبعاً للمتقدمين .

ـ ادوارد بن فانديك بأن جابراً ولد في أوائل القرن الثامن الميلادي . والصحيح تلمذ جابر على جعفر الصادق عليه السلام كما صرح به هو وغيره ، وجاء في الشعر المنقول في كشف الظنون :

حكمة أورثناها جابر عن امام صادق القول وفي

وذكر في كشف الظنون أيضاً ان جابراً خص بالتقدمة من بين كتبه كتابه المسمى بالخمسمائة . وهذا اشارة الى ماذكر من أن له خمسمائة رسالة من رسائل جعفر في ألف ورقة .

ومنذ أن نشأ الحكيم الشهير (كبلر) الألمانى سنة ١٦٥٠ وكشف قواعد الجاذبية وحكم بأن المدارات بيضوية أو اهليلجية صحت المحسوبات والأرصاد ومع ذلك كله لم يكن لهذه النظرية رمق باهر ولارونق ظاهر حتى قام (غاليله) الايطالى واخترع النظارات المكبرة والمقربة وتفرع منها أدوات كامله ، فنشطت بهامبانى هذاالفن وظهرت خفاياه وأحسوا بأصولهم الحدسية وتطايرت نفوس الحكماء الى تكميل هذا الفن من كل فج عميق حتى بلغوا هذا المبلغ العظيم المحير للعقول .

ويجب علينا أن نذكر موجزاً من الهيئة العصرية لتكون على بصيرة ، وهو ان الشمس عندهم كرة نورانية بذاتها نارية بنفسها ثابتة فى وسط أفلاك السيارات كالمحة فى البيضة ، وجميع السيارات كرات مستنيرة من الشمس مجذوبة لها دائرة حولها وحول انفسها كأرضنا فى اكثر الجهات معلقات فى الفضاء لكل منها جبال وبحار وهواء ، وأقرب هذه السيارات نجمة (فلكان) بعدها عن الشمس ١٣ مليون ميلا ودورها المحورى ١٨ ساعة ودورها حول الشمس عشرون يوماً ولم تزل أحكامها مجهولة لصعوبة رصدها .

ثم نجمة (عطارد) وبعدها عن الشمس ٣٥ مليون ميلا ودورانها المحورى ٢٤ س ٥ ق (١) ودورها وحول الشمس ٨٨ يوماً وحجمها أصغر من الأرض ٢٤ مرة وفلكها الاستوائى مائل على دائرة البروج قليلا .

ثم نجمة (زهرة) بعدها عن الشمس ٦٦ مليون ميلا ودورها المحورى ٢٣ س ٢٢ ق ودورها حول الشمس ٢٢٥ يوما وحجمها قريب من الأرض على نسبة ١٠،٩ وميل فلكها خمسون درجة .

(١) قد أثبت (شياپرلى) ان عطارد لايدور على محوره ٢٤ س ٥ ق بل يتمايل تمايل القمر ويدور مثله على محوره فى المدة التى يدور فيها حول الشمس

ثم أرضنا وبعدها عن الشمس ٩٣ مليون ميـــلا وقطرها ٨٠٠٠ ميل ودورها المحورى ٢٤ ساعة ودورها حول الشمس ٣٦٥ يوماً وميل فلكها ٢٣ درجة ونصف .

ثم نجمة (المريخ) وبعدهاعن الشمس ١٤٠ مليون ميلا ودورها المحورى ٢٤ س ٣٨ ق ودورها حول الشمس ٦٨٧ يوماً وحجمها أصغر من الأرض ست مرات ولها قمران وميل فلكها ٢٩ درجة .

ثم نجمة (المشترى) وبعدهاعن الشمس ٤٧٦ مليون ميلا وحجمه اكبر من الأرض ١٤٠٠ مرة ودورها المحورى ١٠ س ودورها حول الشمس ١٢ سنة ولها ثمانية أقمار وميل فلكها أربع درجات .

ثم نجمة (زحل) وبعدها عن الشمس ٨٧٦ مليون ميلا وحجمها اكبر من الأرض ٧٦٠ مرةوميل فلكها ٢٨ درجةودورها المحورى ١٠ س١٥ ق ودورها حول الشمس ٢٩ سنة ونصف ولهاتسعة أقمار (١) وحلقة نيرةعظيمة مؤلفة من ثلاث حلقات تحيط بها من بعيد كالنطاق .

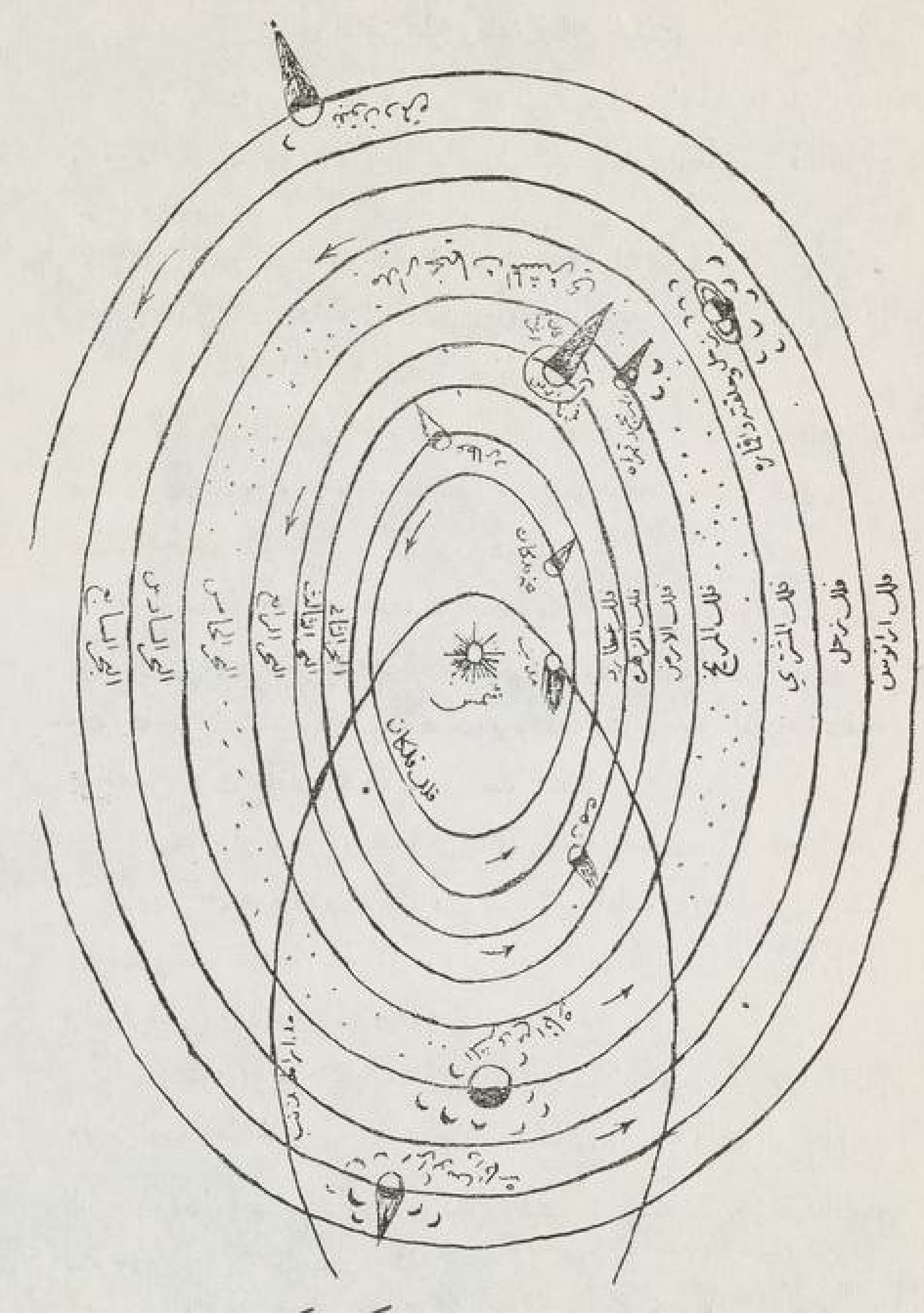
ثم نجمة (ارانوس) وبعدها عن الشمس ١٧٥٣ مليون ميلا وحجمها اكبر من الأرض ٧٢ مرة ودورها المحورى نحو عشر ساعات ودورها حول الشمس ٨٤ سنة واسبوعاً ولها ستة أقمار . وأول من عرف ارانوس هو الحكيم (سر وليم هرشل) وذلك فى سنة ١١٩٥ هجـ - ١٧٨١ م .

ثم نجمة(نبتون) وبعدهاعن الشمس ٢٧٤٦ مليون ميلا وحجمها اكبر من الأرض ٤٨ مرةودورها المحورى ودورها حول الشمس ١٦٤ سنة و ٢٨٥يوماً (١) .

---

(١) قال (سر نورلوكير) فى كتابه المختصر فى الهيئة بالانكليزية المطبوع سنة ١٩١٢ : ان لزحل عشرة أقمار .

(٢) اكتشف العلامة الفلكى(تومبو) سيارة جديدة سماها(فيلوتوا) —



(ش ـ ٢) النظام الشمسى الكوبرنيكى

وليعلم ان اكثر التقارير التى ذكرناها انما هى تقارير تقريبية لاتحقيقية ويسمى هذا المجموع نظاماً شمسياً خاضعاً لنواميس الجذب ومقتضيات الطبيعة بمشيئة البارى تعالى . وحركة هذه الأجرام مطلقاًمن الغرب الى الشرق فى مدارات بيضية مفروضة فى الفضاء . انظر شكل (٢) .

ومابين مدار المريخ الى مدار المشترى نجيمات صغار سيارة سيأتى شرحها وما بعد فلك نبتون انما هو فضاء مجهول الحقيقة قد نثر الله تعالى فيه الشموس الثابتة على أبعاد متشاسعة ، ورتب لكل شمس منها نظاماً كنظامنا ، فسبحان الله رب العالمين .

وسنشرح ماأوجزنا ذكره فى طى مسائل الكتاب الآتية .

— سنة ١٩٣٠م وترى هذه النجمة بواسطة التلسكوب الأصغر ، وكان الدكتور (لاويل) قد ظن وجودها سنة ١٩٠٥ ولكنه لم يوفق حينذاك الى كشفها وقطر هذه السيارة ٤٠٠٠ ميل (ف) .

«المسألة الاولى»

(فى حقيقة الفلك ومعناه)

عمدة ماثبت عليه الهيئة القديمة هى الأفلاك العظيمة التى أطنب الحكماء والمتقدمون فى اعدادها وأوصافها ، ومابرحوا فى نشاطهم بترتيبهم العجاب المحير للألباب . حتى أشرقت من الغرب شمس الهيئة الحاضرة فنسخت مبانى الهيئة القديمة وأحكامها نسخ النور للظلال بل نسخ الهدى للضلال ، فأصبحت أفلاكهم العظيمة مع عدتها وشدتها واستحكامها كالهباء المنثور اوكسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً فاذا أتاه لم يجده شيئاً .

هـــذا ، وشرع الاسلام مصرح بوجود الأفلاك ، فاذا قامت الأدلة الواضحة ـ كما ترى ـ على بطلانها وانتساخها فعلى أى معنى سائغ يحمل مانطق به دين الاسلام ـ على مبلغه التحية والسلام ؟

(الجواب)

ذهب الجمهور من الحكماء القدماء الى ان الأرض وماحولها من العنصريات محاطة بجسم عظيم فلكى دائم الحركة لاينفك عن صفاته التى أشار اليها رئيسهم الشيخ حسين بن سينا فى الفصل الرابع من الفن الثانى من طبيعيات كتاب الشفاء ولفظه : ان الفلك مطلقاً جسم كروى بسيط شفاف فيه مبدأ الميل المستدير فقط ، فلا يقبل خرقاً ولا التئاماً ولا كوناً ولا فساداً ولا زوالا عن حيزه أبداً ولا تضاد فيه ولامضاد له ولا فيه سكون عن حركته ولا تغير فى صفته

وكذلك الأجرام المركوزة فيه كالشمس والقمر ، والنجوم أجسام كروية من جنس جوهر الفلك الذى لايتكون ولا يفسد ... الخ .

وأسندوا تحرك الأفلاك الى أنفسها بالعشق والارادة ، وأثبتوا الأجرامها حياة روحية (١) وقالوا : ان الفلك حيوان كامل بلارأس ولاذنب ولااشتهاء ولا غضب ، ثم أفرطوا فى خواص الفلك وتقديسه غاية الافراط .

ونبى الاسلام وأوصياؤه - عليهم السلام - خالفوا الفلاسفة فى هذه الآراء وتجاهروا بتكذيبهم وتخطئتهم ونهوا أتباعهم عن اتّباعهم ، كما فى حديث أبى بصير المروى فى آخر فصل من كتاب الارشاد للشيخ المفيد انه قال للامام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام : ان الناس يقولون اذ تغير الفلك فسد ؟ فقال : ذلك قول الزنادقة وأما المسلمون فليس لهم الى ذلك سبيل .

والشرع الاسلامى المقدس كما نراه لم يخالف الحكماء فى أصل الفلك واسمه وانما خالفهم فى حقيقته ولوازمه .

ثم لاتخال صفاء الأحوال فى افق الهيئة المتقدمة ، فان بلاء الاختلاف الناشىء من قصور العلماء أو تقصيرهم متهاجم عليهم أيضاً ، فتراهم هوّماً فى اعداد الافلاك وأوضاعها ونظاماتها حائرين فى تصفية مسائلها وحل مشاكلها يتداوون بتكثير الأفلاك ، كما اعصوصب عليهم علاج الحركات المركبة والتوفيق بينها مع المحافظة على اعتقاد استدارتها ، فآل أمرهم الى تحشية الأفلاك

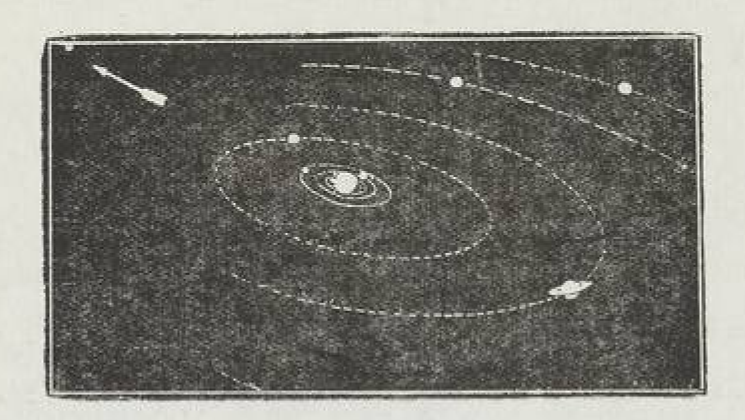
(١) نقل الطوسى فى شرح الاشارات أطباق الطبيعيين على أن للأجرام حياة روحية وان لاميت فى الكواكب ، وقد جنح الطوسى الى هذا الرأى ، ونقل عن ابن سينا فى النمط الخامس من الاشارات الحكم به ، ونقل عن المرتضى انه لاخلاف بين المسلمين فى ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وذلك معلوم عن دين رسول الله صلى الله عليه وآله ضرورة .

الكبار من الأفلاك الصغار وتأليف كل فلك كلي من أفلاك خارج المركز وأفلاك جزئية وصغار من ممثل وحامل وتدوير ومائل وغير ذلك ، فبلغ من ذلك عدد الأفلاك الجزئية عند الجمهور ٢٤ وعند (اوذكيوس) ٢٣ وعند (كالبوس) ٣٠ ،وعند (رجومونتانوس) ٣٣ ، وعند (أرسطو) ٤٧ ،وعند (فراسكاتور) ٧٠ فلكا . وانا فيها الفاضل محمد الخفري على ثمانين .

هكذا وقعوا فى اختلاف عجيب يتبعه اشكالات صعبة قد اعترفوا بالعجز عن حلها ، وهم مع اختلافهم فى عدد الأفلاك وصفاتها لم يختلفوا فى وجودها ، غير انى وجدت فى كتاب مشهد الكائنات فى هامش ص ٤١ ان ذيمقراطيس أنكر وجود الجسم الفلكى وقال بتحرك الكواكب فى فراغ الفضاء .

أما الهيئة المتأخرة فقد انكر أصحابها وجود الجسم الفلكى رأساً ولم يؤمنوا بحقيقته فضلا عن الايمان بصفاته المتقدمة ، وما استلزم ذلك الانكار وهناً لمبانيهم ولا خللا فى أرصادهم بل زاد ذلك فى صحة مبناهم واستحكام نظامهم . فهم يطلقون اسم الفلك على المدارات الفرضية للأجرام السماوية ، اذ كل جرم سماوى فهو متحرك عندهم فى فراغ الفضاء فى مدار معين يباين مدار الجرم المماثل له على نسب متناسقة نظمها ناموس الجاذبية بقدرة آلهية ، كما قال على عليه السلام فى وصف السماء ومافيها : « ووشج بينها وبين أزواجها » ، فالوشيج اشتباك القرابة والأزواج استعارة بمعنى الأمثال ، أى أوجد الله سبحانه روابط متناسبة بين الأجرام وبين أمثالها حفظاً لنظامها الصالح .

وبالجملة فان الجرم السماوى متحرك لديهم على نظام دورى رجعى مستمر كما نراه فى الشكل الثالث وكل جرم متحرك على نهج مستمر فان الوهم يفرض لمسيره مجرى على حسب سيره ، وذلك المجرى والمدار يسميه المتأخرون فلكا ولا يختص ذلك عندهم بالنيرين والنجوم بل يثبت الأرض والسحب والشهب



(ش - ٣) مدار السيارات على الرأى الحديث

والرجوم . وسيأتى اثباته للسحب فى الدليل الثالث عشر .

* * *

وقد اعترض على بعض العلماء وقال : لم لايجوز الاعتراف بمسائل الهيئة الجديدة من كون الشمس مركزاً للحركات وكون الثوابت شموساً غير مرتكزة فى فلك مع الاعتراف بثبوت الأفلاك السبعة للسيارات فقط ، وعدم وجدان القوم تلك الأفلاك لايستلزم عدم وجودها .

فأجبته : ان المتأمل فى مبانى الهيئة الحديثة يجد اكثرها مخالفاً لوجود الافلاك على النحو المتقدم ، ألا ترى ان الأرض عندهم سيارة من سيارات

شمسنا مع انها غير مركوزة فى جسم فلكى فما وجه استثناؤها لديك ؟

وأيضاً المذنبات تخرق عندهم مدار السيارات ذهابا وايابا ، فلو كانت السيارات مرتكزة فى ضمن أجسام غلظها ملايين فرسخ لاختل موازين حركاتها وحركات المذنبات فضلا عن لوازم الخرق والالتيام، الى غير ذلك من الموانع والمفاسد التى لامحل لسردها .

☆ ☆ ☆

اذا اقتبست ما يكفيك من آراء القدماء والمتأخرين فى هذا المقام صح ان نلق عليك ماعرفناه من ظواهر شرعنا وانه لم يقصد من اسم الفلك الامدار الكوكب ومجراه . ويستدعى اتضاح الحقيقة تقديم أمر ظاهر ، وهو ان لفظ الفلك ومايشتق منه يطلق فى لغة العرب على الشىء المستدير استدارة عرفيـة . ففى القاموس وغيره : تفلك ثدى المرأة اذا استدار ، والفلك كل شىء مستدير ، ومنه فلكة المغزل (١) .

اذا عرفت هذا قلت : كل من أطلق اسم الفلك فانما اعتبر استدارته ولو بالتقريب . ومن أمعن النظر فى كلمات الشرع وراجع أقوال المحدثين واللغويين من صدر هذا الدين وجدها ناظرة ـ بل وظاهرة ـ فى المعنى المختار فى هذه العصور ، اعنى كون المقصود من اسم الفلك انما هو مجرى سير السيار ومدار حركته المفروض فى فراغ الفضاء لا المعنى المعروف من المتقدمين .

أما كلمات المحدثين واللغويين فقد قال ابن الأثير فى النهاية : « والفلك مدار النجوم من السماء» . وقال صاحب القاموس : « الفلك محركة مدار النجوم» وقال الضحاك : « انما الفلك ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم » ، فما اصرح

(١) الفلك اسم معرب عن لفظة (بلك) الفارسية بمعنى الحركة ، وأما سائر مشتقات الفلك بالعربية كالتفلك ونحوها فمأخوذ عن الفلك .

هذا الكلام ونحوه. وقال الراغب الاصبهاني في مفرداته : « الفلك مجرى الكواكب » . وقال ابن قتيبة : « الفلك مدار النجوم الذي يضمها » .

هذه الأقوال المسطورة بأسرها تنظر الى المعنى المختار في هذه العصور ، ولم يكن هذا التفسير الصحيح من هؤلاء العلماء لأجل اطلاعهم على الهيئة الجديدة لظهورها في حدود الألف من الهجرة ، ولم يكن ذلك منهم لأجل اطلاعهم على الواقعيات الخفية والأسرار الغيبية ، اذ لم يكونوا من سلسلة الانبياء وأصحاب الوحي والالهام ، وانما كانوا مطلعين على هذا المعنى الصحيح لاستئناسهم بكلمات نبي الاسلام وأوصيائه (ع) والجري على ظواهرها بأفكار حرة ، خلافا لغيرهم ممن مزج الشريعة بالأوهام .

وأما ظواهر الشريعة الدالة على ان الفلك هو مدار النجوم الذي تجري الكواكب فيه فهي كثيرة نقنع منها بأربعة عشر دليلا :

الدليل الاول

قوله تعالى في سورة (يس) بعد ذكر الارض وما فيها والشمس والقمر والمنازل السماوية : ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ (١) وقد استفدت اموراً لطيفة من هذه الآية المباركة :

(منها) ان الأجرام السماوية تسبح وتجري في الفلك وفاقا للمتأخرين وخلافا للقدماء القائلين بأن الأجرام السماوية ثابتة كالمسامير في ثخن الأفلاك لاتنتقل من مواضعها قط ، وانما حركاتها بتوسط حركات أفلاكها . وظاهر الآيه يعطي عين ماتقرر في هذه العصور ، واعترف بذلك المحقق فخر الدين

(١) سورة يس آيه ٤٠ وتجد هذه الجملة أيضاً في سورة الأنبياء آية ٣٣

الرازى فى تفسيره وقال : ان الذى يدل عليه ظاهر القرآن هو ان تكون الأفلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة فى الماء .

(ومنها) مشابهة الأجرام السائرة فى أفلاكها للحيتان ، حيث عبر عن سيرها وسياحتها بالسباحة ، وسوف نشرح ذلك فى الدليل الثانى .

(ومنها) وحدة الفلك لكل سيار كما هو الرأى المختار فى هذه العصور فان تنكير الفلك مشعر بها ، فكأنه تعالى قال : وكل فى فلك واحد يسبحون لا فى أفلاك متعددة ، كما تقدم عن المتقدمين الزاعمين امتلاء الأفلاك العظام من الافلاك الصغار .

(ومنها) تحرك الأرض . فانه تعالى ذكر قبل هذه الآية أرضنا وما عليها من النبات وغيره ثم قال : ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ فأتى بلفظة كل نكرة ولم يذكر المتعلق بها . ومن المعلوم ان اسقاط المتعلق يفيد العموم ، فالتقدير اما ان يكون وكل شىء من الأشياء المذكورة فى فلك يسبحون . واما ان يكون وكل شىء مطلقاً ، وعلى الأول يعطى تحرك الأرض بما عليها وفيها من الجامد والنامى والماشى فى فلكها ، وعلى الثانى يعطيه أيضاً بنحو العموم ويوافق مذهب (هرشل) وأشياعه ان الأجسام الكائنة فى الفضاء ليس شىء منها ثابتاً تحقيقاً ، بل لكل منها حركة دورية وفلك مخصوص حتى الشمس والبروج والأراضى والذرارى والدرارى ، فكل فى فلك يسبحون وبمجد الحق جل وعلا يسبحون .

الدليل الثانى

قال تعالى : ﴿ والسابحات سبحاً ﴾ (١) فان الظاهر كون السابحات كناية

---

(١) سورة النازعات آية ٣ .

عن النجوم وفاقا لتفسير جماعة من المفسرين كقتادة وغيره ، واستعمال السبح في السير السريع في غير الماء شائع كقوله : « سبوح لها منها عليها شواهد » .

واعلم ان ماتتلوه في الكتاب والسنة - أعني الظواهر التي اسند فيها والحركة الى نفس الكواكب - جميعه مضاد للنظام التليد وموافق للرأي الجديد والوجه ظاهر .

بقيت نكتة هنا لابد من الاشارة اليها ، وهي سر التعبير عن سير النجوم بالسباحة غالباً كما مضى في الآيتين وسيأتي ، وذلك ان أجرام السيارات يستعقب كل منها ظلا مخروطياً مستطيلا يحدث من خفاء الشمس خلف النصف النوعي من كل سيارة دائماً ، فتصير بذلك السيارة حالة سيرها السريع في واسع الفضاء ساحبة ظلها المخروطي أشبه الأشياء بالسمكة السابحة في البحر . (انظر الشكل الرابع) .

ولمراعات هذه النكتة اللطيفة ربما عبر امناء الشرع عن مجرى السيارات بالبحار وعنها أنفسها بالحيتان وعن سيرها بالسباحة .

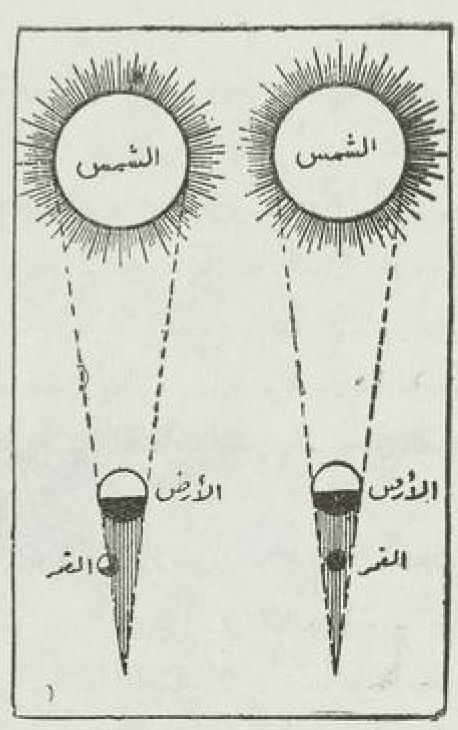
وربما كانت الاخبار الناطقة بخلق أرضنا على الحوت ناظرة الى ذلك بحذف المضاف ، أي على شكل الحوت . فراجع مسألة هيئة الارض والمقالة التاسعة من مسألة تعدد الارض وشكل (٢) أيضاً .

الدليل الثالث

قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ (١) فعبر عن الافلاك السبعة للسيارات بالطرائق السبع - وهي جمع الطريقة - ليرشدنا حسب الظاهر

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٧



(ش ـ ٤) ظل الأرض المخروطي فى الخسوف وهو شبيه بالسمك السابح

الى ان أفلاك الاجرام العالية ليست الاطرقا ومدارات لها ، ويجرى ويسلك كل جرم فى فلكه وطريقته جريان الطير فى الهواء والحوت فى الماء كما يرى المتاخرون ، وليست الافلاك أجساماً عظيمة تستقر الكواكب مركوزة فيها كما يراه المتقدمون ٠

الدليل الرابع

قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (١) احتمل فى تفسير هذه الآية حذف المضاف ، أى ان القمر قدرنا سيره منزلا منزلا حتى عاد هلالا كالعرجون ، فشبه الله سبحانه جرم القمر بالمسافر الذى يطوى المراحل ويقطع المنازل فى سيره بنفسه كما يراه المتأخرون .

وأما القدماء فتطبيق الآية على رأيهم محتاج الى تجوز والجرى على خلاف الظاهر وتقدير ان القمر قدرنا سير فلكه فى مواجهة المنازل ، وهو مع ذلك غير حرى للقبول ، فان الفلك لايقدر سيره فى منازل حيث ان السير الوضعى من الجسم الكروى يناسبه النزول ، فان النزول مختص بالسير الانتقالى ، والقمر منتقل بنفسه فى مواضع عند المتأخرين ، فيساق عليه ظاهر الآية على أبلغ مساق .

الدليل الخامس

قال على عليه السلام فى خطبته المروية فى كتاب نهج البلاغة عند توصيفه نظم السماوات : « ثم علق فى جوها فلكا » ، ومعلوم ان تعليق فلك الكواكب فى جو السماوات وجوف الفضاء يناسب قول من قال : ان الفلك مدار الكواكب المنحاز فى حيز الفضاء كالحلقة المعلقة ، ولا يناسب قول من يجعل الأفلاك عين السماوات ويعتقد ان الأفلاك مستوعبة للعالم كله .

---

(١) سورة يس آية ٣٩

الدليل السادس

روى فى تفسير القمى وكتاب البحار بسند صحيح عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه وصف خلق السماوات والنجوم وقال فيما قال : « وأجراها فى الفلك » ، ومعلوم ان اجراء الأجرام وتسييرها فى الفلك انما يناسب الرأى الجديد فى باب الأفلاك ، اذ الجريان يحمل على نفس الأجرام بناءاً عليه كما فى الخبر ، ولا يناسب رأى القدماء اذ الجريان عندهم لايكون لنفس الجرم لثباته ولا لفلكه لأن سيره محورى غير انتقالى فلا يتحقق الجريان .

الدليل السابع

روى فى الاحتجاج والبحار ج ١٤ مسنداً الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال فيما قال للزنديق : « ومن تدبير النجوم التى تسبح فى الفلك » ، ودلالة لفظه واضحة على ماقصدته من تقوية رأى الأواخر وتوهين آراء الأقدمين ، ويزداد الوضوح بمراجعة ماذكرته فى الدليل الأول والثانى.

الدليل الثامن

روى فى البحار ورسالة الاستخارات للسيد ابن طاوس فى حديث : « وانك قادر على نقلها فى مداراتها فى مسيرها . . . » فنسبة النقل والمدار والمسير الى النجوم تنادى بموافقة هؤلاء ومخالفة الأقدمين .

الدليل التاسع

روى فى الكافى والوافى والبحار والأنوار النعمانية وتفسير القمى ومن

لايحضره الفقيه وغيرها بالأسانيد القوية عن الامام الرابع على بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال فى خبر الكسوف والخسوف : « أمر الله الملك الموكل بالفلك ان يزيل الفلك الذى عليه مجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب . » والظاهر منه ان الفلك - اعنى الجوهر القدسى - يبدل الدائرة التى عليها مجرى كل من الأجرام السماوية من موضع الى موضع ، وإفراد الفلك يناسب قصد الجنس الكلى من الفلك كما يناسب قصد الفرد الواحد منه .

ولا غرو فى تصور مدار واحد لجميع هذه الأجرام - فانك لو اخرجت دائرة فرضية من منطقة البروج الأرضية كانت هى المدار حسب التقريب لكل سيار باختلاف الأطوار والأدوار ، فالأرض مثلا تجرى على هذه الدائرة فى السنة مرة مع تمايل ٢٣ درجة تقريباً ، والقمر يجرى عليها ويسير بتمايل يسير وينخسف بهذا التمايل - المعبر عنه فى الخبر بتبديل الملك - والنجوم السيارة أيضاً تجرى عليها بتمايل مختلف لايزيد فى المجموع على ١٨ درجة .

والخلاصة ان الخبر المذكور ينساق بظاهره نحو الرأى المختار فى هذه العصور حيث اسند الجريان فيه الى نفس النجوم أولا وجعل مجارى النجوم على الفلك كجرى الدابة على جادة ولم يجعل النجوم ثابتة فى ثخن الفلك كالمتقدمين وجوز إزالة الفلك وانتقاله من موضعه وحيزه ثانياً ، مع امتناعه عند الاقدمين .

وألمع هذا الخبر أيضاً الى حصول الكسوف والخسوف لبقية الكواكب والنجوم كما اكتشفه المتأخرون ، وأما القدماء فالمشهور عنهم اثبات الكسوف والخسوف للنيرين فقط - اعنى الشمس والقمر .

الدليل العاشر

قال الطريحى فى كتابه مجمع البحرين : وفى الحديث « ان الفلك دوران

السماء ، وظاهره يرشد الى كون ماهية الفلك عند الشرع انما هى نفس دوران السماء المحيطة بالارض مع الارض فى واسع الفضاء ، فالخبر مع مناسبته للنظام الكوبرنيكى يقوى كون السماء كرة (اتمسفر) المحيطة بأرضنا السائرة بنحو الدوران فى جوف الجو وهى حاضنة لها . وسيأتى شرح هذا القول واثباته فى المسألة السادسة .

الدليل الحادى عشر

روى فى كتاب الشيخ الزاهد ابى الليث السمرقندى عن ابن عباس انه قال : « ان النجوم معلقة فى السماء » ويؤيده مافى خبر عبد الله بن سلام عن النبى (ص) من كون الكواكب والنجوم معلقة فى الهواء ، كما انه يؤيده مافى خبر المفضل بن عمر المشهور عن الامام الصادق عليه السلام انه قال فيه : « ماأجده يستقيم ان أقول ان أحداً يعلم علم هذه النجوم المعلقة فى السماء . . . ولا يقع علم الحواس فى علم النجوم وهى معلقة تغيب مرة وتطلع اخرى تجرى تحت الارض كما تجرى فى السماء . . . اتعلمه من أهل السماء اذ كانت النجوم معلقة فيها » .

وجميع ماورد بهذا المعنى يناسب الهيئة الحاضرة القاضية بأن الأنجم والاجرام السماوية بأسرها معلقة فى فراغ الفضاء بناموس الجاذبية وقدرة الحق تعالى ، وتدور على مدار مخصوص وليست مركوزة فى جسم فلكى كما عن القدماء .

الدليل الثانى عشر

روى فى البحار عن تفسير الفرات عن على أمير المؤمنين عليه السلام فى الشمس والقمر : « ان الله جعلهما يجريان فى الفلك بحر بين السماء والأرض مستطيل

فى السماء . . . » وهذا الحديث مصرح بسير الأجرام وجريانها فى نفس الفلك وفاقا للرأى الحاضر وخلافا للنظام الغابر ، ثم يشرح لنا المعنى من اسم الفلك بأنه يجرى بين السماء والأرض يعنى جهة العلو من الفضاء . وقوله ﷺ : « مستطيل فى السماء » ظاهر مختار كيلر والمتأخرين ، اذ ليس الفلك عندهم غير الخط المستطيل فى الفضاء العالى المنحنى بشكل دائرة بيضوية او اهليلجية تجرى النجوم فيه ، فهذا التوصيف الوارد فى هذا الخبر الشريف انما ينطبق على مذهب الأواخر فى صورة الأفلاك وهيئتها الاهليلجية والمستطيلة لا على مذهب القدماء القائلين بكروية الأفلاك .

وتشبيه الامام (ع) هذا المدار المستطيل بالبحر قد يكون لاوجه سأظهرها فى المقالة التاسعة من مسألة تعدد الارضين .

* * *

فان قلت : اثبت هذا الخبر فلكا لجرى الشمس والقمر ، مع ان الشمس فى الهيئة العصرية مركز الحركات ؟

قلت : سيأتى فى مسألة تحرك الشمس انها تتحرك عند المتأخرين بحركتين محورية فى مستقرها ، وانتقالية فى بيداء الفضاء حاملة معها اتباعها وسياراتها حتى قمر أرضنا فانه يتبع الشمس ويجرى معها فى ذلك الفلك بحركة واحدة ، فيناسبه كثيراً قوله ﷺ : « وجعل الشمس والقمر معاً يجريان فى الفلك » .

ويجوز ان يكون قوله ﷺ : « والفلك بين السماء والارض بحر مستطيل فى السماء » اشارة الى مذهب الاستاذ (كمبل) الأمريكى فى سير الشمس ، فانه يعتقد ان الشمس تسير دائماً من الجنوب الى الشمال بخط مستطيل ونظامها يتبعها . وسيأتى شرح هذا المذهب فى مسألة تحرك الشمس .

الدليل الثالث عشر

فى البحار ج ١٤ وخصال الصدوق وغيرهما مسنداً عن الامام الباقر عليه السلام انه قال : « ان الله سبحانه لما خلق السحاب فخرت وذخرت وقالت : أى شىء يغلبنى ؟ فخلق الله الفلك فأدارها بها وذللها . . . » وهذا الحديث يحتاج الى شرح وبسط حتى يظهر مزاياه ولكننا نقتصر على موضع الحاجة ونقول : أطلق عليه السلام لفظ الفلك على مجرى السحاب ومداره فى الفضاء حيث لا يرتاب احد ان الغيوم تتحرك فى الجو على مدار وهمى فرضى وليس لها فلك بنظر الأقدمين، بل لها فلك على رأى المتأخرين ، فتسمية الامام عليه السلام مدار السحاب فلكا يقوى كثيراً استعمال لفظ الفلك فى مدارات سائر الأجرام السائرة بعرف من الشريعة .

ولا يخفى ان الاشتراك المعنوى عند الجميع مقدم على المجاز وعلى الاشتراك اللفظى ، فيظهر تأييد هذا الخبر لمطلبنا . ولما استقر عليه رأى الحكيم (هرشل) وشيعته ان الأجسام الكونية بأسرها متحركة فى الفضاء على أفلاك ومجارى مختلفة

الدليل الرابع عشر

قول أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبته المروية فى نهج البلاغة والبحار وغيرهما : « والجو المكفوف الذى جعلته مغيظا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفاً للنجوم السيارة . . . » فصرح بجريان الشمس والقمر فى الجو ـ يعنى الفضاء ـ وصرح أيضاً باختلاف النجوم السيارة وترددها فى الجولان فى جوف جسم فلكى ، فينطبق هذا على الهيئة الحاضرة دون الغابرة . والمغيظ موضع يغص للماء ويبلعه . فكأنه عليه السلام استعار لفظ الليل والنهار لمعنى النور والظلام ، وشبه انعدام ضوء النهار فى الجو ليلا ، وكذا انمحاء ظلام الليل فيه نهاراً بغص الجو

وابتلاعه للظلام والضياء .

ويظهر من هذا التعبير مااستكشفه المتأخرون بآلة (سبكترسكوب) وغيرها ان الهواء أو الجو يشرب ويمص من النور مايقتضيه طبعه ويمج الباقي الينا ، وقد فتح عليهم هذا الباب ألف باب من العلم ، لكن باب مدينة العلم - اعني علياً عليه السلام - قد علمه النبي صلى الله عليه وآله حسب الآثار الصحيحة ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب ، وربما كان هذا وأشباهه من فروع تلك الأبواب التي يستكشف الحكيم منها ألف باب .

وأيم الله سبحانه ان المتأمل في كلمات علي وابنائه (ع) بعد اطلاعه على فنون الفلسفة تنفجر عليه ينابيع الحكمة ، ويصدق عندئذ من قال : ان كلام علي عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام الخلق . فهل كانت لعلي عليه السلام عين سبكترسكوبية تجهر له كل خفي ؟ نعم كانت له عين أجلى من السبكترسكوب وأنور من كل آلة، وهي عين العلم الآلهي المستمدة من أنوار النبوة المحمدية صلى الله عليه وآله فتطلعه بالوحي والالهام على خفايا النفوس والأجرام وتجلى عن بصيرته كل غشاء وظلام .

والجو المكفوف يعني به الممنوع من الهطلان مع سيلان مادته الأثيرية ونشرح - ان وفقنا الله سبحانه - بعض ما اعصوصب فهمه من مصطلحات الاحاديث كالجو المكفوف والبحر المسجور والبيت المعمور وغيرها في مستقبل عمرنا ، ولا قوة الا بالله عليه توكلنا واليه المصير .

«المسألة الثانية»

(فى هيئة الارض وماتقوم عليه)

قد كان يقرع سمعنا من قديم العصر ان الشريعة الاسلامية أكمل الشرائع الفاضلة وأبعدها عن العقائد الباطلة ، ولأجل ذلك صارت العقول تتلق أحكامها بأحسن قبول ، فما هذا الذى نسمعه الآن من نسبة تسطيح الارض الى هذا الدين ، وقد ملأ الارجاء نداء الحكماء بكروية الارض ؟ فأزيحوا عن أفهامنا الشكوك .

(الجواب)

لاشك ان الناظر الى الأرض من دون تدقيق ولا تحقيق يعتقد استواءها وامتدادها الى كل طرف ، ومعرفة شكلها الحقيقى مشكلة على ذوى العقول البسيطة والأسباب المبنية لذلك لم تكن فى سالف الزمان ، ومن ذلك اختلف مذاهب الحكماء فى هيئة الأرض ، والواصل الينا من الآراء ثلاثة عشر :

(١) - عن انكسمايس انها مسطحة ومحمولة فى الهواء كالورقة من رصاص فتعوم على الماء مادامت مسطحة وترسب فيه متى جمعت .

(٢) - عن رؤساء دين المسيح عليه السلام وباباواتهم انها ممتدة الى السفل مستقرة على أعمدة واسطوانات ، بل نقل عنهم ماهو أشنع من هذا .

(٣) - عن بعض القدماء انها مخروطية الشكل كالجبل رأسه الى فوق وقاعدته الى السفل ولانهاية لأسفلها .

(٤) - عن انكسميندر أنها كالاسطوانة المستديرة .

(٥) - انها مكعبة - أى مسدسة السطوح .

(٦) - انها كالدف .

(٧) - انها كالطبل .

(٨) - انها كطبل منصف .

(٩) - عن هركلى تس انها كسفينة مجوفة .

(١٠) - انها على شكل ترس .

(١١) - عن قدماء اليونان انها كدائرة مسطحة مركزها بلاد اليونان ومحيطها سواحل المحيط .

(١٢) - عن جمهور الفرس واليونان والعرب انها كرة تامة محيطها الاستوائى مساو لمحيطها القطبى ، ولاتخرجها الجبال عن الكروية الحسية . اذ نسبة أعظم جبل عليها كشعرة على سطح كرة قطرها ذراع . وهذا الرأى لم يكن بين الافرنج الى القرن التاسع الهجرى عصر اكتشاف أمريكا (١) .

(١٣) - مختار نيوتن المتوفى سنة ١٧٢٧م والمتأخرين عنه ، وهو انها شبه الكرة وليست كرة تامة لوجود تسطيح فى جانبى قطبيها ، أى يقصر محيطها القطبي عن محيطها الاستوائى نحو ثلاثة عشر فرسخاً ، ويقصر أحد القطرين الاستوائيين عن الآخر بميلين .

وهــذا الرأى قد فاز اليوم بالشهرة وتصديق الحكماء وقيام البراهين والشواهد عليه .

وأما الشريعة الاسلامية ففيها اشارات ودلائل على كروية الأرض بل وعلى تسطيح قطبيها وفاقا للرأى الأخير . أما الاشارات فانها تعرف من

(١) كان هذا رأى علماء الاسلام فى صدر الإسلام (ف) .

تشبيهات الأئمة عليهم السلام لجرم الأرض بالأجسام المستديرة استدارة غير تامة غالباً كالربوة والدرة والمهات والجبل من زبد وفلقة الجوز والقبة ونحوها.

وأما الدلالات (فاحداها) قوله تعالى: ﴿ برب المشارق والمغارب ﴾ (١) فان كروية الأرض تستلزم ان تكون كل نقطة فرضت عليها مشرقاً لقوم ومغرباً لقوم - كما سيأتى - فيصح تكثر المشارق والمغارب بناء على الكروية من غير ان نتكلف فى تفسير الآية.

(الثانية) - ماوجدته فى كتاب التهذيب والوافى والوسائل مسنداً عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال لبعض أصحابه: « مسوا بالمغرب قليلا فان الشمس تغيب من عندكم قبل ان تغيب من عندنا » وقال عليه السلام فى خبر آخر: « فانما عليك مشرقك ومغربك ».

أقول: وفى هذين الخبرين دلالة على ان المشرق والمغرب يختلفان باختلاف بقاع الأرض وان الشمس تغيب عن قوم قبل مغيبها عن آخرين، وهذا المعنى من لوازم كروية الأرض واستدارتها من طرف الخط الاستوائى بل كل نقطة تفرضها على سطحها هى مشرق لمن فى مغربها ومغرب لمن فى مشرق.

(الثالثة) - ماوجدته فى البحار والوسائل والمجالس للصدوق مسنداً عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال. صحبنى رجل يمسى بالمغرب ويغلس بالفجر فكنت انا اصلى المغرب اذا وجبت الشمس واصلى الفجر اذا استبان لى، فقال لى الرجل: مايمنعك ان تصنع مثلما اصنع فان الشمس تطلع على قوم قبلنا وتغرب عنا وهى طالعة على آخرين بعدنا؟ قال عليه السلام: فقلت: انما علينا ان نصلى اذا وجبت الشمس عنا واذا طلعت الفجر عندنا، ليس علينا الاذلك

(١) سورة المعارج آية ٤٠.

وعلى أولئك أن يصلوا إذا غربت عنهم .

ويظهر من استدلال الرجل على مطلبه باختلاف المشرق والمغرب الناشيء عن استدارة الارض ومن تقرير الامام عليه السلام لكلامه والموافقة معه فيه انه كان أمراً واضحاً مسلماً بين المسلمين ، ويظهر ذلك أيضاً من فتاواهم فى أبواب الصلاة والمواريث وغيرهما.

(الرابعة) ـ ماوجدته فى باب الحج من الكافى وفى الوافى والبحار بسند قوى عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان الله عز وجل دحى الارض من تحت الكعبة الى منى ثم دحاها من منى الى عرفات ثم دحاها من عرفات الى منى . . . » .

تفطن الى دلالته على استدارة الأرض العلامة المجلسى (ره) بناء على تفسير الدحو بالبسط ، أى بسط الله تعالى الأرض من موضع الكعبة الى موضع منى ثم بسطها من منى الى موضع عرفات ، فانها وراء منى بالنسبة الى الكعبة المعظمة ، ثم بسطها ومدها وطواها من تحت مركز الأرض الى ان اوصلها الى الجهة التى ابتدأ منها وهى جهة منى ـ اعنى موضع الكعبة .

ولو فسرنا (الدحو) بمعنى الدفع والتحريك ـ كما سيأتى ـ كانت دلالته على استدارة الأرض بالزام من العقل ، كما ان الادلة الناطقة بتحرك الارض يستخرج منها الكروية أيضاً من جهة التلازم بينها وبين الحركة الوضعية .

(الخامسة) ـ ماوجدته فى الكافى والبحار والانوار النعمانية ومجمع البحرين للشيخ الطريحى فخر الدين وغيرها عن الامام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام انه ذكر مبدأ الخلقة فى خبر له فقال : « فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ثم طواها فوضعها فوق الماء » .

ولا يخفى أن تطوية الارض كتطوية السماء ظاهرة فى ادارتها ، كما

يطوى العود والكتاب . وفيها أيضاً اشارة الى تسطيحها من طرف القطبين ـ كما الحالة فى السجل المطوى ـ فيكون هذا التعبير أقرب التماثيل والصور للرمز والايماء الى هذا السر الدقيق ، ولو تصفحت اخبار الشريعة الطاهرة لما ظفرت على خبر ظاهر فى أن الأرض كرة تامة . نعم انما تنطق باستدارتها من الطرف الاستوائى فقط ، أو يومى الى تسطيح القطبين بحسب مقتضى المقام .

(السادسة) ـ ماوجدته فى البحار وبصائر الدرجات واختصاص المفيد مسنداً عن الامام السادس جعفر الصادق عليه السلام انه قال : « ان منا أهل البيت من الدنيا عنده بمثل هذه ، وعقد بيده عشره (١)

قال العلامة المجلسى : عقد العشرة بحساب العقود هو ان تضع رأس ظفر السبابة على مفصل انملة الابهام ليصير الاصبعان كالحلقة المدورة .

أقول : كان المتقدمون يفهمون من ظاهر هذا التمثيل احاطة الامام وتسلط ولى الله على ما فى الكون ، وظنى انه عليه السلام قصد بذلك تمثيل شكل الدنيا ـ أى الأرض ـ بشكل كرة غير تامة مثل شكل الكف المقبوضة ، فقال عليه السلام : « إن منا أهل البيت » ويعنى بذلك نفسه أو الوصى بعده والامام لمن تبعه « من الدنيا عنده » أى شكل الأرض « بمثل هذه » يعنى الأرض عنده كرة غير تامة مسطحة عند القطبين ومستديرة عند المشرق والمغرب مع وجود الوهاد والجبال . فما أشبه هذه الصورة بالكف المقبوضة ، ولا سيما تسطيح جانبيها .

وقد صدق الامام عليه السلام فى تخصيصه هذا العلم بوصى النبى (ص) ، اذ لم يكن فى زمانه من يعتقد هذا الشكل لجرم الأرض لا من عوام الناس ولا من خواصهم وانما اكتشفه المتأخرون بعد الألف من الهجرة .

---

(١) وفى حديثه الآخر : ان الدنيا تمثل للامام كفلقة الجوزة ، وبسنده الآخر : ان الدنيا ممثلة للامام كفلقة الجوزة .

وبالجملة فظواهر الشرع الاسلامى قوية من جهة الصدور والظهور فى الرأى الحادث لشكل الأرض ، وليس فيه ظواهرتنا فى ذلك تنافياً ظاهراً ، فان قوله تعالى : ﴿ والى الأرض كيف سطحت ﴾ (١) عام الدليل على السطح المحدب والمقعر والمستوى ولا يثبت به السطح المستوى فقط لجرم الأرض حتى ينافى السطح الكروى . وكذلك قوله تعالى : ﴿ جعل لكم الارض بساطا ﴾ (٢) أو قوله : ﴿ فراشاً ﴾ (٣) فان البسط كثيراً مايؤتى به لبيان قابلية الارض لتوطن الحيوان عليها والسكنى والحرث وسهولة السلوك فى مناكبها كما انه تعالى علل بسطها بقوله بعد ذلك : ﴿ لتسلكوا منها سبلا ﴾ . والامر متضح لمن أنصف وتدبر .

تتمة مهمة

(فيما تقوم الارض عليه)

قد تكرر فى آثار شريعتنا من خطبها وأخبارها وأدعيتها - كما لايخفى - ان الارض قائمة بنفسها فى الفضاء غيرمعتمدة ولا محمولة على جرم غيرجرمها وفاقا للمحققين من الحكماء .قال الله تعالى : ﴿ ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره ﴾ (٤) قال ابن شهر اشوب هبة الله بن سلامة فى الناسخ والمنسوخ :

---

(١) سورة الغاشية آية ٢٠ .

(٢) سورة نوح آية ١٩ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢ .

(٤) سورة الروم آية ٢٥ .

﴿ بأمره ﴾ يعنى بلاد عامة تدعمها ولا علاقة تتعلق بها . وقال غيره : يعنى ان اقامتها بلا مقوم محسوس هى من قدرته ، ولوكان غير ذلك لم يتحقق كونه آية ربانية .

وقال تعالى : ﴿ ان الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ﴾ (١) أى بناموس الجاذبية العامة .

وقال على عليه السلام فى خطبة مروية عنه فى نهج البلاغة والاحتجاج والبحار وغيرها عند توصيفه خلق الارض : « وأرساها على غير قرار وأقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم » وقال عليه السلام فى خطبة اخرى مروية فى البحار وغيره « خلق السماوات والارض بلا عمد قائمات بلا سند » .

وقال النبي (ص) فى دعاء رواه السيد ابن طاوس فى مهج الدعوات والعلامة المجلسى فى البحار : « نور السماوات والارضين وفاطرهما ومبتدعهما بغير عمد خلقهما فاستقرت الارضون بأوتادها فوق الماء » (٢) .

وقال (ص) فى دعاء وداع شهر رمضان المبارك كما فى البحار وغيره : « وبسط الارض على الماء بلا أركان »

وفى دعاء يوم الاحد كما فى مصباح المتهجد والبحار وغيرهما « فاستقرت الارضون على الرواسى الشامخات » .

ويعضد كل هذا ماسأتلوه عليك من الادلة الشرعية على تحرك الارض يومية أو سنوية ، بل ويعضده أيضاً ماتلوته من الاخبار الدالة على استدارة

---

(١) سورة فاطر آية ٤١ .

(٢) فى هذا الحديث اشارة الى ان أوتاد الارض - أى الجبال - هى الموجبة لاستقرارها عالية على الماء ، ولولا أصول الجبال والمواد الحجرية لذابت الارض كالرمل ولعبت المياه والامواج فيها واستولى البحر على البر .

الارض وان الشمس تطلع على قوم قبل قوم وتغرب عن قوم بعد قوم من الامم القاطنة على صفاحها ، فان ذلك كله مناف لاستقرار الارض على جرم.

نعم ، انما يستشكل المعترض فيما ورد فى الشريعة من ان الأرض خلقت على الحوت أو على قرن الثور ونحو ذلك . وفى خبر مأثور فى الدر المنثور انها بين قرنى الثور ، مع الجزم بأن الأرض كرة معلقة فى جوف الفضاء يحيط بها من اطرافها كرة الهواء . ولذا لم يؤمن بهذه الأخبار كثير من الفضلاء وأولها جماعة إلى المعانى الباطنية .

وقد منّ الله تعالى على بفتح مقفلها وحل مشكلها بتقدير المضاف ، وهو امر شائع عند البلغاء ، والمعنى أن الأرض خلقت على شكل قرن الثور - بناءاً على القول المختار فى هذه العصور - فيكون التناسب بين هيئة الأرض وهيئة قرنى الثور من جهات :

(الأولى) - أن وضع القرون فى الثيران على الاستدارة من طرفى اليمين والشمال ، وكذلك الأرض مستديرة من طرفيها المشرق والمغرب ، فيناسب ذلك ما فى بعض الأخبار من أن قرناً من قرنى ذلك الثور فى المشرق والقرن الآخر فى المغرب . ومن الغريب أن استدارة القرن بهذه الكيفية مخصوص بنوع الثيران ليس لباقى الأنعام وذوات القرون مثله على ما استقريناه

(الثانية) - إن شكل القرنين فى الثور مسطح من طرفيه الأعلى والأسفل ومحدب مستدير من جانبيه اليمين واليسار ، وقد عرفت استكشاف (نيوتون) واصرار من تأخر عنه على أن الأرض مستديرة الجانبين مسطحة القطبين ، وذكرنا أن هذا المعنى المستخرج بالآلات الدقيقة والأفكار الحادة مستفاد من أخبار وافرة عن النبي وعترته الطاهرة (ع) .

(الثالثة) - ان جرم الأرض على الدوام واقع فى طرف مدار بيضوى

وكذلك قرنا الثور واقعان فى موضع من رأسه ، لو فرض خط وهمى من موضعهما إلى ذقنه بحيث يحيط بتمام رأسه ذلك الخط ظهر شكل المدار البيضوى ولو اعتبرت المدار بدن الثور ايضاً كان قرناه واقعين فى موضع من البدن لو فرض خط وهمى من موضعهما الى موضع الذنب بحيث يحيط بجثته ذلك الخط ظهر ايضا شكل المدار البيضوى .

فالحدس يطمئن بأن الحجج - عليهم السلام - لم يجدوا مساغا لتوضيح هذه العلوم والأسرار لجهال عصرهم فأدرجوها فى طى كلماتهم ورمزوها فى ضمن اشاراتهم لأجل ذلك ، وضربوا للاشارة الى مطالوبهم تمثالا جامعا لأكثر الجهات بأخصر العبارات ، حتى إذا تلى بعدهم على اهل العلم والتحقيق استخرجوا من طيه السر الدقيق .

وهكذا العلاج فى خلق الأرض على الحوت - أى على شكل الحوت كما سأشرحه فى المقالة التاسعة من مسألة تعدد الأرضين عند شرح البحار السماوية ، وسيتضح هنالك شرعا أن الأرضين السبع كل منها مخلوق على صورة الحوت والسمكة وفاقا للهيئة الحاضرة .

وكأن السائلين من الحجج (ع) عما تقوم عليه ارضنا كانوا على اصناف:

(فمنهم) من قرأ الصحف الآلهية وحفظ العهود القديمة المذكور فيها خلق الأرض على الحوت أو قرن الثور أو الصخرة ونحوها ، فكان يقصد من سؤاله امتحان علم النبي الأمى وخلفائه المعصومين ، وعندئذ كان الواجب عليهم أن يجيبوه كما حفظه وفهمه من الصحف لئلا يسيء الظن بعلمهم (ع) .

(ومنهم) من استغرق فى جهله بحيث لو أجابوه بأن الأرض مع عظمتها متوسطة فى الفضاء بين الهواء لكذبهم البتة ونسبهم الى ما لا يليق بحضرتهم ، فكأن الحجج (ع) من حسن تدبيرهم يظهرون الحق على صورة

يقنع العامى بها ايضا ، فيقولون : هى على قرن الثور أى على شكل قرن الثور ، فاذا سألهم عن الثور قالوا : هو على حوت أى على شكل حوت ، واذا سألهم عن الحوت قالوا : على الماء ، فاذا سألهم عن الماء قالوا : على الظلمة أى ظل الأرض أو على قدرة الله تعالى. وربمـــا قالوا عند ذلك : هيهات هيهات ههنا ظل علم العلماء ، وجميع هذه الأجوبة حق وصدق حاو على اسرار جليلة .

«المسألة الثالثة»

(فى تحرك كرة الأرض)

قد شاع فى هذه العصور أن ارضنا متحركة بجميع ما فيها وما عليها ، وان الاجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم لاتدور حقيقة حول الأرض يومياً بل الأرض تدور على نفسها مرة فى كل ٢٤ ساعة ، وبسبب ذلك تطلع عليها الأجرام ثم تغيب . وهذا الرأى العجيب أن صح فلماذا سكت عنه شرع الاسلام عند ما كشف لنا خفايا الأجرام ؟

(الجواب)

لا ريب أن الناظرين إلى ارضنا نظرة بدوية يعتقدون انها ساكنة فى موضعها واجرام السماء هى الطائفة حولها فى كل يوم وعام ، وقد استحكمت هذه العقيدة من قرون بعيدة فى عقول البشر حتى عدت من أبده الواضحات ، ولذلك كان اختيار - دوران الأرض من الوهن والغرابة بمثابة صعب حتى على الحكماء تجويزه . واول من كشف الستر عن هذا السر (فيثا غورس) النابغ قبل الميلاد بقرون بخمسة وتبعه (فلو طرخوس) و (ارخميدس) ثم قوى رأيه (ارسترخوس) الساموسى بعده بقرنين ، وعلم دوران الأرض السنوى حول الشمس ايضاً فشكى عليه بالكفر . ثم نبغ بعده بنصف قرن (كليا نثوس) من اسوس واختار الحركتين للأرض فشكى عليه ايضاً بالكفر امام الحكام . ثم ظهر (بطلميوس) بعيده بقليل فأوضح

سكون الأرض الذى كان الناس يزعمونه فطريـــاً ويحسبونه بديهياً ورتب الأجرام السماوية والحركات الفلكية على ما فصله فى المجسطى وأوجزناه فى المقدمة السادسة ، فنال نظامه الصوت والصيت فى العالم المتمدن حتى اصبح المتفلسفون من المسلمين وغيرهم ينقحون هيئته ويدافعون عنها ، وكان فى مهرتنا من يدفع الموانع عن تحرك الأرض ايضاً كالعلامة الطوسى نصير الدين والفاضل العاملى بهاء الدين .

وكان الأفرنج يومئذ غارقين فى الضلالة عريقين فى الجهالة ينظرون الى المسلمين اشد من نظرنا اليوم اليهم كما قال الله تعالى : ﴿ تلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ وكان استبداد البابا ويين قد منع الأفواه والأفهام منهم عن التحرك فى سبيل العلوم العقلية واظهار ما لا تقبله الكنيسة ، وقد احرقت ألوفاً من المستنيرين بعلوم الاسلام وفلسفة ابن رشد القرطبى .

وحسبك أن الحكيم (برونو) نطـــق بسير الأرض قبل الألف الهجرى فهجروه عن أوطانه ثم سجنوه ست سنين ثم احرقوه واحرقوا كتبه واجترى الحكيم (غاليـله) بعد الالف الهجرى فأثبت الحركتين للأرض فأهانوه واضطهدوه حتى قارب الهلكة ، ثم سجن طويلا مع جلالته وحقوقه العلمية (١) .

من جراء هذه الحوادث واشباهها صار حكماء الافرنج يكتمون كشفياتهم الأنيقة المخالفة للخرافات العتيقة خوفاً من الكنيسة الرومية ، ولكن

---

(١) يقال انه اوقفوا غاليله مرة امام مجلس التحكيم واجبروه ليرجع عن قوله والاقتل فقال : انى غاليله بعد عمر ٨٠ سنة اشهد بأن الشمس تدور حول الأرض ساكنة . . فلما خرج قال لأصحابه : ان الرأى الذى ينبت فى القلب فى هذا العمر لا يخرج منه بهذه الاضطهادات .

الثقافات الحديثة التي محت عنهم تلك التوحشات وحررت رقابهم وافهامهم وألسنتهم واقلامهم اراحت عالماً من العلماء في اظهار الآراء والعلميات المربية للبشر ونظامه ، فجالت بذلك الحكماء في ميادين العلوم وجادت بما استفادت حتى اضحت الغرائب العلمية ينطق بها الشيخ والصبي ويتلقاها من كثرة التوضيحات كل ذكي وغبي .

واول من نطق بتحرك الأرض من الافرنج هو (الكردينال ديكورا) ثم (الكردينال الينا كوس) ثم (جون مولار) لكنهم لم يتجاهروا بالقول ولا أتوا بأدلة مقنعة على هذا الأمر المستغرب في ذلك الوقت ، حتى قام (كوبرنيك) في حدود الألف الهجرى واقام ادلة قوية وكتب الرسائل والكتب في هذه المسألة ، فصار بذلك محييها ومؤسساً للهيئة الجديدة وسلك الحكماء مسلكه . فأصبح اليوم هذا النظام هو الشائع بين الأنام واضحى تحرك الأرض من جملة المسلمات الواضحة لو فور الشواهد العلمية عليه واشارة البراهين اليه ، مثل تجارب (فوكات) بالرقاص القطبي ، وميل الأجسام الساقطة من مرتفع الى شرقى مسقطها الحقيقي ، وآلة (جير سكوب) وانحراف النور ، ومبادرة الاعتدالين ، وتأخر القطار الغربي عن الشرقي نحو ميلين في الساعة وغيرها .

وخلاصة القول : إن اختيار تحرك الأرض في العصور الماضية اذ كان بمكان من الغرابة والوهن لم يكن للأنبياء ودعاة الآخرة اعلان دعوته ، حيث تصدهم مخالفة الجمهور عن انفاذ وظائفهم المقدسة - كما مر في المقدمة الخامسة وغيرها - مع أن خطأ الناس في مثل ذلك غير مفسد لأمر معاشهم او معادهم ، فلو سكت شرع عن اثبات مثل ذلك أو نفيه أو سلك فيه مسلك العرف مما شاناً ومداراتاً من باب السياسة لم يقع موقع لوم العقلاء

او ذمهم .

واما الاسلام فاذ كان ظهوره فى ابناء جاهلية أو همجية لا يؤمنون بما اوضحته الأدلة فضلا عن الحقائق النظرية المخالفة لمعتقداتهم سلك طريقة العقلاء معهم فأومأ الى هذه الدقائق فى بدو البعثة بطريق الايجاز والاجمال ، ثم على حسب تنورهم بالمعارف شرح لخاصتهم تلك الأقوال . واذكر الآن ما ظفرت عليه فى الكتاب والسنة من الظواهر المشعرة او المصرحة بتحرك الأرض .

اما القرآن العظيم ففيه آيات بينات تفيد ذلك .

(احداها) - قوله تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها . اخرج منها مائها ومرعيها . والجبال ارساها ﴾ (١) . تفطن بدلالة هذه الآية والثانية والثالثة سيدنا العلامة السيد محمد حسين الشهرستانى المرعشى الكربلائى المتوفى سنة ١٣١٥ فى رسالة نشرها فى حركة الأرض سنة ١٣١٣ ، ويلزمنا شرح ما اشار اليه فنقول : دحو الأرض امر متواتر فى مقالات شرعنا بألفاظه وبمعانيه - كما لا يخفى - وكان المسلمون جميعاً حتى اليوم يفهمون من لفظ الدحو معنى البسط ، ويفسرون به كل ما ورد فى الشرع ، لكننا بعد الرجوع الى كتب اللغة ومواضع استعمال العرب لهذا اللفظ وما اشتق منه نجد جلها أو كلها تشير الى معنى آخر للدحو - اعنى به الدفع والدحرجة - ونرى معنى البسط لم يذكره بعض اللغويين للفظ الدحو وذكره الآخرون من جملة المعانى المستعملة نادراً كما ستعرف ، فينقدح من ملاحظة ذلك فى الفهم مظنة ان المراد من الدحو الوارد فى الكتاب والسنة انما هو معناه الشائع الظاهر لدى عرف العرب - اعنى به الدفع والدحرجة - لكن المفسرين ونحوهم اساؤا التفسير حيث استحال فى عقولهم تحرك الأرض عن مقرها فوجهوا اللفظ

(١) سورة النازعات آية ٣٠ - ٣٢ .

الى معنى آخر يناسب مبلغ علمهم ، وهو معنى البسط .

ولعمرى ان الاستبداد العلمى من المفسرين ونحوهم غرس اصول الخلاف فى المسلمين وفعل ما فعل وسيفعل ، ولا يزيل الداء الاضد ما اوجده

* * *

ويجب الآن ذكر الشواهد على ان الدحو لغة معناه الدفع والدحرجة :

(فمنها) ما فى القاموس : « دحيت الابل اى سقتها ، والمدحاة خشبة يدحى بها الصبي فتمر على الأرض لا تأتى على شيء الا اجتحفته » . يعنى لا تمر على شيء الاجلبته معها ، والحركة فى هذه العربة الخشبية ايضاً مركبة من الوضعية والانتقالية كسير الأرض ، وعلى هذا يكون التعبير عن حركة الأرض بالدحو فى غاية المناسبة ، اذا الأرض عند المتأخرين فى حركتها الانتقالية لا تمر بكرة صغيرة فى الفضاء الاجذبتها الى نفسها .

(ومنها) ما فى مفردات الراغب قال : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ اى ازالها عن مقرها ، وهو من قولهم : دحا المطر الحصا عن وجه الأرض فيدحو ترابها ، ومنه ادحى النعام ، فدحو الحصا بالمطر وكذلك دحوا جزاء التراب بحافر الفرس انما يكونان بالحركة المركبة من الوضعية والانتقالية على مثال حركة الأرض المركبة من سير وضعى حول نفسها وسير انتقالى حول شمسها .

(ومنها) ما اشتهر فى نعت على امير المؤمنين (ع) انه داحى باب خيبر اى راميها (١) ، ورمى الشيء بالحركة الانتقالية لا ينفك غالباً عن دوران

---

(١) ورد فى ذلك آثار لا تحصى واشعار لا تستقصى ، ولا يناسب دحو باب خيبر معنى البسط ، قال ابن ابى الحديد فى السبع العلويات :

يا داحى الباب التى عن هزها عجزت اكف اربعون واربع —

على نفسه .

(ومنها) ما فى صحاح الجوهرى : « الأدحوة مبيض النعام فى الرمل لأنها تدحوه عند حفرها برجلها ثم تبيض فيه » ودحو النعامة للرمل ايضاً تحريك منها له بنحو الدحرجة كحركة الأرض فى الفضاء وكذلك دحوها للبيض

(ومنها) ما فى كتاب اقرب الموارد : « دحى المطر الحصى على وجه الأرض دفعها ، ويقال للاعب بالجوز : ابعد المدى وادحه ، اى ارمه . ومر الفرس يدحو دحواً رمى بيديه رمياً » فلغة الدحو تفيد معنى التحريك بنحو الدحرجة فى الجميع فى الحصى والجوز والتراب كتدحرج الأرض فى الفضاء .

(ومنها) ما فى البحار وغيره عن امير المؤمنين (ع) انه قال فى خبر طويل : « فلما خلق الله الأرض دحاها من تحت الكعبة ثم بسطها على الماء فأحاطت بكل شىء » فان الدحو لو كان بمعنى البسط لا ستغنى عن قوله : « ثم بسطها » فعطف البسط على الدحو دليل المغايرة ، خصوصاً اذا كان العطف بحرف (ثم) الدال على الترتيب مع تراخى زمان الثانى عن الأول . ويشير هذا الخبر إلى كروية الأرض ايضاً لقوله (ع) : « فأحاطت بكل شىء » فان احاطة الجسم كناية عن استدارته ، والمراد من الشىء هو الشىء الأرضى قطعاً

وترتيب تكوين الأرض فى هذا الخبر موافق لآراء المتأخرين ، اعنى خلق الأرض اولا ثم تحريكها ودحراجها ثم كرويتها الناشئة عندهم من

— وفى ارشاد المفيد فى صفة صخرة قلعها على (ع) عن فم القليب قال : فحركها على (ع) ثم قلعها بيده ودحى بها أذرعاً كثيرة . كما قال السيد اسماعيل ابن محمد الحميرى فى قصيدته البائية المذهبة :

فكأنها كرة بكف حزوّر   عيل الذراع دحى بها فى ملعب

دورانها على نفسها ، فافهم .

(ومنها) ما فى النهاية لابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ قال : « وفى حديث ابن عمر : فدحى السيل فيه بالبطحا ، اى رمى وألقى ، ومنه حديث ابى رافع : قد كنت ألاعب الحسن والحسين عليهما السلام - اى فى حالة الطفولة - بالمداحى ، وهى احجار امثال القرصة - اى مستديرة - كانوا يحفرون حفيرة ويدحون فيها تلك الأحجار، فان وقع الحجر فيها فقد غلب صاحبها، والدحو رمى اللاعب بالحجر والجوز وغيره . وسئل ابن المسيب عن الدحو بالحجارة فقال : لا بأس به ، اى المراماة بها » . فلفظة الدحو وفروعها مستعملة جميعاً فى تحريك يشبه الدحرجة كدحو السيل للرمل ودحو اللاعب للجوز والاحجار المدورة وكذلك الموارد السابقة ، وهو دليل على أن هذا المعنى حقيقى لهذا اللفظ لكونه المتبادر منه إلى الأفهام والظاهر فيه والأكثر استعمالا بخلاف المعانى الأخرى، فيكون تفسير اللفظ به اولى فيتم مطلوبنا من الآية المقدسة ، اعنى تدحرج كرة الأرض فى الفضاء بحركة مركبة من وضعية وانتقالية كالجوز الذى يرميه اللاعب وغيره مما ذكر .

ويعتضد فهم هذا المعنى انه تعالى عقب قوله : ﴿ دحاها ﴾ بقوله : ﴿ اخرج منها مائها ومرعاها ﴾ فان نبوع المياه ونبوغ الأشجار وتغيراتها متفرعة على حركة الأرض يومياً وسنوياً الموجبة لانقلاب طبائع الكون واختلاف الفصول والاحوال ، فيناسب وضع اخراج الماء والمرعى بعد وضع تحرك الأرض ليوافق الوضع الطبع .

(الآية الثانية) - قوله تعالى : ﴿ الذى جعل لكم الأرض مهداً ﴾ (١) فان المهد فى العرف واللغة اسم للمضجع المعمول للرضيع ونحوه من خشب او غيره

---

(١) سورة طه آية ٥٣ وسورة الزخرف آية ١٠ .

حتى يهتز الطفل بنعومة فينام فيه مستريحاً ، فيجوز تشبيه القرآن ارضنا بمهد الطفل وأن الله تعالى جعل الأرض مهداً لعباده ينمون فيها وينامون ، وكما ان المهد ناعم فى حركته مع سرعته لا ميلان فيه ولا اضطراب كذلك الأرض تتحرك فى الفضاء بنعومة وسهولة لا تميل ولا تميد ، حتى تنافى استراحة اطفالها الرابين فيها بعناية الله تبارك وتعالى . وكما أن تحرك المهد مطلوب لتربية المولود وتنميته كذلك الأرض تتحرك يومياً وسنوياً وميلياً لتربية ما عليها من المواليد وتنميتهم ، لا سيما وأن هذه الآية فى مقام الاستدلال على جواز البعث والمعاد فيكون رجوع الأرض فى حركتها الدورية أو الخطرانية الميلية شاهد رجوع الانسان ومعاده بعد وجوده الأول وايابه بعد ذهابه . فشارع الاسلام قد نبه الأنام بتحرك الأرض على احسن اوجه التشبيه قبل أن يتفطنوا به بعشرة قرون لكنهم من استبعادهم لذلك كانوا يفسرون المهد بالفراش .

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

(الآيه الثالثة) قوله تعالى : ﴿ وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه . . . ﴾ (١) فان الذلول لغة وعرفا يطلق على صنف من الابل يمتاز عن غيره بنعومة الحركة وسرعة السير وسهولة الركوب على مناكبه ، وحيثما كانت هذه الصفات كاملة فى الأرض بناءاً على تحركها واطلق الشارع اسم الذلول المعروف بهذه الصفات على الأرض جازلنا استظهار تحرك الأرض من هذه الآية الشريفة لو لا مانع قطعى خارجى .

ولا يذهب عنك أن الآية تعطى بظاهرها معنى آخر ، وهو جعل

(١) سورة الملك آية ١٥ .

الأرض ذلولا لاستفادة ابنائها ، أى ذليلة ومنقادة للزرع فيها والمشى عليها لكنها مع ذلك مناسبة مع الرأى الجديد ايضا ودالة عليه بنحو التشبيه والتجوز القريب ـ على ما مضى من التقريب ـ بحيث لو فرضنا الشارع يدعى ارادة هذا المعنى الجديد من الآية لما جاز الانكار عليه بقصور الاية عن اظهار هذا المرام ، لمساعدة الايه مع المعنى الحادث .

(الآية الرابعة) - قوله تعالى : ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء﴾ (١) لم اجد احداً أسبق من الفاضل اعتضاد السلطنة على قلى ابن الخاقان فتحعلى شاه قاجار من حيث التفطن بدلالة هذه الآية المباركة على المطلوب ، وقد اشار الى ذلك قبل اليوم بأكثر من خمسين سنة ، ولامحيص من الشرح فنقول : أن الايات السابقة على هذه الآية مسوقة لبيان اهوال القيامة واحوالها . وبمناسبة ذلك كان القدماء يقيسون هذه الاية ايضاً عليها ، ولكن تحرك الأرض اذا صح وتم جازلنا استظهاره من هذه الاية وصرفها عن سياق ما سبق عليها (٢) .

ورجح فى النخبة الأزهرية هذا التفسير على تفسير المتقدمين بأن البلاغة تقتضى عند الإخبار عن الفناء والتدمير واهوال المصير أن يقول : « قهر الله الذى يفنى كل شىء » ونحوه ، ولا يناسب قوله تعالى : ﴿صنع

---

(١) سورة النمل آية ٨٨ .

(٢) الخبير بأحوال القرآن الكريم يعترف بأنه قد نزل تدريجا ثم جمع ودون ، فكانت تنزل آية فى احوال القيامة ثم تنزل آية اخرى فى شأن شخص او حكم ثم تنزل آية فى شأن القيامة ايضا أو غيرها حسب مناسبة المقامات واقتضاء الحالات ، فلا يتم التمسك بدلالة السياق فى آيات القرآن .

الله الذى اتقن كل شىء ﴾ الا عند التحمير وبدو التكوين وتحسين الخلقة (١) والجمل الواقعة فى الاية ايضاً تشعر بأن الحكم فعلىّ والصفة ثابتة وليس مما سيحدث فى المستقبل ، مثل ﴿ وهى تمر ﴾ و ﴿ اتقن كل شىء ﴾ .

* * *

وقد استفدت من هذه الاية لطائف ، منها :

١ - جعل الجبال مرآتاً لتحرك الأرض دون نفس الأرض ، فان الأرض كرة متحركة على نفسها . وكل كرة متحركة على نفسها لا تظهر الحركة فيها الا اذا كان عليها تضاريس أو تلونات ونقوش ، فتظهر الحركة حالة اذ بواسطة ظهور حركات تلك التضاريس أو الألوان وانتقالها من مكان الى مكان فرعاية لهذه اللطيفة قد يكون الله تعالى جعل الجبال مرايا لتحرك الأرض ومظهراً له .

٢ - توصيف الجبال بالجمود دون السكون أو الركود ، اذا الجمود قد

---

(١) ولدى قرائن اخرى تدل على ذلك :

(منها) قوله تعالى : ﴿ تحسبها جامدة ﴾ فانها تعطى بظاهرها أن الانسان يوم القيامة يبصر الجبال جامدة والحالة انها فى الواقع تمر مر السحاب ولا ريب أن ذلك لا يحدث فيه هولا حتى تكون من اهوال القيامة . نعم انما تحدث فيه هولا اذا كانت تمر مر السحاب فى نظره وحسبانه ، فلا يجوز ان تكون الاية لبيان اهوال القيامة وانما يجب حملها على الحالة الحاضرة الدنيوية .

(ومنها) قوله تعالى فى آخر الاية : ﴿ انه خبير بما تفعلون ﴾ فان الاية لو كانت لبيان اهوال القيامة لناسب ان يقول : « انه خبير بما فعلتم » لا بالجملة الحالية المفيدة للتجدد .

يكون ابلغ فى المقام وابعد من احتمال الحركة ، فتشعر الاية بامتناع سير الجبال فى زعم العرف كالجامد فى محل ، مع انها تمر فى الحقيقة مر السحاب .

٣ ـ التعبير عن هذه الحركة بالمرور ، اذا المفهوم منه نعومة الحركة كما هو شأن حركة الأرض .

٤ ـ تشبيه الجبال بالسحب فى مسيرها لمناسبة بينهما من جهة السرعة مع النعومة ، ومن جهة اختلاف الحركات فى السحب شرقا وغربا وشمالا وجنوبا كالأرض فى حركاتها التى يأتى تفصيلها فى آخر هـــذه المسألة ، ومن جهة تشابه الحركة فى كل سحابة واستوائها اذ لا تسير مضطربة ولا بنحو القفز .

(الآية الخامسة) ـ قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً او كرهاً قالتا اتينا طائعين ﴾ (١) وهذه من الآيات التى تفطنت باشعارها بتحرك الأرض وذكرها مع غيرها فى غير هذا الكتاب. والبيان الموجز هو : ان الاتيان ظاهر لغة وعرفاً فى الحركة الحسية الانتقالية ، والقدماء اذ لم يجوزوا تحرك الأرض طفقوا يؤلون هذه الظواهر الى غير حقائقها ، ولو صح تحرك الأرض لم نحتج الى تأويلاتهم وكان موافقة ظاهر اللفظ أولى ، لاسيما بعد البناء على ان السماء الدنيا هى الأتومسفر المحيط بأرضنا كما يثبته قوله تعالى : ﴿ وهى دخان ﴾ وسأثبته فى مسألة حقيقة السماوات وفى مسألة الرجوم ، فان السماء الدنيا مع أرضنا تتحركان معاً فى جوف الفضاء بحركات مختلفة وضعية وانتقالية حول الشمس وحول أنجم (هركول) كالكرة المتدحرجة .

فيكون معنى ظاهر الآية ان الله تعالى توجه الى السماء بنظرة عنائية ﴿ وهى دخان ﴾ أى بخار ماء ﴿ فقال لها وللأرض ﴾ بأمر واحد تكوينى ﴿ ائتيا ﴾

---

(١) سورة فصلت آية ١١ .

أى انتقلا وتحركا من حيزكما معاً ﴿ طوعاً ﴾ لنظام هذه الشمس ﴿ أوكرهاً ﴾ عنها وطوعا لنظام آخر واتباعا لجاذبية عالم آخر ﴿ قالتا ﴾ بلسان الحال الذى هو أفصح من المقال ﴿ أتينا طائعين ﴾ لهذا النظام خاضعين لنواميس هـــذه الجاذبية التى سنها الله تعالى فى هذا العالم .

ولو تأمل الحكيم فى أسرار هذه الآية المقدسة لاطلع على أسرار الأرض فى مبدأ خلقها وأصل تكوين عالم الشمس .

وخلاصة الكلام ان القرآن العظيم مشحون بالآيات الناطقة بالآراء الجديدة لاسيما تحرك الأرض ، ولم نجد فيه آية واحدة تدل على سكون الارض فى حيز مخصوص بها دلالة تامة .

ومادل على ان الله تعالى جعل الأرض سكناً وقراراً لايدل الا على انها مسكن لما عليها ومقر لما فيها .

* * *

وأما مادل على جعل الجبال أوتاداً فى الأرض فلا يدل على سكون الأرض فى مقر بلا سير ولادوران ، فان الوتد على قسمين : خارجى وداخلى

(أما الأول) فهو مايضرب بغرض أن لايزول الشىء عن مقره ، مثل وتد الدابة الذى يربطها بمعلفها لئلا تزول عن موضعها ، وهذا القسم من الوتد يجب ان يكون مركزه ومضربه فى شىء آخر ثابت مستقر غير ماقصدت ان لايزول ، ولا يجوز ان يضرب هذا الوتد فى نفس الشىء قطعاً . الا ترى ان الدابة لو ربط وتدها بنفسها لهربت من دون مانع .

(واما الثانى) مايضرب بغرض ارتباط أجزاء بعضها ببعض كالأوتاد فى الأبواب لبقاء اتصال الأخشاب ومثل الدسر والمسامير فى السفينة لئلا تنفسخ الأجزاء وتتفرق عن وضعها . وهذا القسم من الوتد يجب أن يكون فى نفس

الشيء لا في الخارج عكس الأول كما هو واضح .

وبعد ماعرفت تقسيمي هذا فانظر الى الجبال التي خلقت أوتاداً للأرض هل ركزت في نفس كرة الأرض لتكون من الثاني أو ركزت في الخارج لتكون من الأول ؟ لا يرتاب عاقل في كون الجبال أوتاداً داخلية في الأرض خلقت فيها للتربط الأجزاء بعضها ببعض وتحفظ صورة اتصالها عن التفرق والانفصال ولم تخلق فيها لتمنعها عن السير والحركة . فلو خلقت لتسكينها في مقر ـ كما يزعمه القدماء ـ لركزت في جرم آخر ثابت غير الارض .

وبالتأمل يتضح لك أن الجبال واصولها والمواد الصخرية انما خلقت في الأرض لتمنع سلطان المياه والارياح عنها ، فانها لوكانت رمالا محضاً لنسفتها الزوابع وجرفتها الأمواج على الدوام واستولى البحر على البر وانسابت رمال الأرض كلها الى البحر ، فأمسك الله تعالى الأرض بمواد الجبال من ان تمور في البحور أو تميد وتنقاد لسلطان الأمواج ، ووتدها بالجلاميد لتصان من التفرق والانفراج والأود والإعوجاج اذا عبثت بها الزوابع فلا تذهب عجاجا ويختل نظام العيش والسكنى للنبات والحيوان البرى .

فما جاء في شرعنا بكون الجبال أوتاداً للأرض لايشعر بسكون الارض بل يشعر بأنها متحركة خلافا للقدماء ، وبيانه الموجز : ان الأرض مركز المراكز عند القدماء يستحيل ميلها الى شيء ، فلو كانت ساكنة في الوسط ـ كما يزعمون ـ لاستغنت عن الاوتاد مائعة كانت الأرض أوجامدة ، اذ لا يميل حينئذ جزء منها الى غير مقره فيكون ضرب هذه الأوتاد العظام عبثاً ، ولذلك ترى القدماء كالعلامتين الرازي والمجلسي في اضطراب عظيم هاهنا ، وأما على تحرك الأرض فلا بد فيها من صخور وجبال ، اذ لو كانت تراباً محضاً أوطيناً اونحوه خالية عن المواد الصلبة وعن الجبال الراسية الراسخة في أعماق الأرض

المستمسكة بأصولها وأوصالها لخيف على الأرض من التفسخ فى الفضاء بالحركات المختلفة على أسرع سير ، أذهى تسير بسيرها اليومى اكثر من أربعة فراسخ فى الدقيقة الواحدة وتسير بسيرها السنوى بأسرع من ذلك فى الثانية الواحدة . وعلى هذا اذا استمسك أبعاضها بأصول الصخور وعروق الجبال حفظت من حادث التفرق ولو بنفس تبدل الحيز لتلك الأجزاء .

وقد ظهرت فائدة الجبال التى صارت أوتاداً للأرض حال تحركها ،وهى حفظ أجزائها من الميلان والميدان (١) كما جاء فى القران الكريم : ﴿ وألقى فى الارض رواسى ان تميد بكم ﴾ (٢) أى مخافة ان تضطرب اجزاؤها بكم وانتم عليها . وفى أول خطبة من نهج البلاغة : « ووتد بالصخور ميدان أرضه » وفى الخطبة الاخرى : « وعدل حركاتها » أى الأرض « بالراسيات من جلاميدها » وفى الدر المنثور قال النبى (ص) : « فدحى الله الأرض » أى حركها « من موضع البيت » الكعبة « فمادت ثم مادت فأوتدها الله بالجبال » .

ولو تصفحت أقوال القدماء واضطرابهم فى شرح هذه الآيات والروايات لما برحت عن هذا التحقيق .

* * *

(١) قال ابن الاثير فى النهاية فى مادة (ميد) : وفى الحديث : « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبال » ماد يميد اذا مال وتحرك ، ومنه حديث ابن عباس : « فدحى الله الأرض من تحتها فمادت » ومنه حديث على عليه السلام « فسكنت من الميدان برسوب الجبال » الى ان قال ابن الاثير : ومنه حديث ام حزام : « المائد فى البحر له أجر الشهيد » وهو الذى يدار برأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج .

(٢) سورة النحل آية ١٥ .

وأما الأخبار المأثورة عن النبي والأئمة من أهل بيته عليهم السلام فهي كثيرة أيضاً نقتصر منها على خمسة :

(الخبر الأول) - ماروى فى الاحتجاج والبحار مرسلا عن هشام بن الحكم عن الامام الصادق عليه السلام انه قال فى أجوبته للزنديق : « ان الاشياء تدل على حدوثها من دوران الفلك بما فيه وهى سبعة أفلاك وتحرك الارض ومن عليها وانقلاب الازمنة واختلاف الوقت ... » فقوله عليه السلام : « وتحرك الارض ومن عليها » يعنى البشر وغيره ، وهو تصريح فى إثبات حركة مستمرة للأرض تحركة من عليها وكحركة مافى الفلك من حيث الحسية والانتقال بمقتضى قياس السياق ، ولا محمل لهذا البيان الا رأى المتأخرين فى تحرك الأرض .

وقوله عليه السلام : « وتحرك الأرض » يصلح للحمل على حركتها اليومية وعلى حركتها السنوية أيضاً ، ولكن التأمل فى ألفاظ الخبر يرجح الحمل على الحركة اليوميـة ، فان السنوية مفهومة بالاجمال من قوله عليه السلام : « من دوران الفلك بما فيه » فان الأرض أيضاً من جملة مافى الفلك .

وشرح ذلك : ان الفلك عند المتأخرين موافق لظواهر شرعنا المبين كما مر ، أى ليس فى الحقيقة الا مدار مفروض لجرم علوى ، فوجوده ودورانه انما يكون باعتبار الجرم الدائر فيه ، ويكون قوله عليه السلام : « من دوران الفلك بما فيه » أى باعتبار مافيه وبواسطة أجرام تدور فيه ، كقولنا : « جرى النهر » باعتبار جريان الماء فى النهر و « تحركت الباخرة » بواسطة تحرك البخـار أو الكهرباء فيها ، و « تحرك المنطاد » والمتحرك الحيقيق هو غاز فيه وامثـاله وافرة ظاهرة .

ولما كانت السيارات مع الأرض السبعة فى اعتبار الشرع - كما سأذكره - في مسألة حصر الأرضين فى سبعة - لذلك قال عليه السلام : « وهى سبعة أفلاك »

يعنى المدارات المفروضة للأرضين السبع السيارة حولنا ومنها أرضنا .

وهذا الخبر المقدس مخالف لهيئة القدماء حيث يقول : « وهى سبعة » مع ان الأفلاك العظام كانت عند القدماء تسعة لاسبعة وصغارها اكثر بكثير فلا تستقيم ظواهر هذا البناء العظيم مع البناء القديم الا على القول بتحرك الارض وانها من جملة السيارات المعتبرة فى خطاب الشرع سبعة - كما سيأتى فى المسألة الخامسة وان الافلاك مدارات لتلك السيارات وتدور باعتبارها .

* * *

(نكتة) قال ﷺ : « وتحرك الأرض ومن عليها وانقلاب الأزمنة واختلاف الوقت . . . » فذكر عقيب تحرك الارض انقلاب الازمنة واختلاف الوقت لأنها من فروع تحرك الارض يومياً وسنوياً ، فان انقلاب طبيعة الزمان من الربيع الى الصيف ثم الى الخريف ثم الى الشتاء فرع الحركة السنوية للأرض ، وكذا اختلاف ظواهر الأوقات على قياس الفصول من الصبح الى الظهر ثم الى العصر ثم الى السحر فرع الحركة اليومية للأرض ، فتوافق الترتيب الذكرى مع الترتيب الكونى فى مقالة هذا الامام العظيم عليه الصلاة والسلام .

(الخبر الثانى) - ماجاء فى كتاب الكافى باب الحج والوافى والبحار ج ١٢ ، ١٤ وغيرها مسنداً الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق ﷺ انه قال : « ان الله عز وجل دحى الأرض من تحت الكعبة الى منى ثم دحاها من منى الى عرفات ثم دحاها من عرفات الى منى . . . » فانى استظهر من هذا الخبر القدسى ان الله تعالى وجه مقتضى الحركة - كما سأذكره فى غير هذا الكتاب أيضاً - وأوجد سببها أولا فى موضع الكعبة من الارض فدحاها من تحت الكعبة الى جهة شرقها - اعنى منى - ثم الى شرق منى - أعنى عرفات - وهكذا

من عرفات الى ان عادت بنحو الدوران الى موضع الكعبة ومنى فتمت الدورة اليومية .

وقد ثبت فى الآية الاولى من هذه المسألة ان اظهر معانى دحى او اشهرها هو الدفع والتحريك بنحو الدحراج . وفى مضمون هذا الخبر الشريف شاهد على هذا المعنى أيضاً ، وهو ان الدحو فيه لوكان بمعنى البسط لكان تخصيص جهة منى دون سائر الجهات عبثاً بلا وجه ، فان بسط الأرض على شكل الكرة لايختص بجهة . وأما اذا كانت بمعنى التحريك صحبت وجهاً وجيهاً وهو كون منى فى شرقى جهة الكعبة المعظمة وكون العرفات فى شرق جهة منى ، فيكون الوجه فى تحريك الأرض الى خصوص جهة منى هو الاشعار بحركتها اليومية مع بيان جهة الحركة ، فان هذه الحركة من الغرب الى الشرق فى الأرض ، فتنطبق أحسن انطباق على دحو الأرض من موضع الكعبة الى شرقيها - أى موضع منى - ثم دحوها منه الى عرفات ثم دحوها منها راجعة من تحت الكعبة الى جهة منى أيضاً لتكمل الحركة اليومية .

* * *

فان قلت : لو كان الامام عليه السلام فى صدد بيان دوران الأرض على نفسها لاقتضى ان يقول : « ثم دحاها من عرفات الى الكعبة » ليتم الدوران بالعود الى ما ابتدىء منه وهو الكعبة ، لاان يذكر منى فى موضع الكعبة حتى يزيد على قدر الدورة المحورية .

قلت : ان التعبير بجهة منى أخيراً لاينافى انطباقه على الكعبة ، ومع ذلك فان السبب لقوله عليه السلام : « ثم من عرفات الى منى » دون ان يقول الى الكعبة هو اظهار نكتة مهمة خفية ، وهى على ما أظن اشارة الامام عليه السلام الى فضل الحركة اليومية على الحركة المحورية ، اذ الأرض تتم الدورة اليومية فى ٢٤ ساعة تماماً

وتم الحركة حول نفسها المحورية فى ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة و ٤٩ ثانية ، فبين الامام (ع) فى هذا الخبر حركة الأرض اليومية المحصلة للنهار والليل ببيان يفهم منه الحركة المحورية ايضاً .

وشرحه مختصراً هو : أن الحركة اليومية مركبة من الحركة المحورية وجزء يسير من الحركة السنوية ، ولما كانت بقاع الأرض تتحرك فى كل ثانية بالحركة المحورية ٤٥٠ متراً وبالحركة السنوية ثلاثين ألف وخمسمائة متر فى الثانية وفى الساعة بأكثر من ١٠٠٠٠٠ كيلو متراً (١) لزم اضافة مسافة من الأرض على ما اختص منها بالحركة المحورية ، بحيث يوافق سير ذلك الفضل من المسافة ما يفضل من السير المحورى ، واضافة ما بين الكعبة وبين منى واف بالنظر التقريبى لتسوية ذلك ، واما بالنظر التحقيق فيقتضى من سعة المقال والمجال ما يخالف مقتضى الحال .

(الخبر الثالث) - ما جاء فى العيون وعلل الشرائع ومواضع متعددة من بحار الأنوار وارشاد القلوب للديلمى ، وروى ايضاً عن كتاب الواحدة والمحتضر ومناقب البرسى ونور الثقلين وتفسير البرهان للبحرانى وكتب اخرى بالاسناد إلى امير المؤمنين على (ع) ان شامياً سأله عن مكة المكرمة لم سميت مكة ؟ فقال (ع) : « لأن الله مك الأرض من تحتها - أى دحاها » ، وسياق هذا الخبر الشريف كسياق اخبار دحو الأرض من تحت الكعبة .

و (الملك) يأتى فى اللغة لمعان ، منها التحريك بنحو الدحرجة ، فى القاموس : مك بسلحه اى رمى والمكمكة التدحرج فى المشى - انتهى .

---

(١) قال مور والخورى فى كتابه : الأرض فى سيرها السنوى حول الشمس تقطع تسعمائة وثلاثين مليون كيلو متراً فى مدة ٣٦٥ يوماً وخمسة ساعات و ٤٨ دقيقة و ٢٦ ثانية .

ويناسب ذلك تدحرج الأرض فى الفضاء ، وليس فى المعانى المذكورة فى الملك ما يناسب سياق اخبار دحو الأرض غير هذا المعنى .

وهذا الخبر من شواهد كون الدحو لغة بمعنى التحريك على طريق الدحراج ، لأن الملك لم يأت فى اللغة بمعنى البسط ، وقد فسر الامام (ع) فى آخر هذا الخبر لفظ الملك بالدحو ، فيكون ظاهر معنى الدحو والملك التحريك لا البسط .

ولو تصفحت ما ورد فى شرعنا فى سياق دحو الأرض لوجدته ظاهراً فى التحريك أو قابلا للحمل عليه كقوله تعالى : ﴿ أن اول بيت وضع للناس للذى ببكة ﴾ (١) فان البك والملك والدحو والدح ونحوها مستعملات فى التحريك الخاص . وبمناسبة ذلك اطلق على البيت هذه الألفاظ ، ففى القاموس ايضاً . الأبك من يسعى فى امور اهله ، والبكباك القصير جداً اذا مشى تدحرج

وهذا يناسب تحريك الأرض من موضع البيت متدحرجة فى الفضاء كالأترنجة المرمية .

وفى النهاية للحافظ ابن الأثير عن عطاء من تابعى النبي (ص) انه قال : « بلغنى ان الأرض دحت من تحت الكعبة دحاً ، قال ابن الأثير : وهو (اى دحت) مثل دحيت (اى فى المعنى) ثم قال : والدح الدفع . وفى القاموس الدح الدفع فى القفا ، والدح الدفع العنيف ، والدحدحة القصير المتمشى ، والدحيدح من يخطىء فى لعب المداحى فيقوم على رجل فيحجل سبع مرات .

والمقصود ان المعنى المحفوظ مع المشتقات فى لغة الدح والدحو والبك والملك يعطى الدفع والتحريك بحركة مناسبة لحركة الأرض ، فيلتئم بذلك ما روى فى ابواب دحو الأرض من تحت الكعبة .

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٦ .

(الخبر الرابع) - قال علي (ع) بعد توصيفه خلق الأرض وجعل الجبال فيها اوتاداً لها - كما في نهج البلاغة وغيره - : « فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها او تسيخ بحملها او تزول عن مواضعها » اشار الى هذا الخبر القدسي سيدنا العلامة الرباني محمد حسين الشهرستاني ، ويلزمنا شرحه بأن الضمير في سكنت راجع إلى الأرض ، وعلى ههنا بمعنى مع ، ومن متعلقة بسكنت ، والأصل فسكنت الأرض من الميدان مع حركتها ، فيعطي سكون الأرض عن الاضطراب مع تحركها في الفضاء ، كما يقال : « ثبت زيد على خوفه في محاربة عمرو » اي مع شدة خوفه . فالامام أثبت في كلامه سكون الأرض بالجبال عن الاضطراب والتمايل ، كما صرح به في خطبة اخرى فقال : « فسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع اديمها » .

وهذه المعاني قد حققناها آنفاً ، فلا يريد سكونها عن اصل الحركة ، ولذلك قيد تحركها وقال : « فسكنت على حركتها » اي مع حركتها ، كما قال (ع) في خطبة اخرى : « وسكنت الأرض مدحوة في لجة تياره » اي وسكنت الأرض حالكونها مدحوة أي متحركة .

وهذا سبك من يوشح التعبير بفنون البلاغة ، ولو تأملت في اطراف هذا الكلام لاشتد اذ عانك بالذي سمعت ، فانه (ع) ذكر خلق الأرض اولا ثم نصب الجبال فيها لتحفظها عن الاعوجاج وتسكن عن الميدان بأهلها مع كونها سيارة في الفضاء لاستمساك اجزاء الأرض بأصولها وصخورها ، وايضاً يصان ما عليها من الغوص فيها وابتلاعها اياه بسبب ثقله ومرونتها ، واليه ينظر قوله (ع) : « او تسيخ بحملها » ، وايضاً تحفظ أجزاء الأرض عن التفرق في الفضاء بسبب سرعة تبدل الحيز في سيرها السنوي فتنتثر إلى اراضي صغار كانتثار الفليق إلى نجيمات المشتري - كما سيأتي - او تولي هائمة

فى الفضاء فاقدة لمدار يختص بها ، واليه ينظر قوله (ع) : « او تزول عن مواضعها ».

* * *

ولقد توهم البعض فى ميد الأرض المتكرر فى مقالات الشريعة فقال : انه اشارة إلى اضطراب فى مبدأ تكوينها حال كونها مائعة مائرة .

والظاهر لى من هذا الكلام هو ميدها فى كل آن لولا الصخور والجبال ألا ترى قوله (ع) : « من أن تميد بأهلها » فعند ما كان لها اهل وسكان سكنت بالجبال عن الميدان ، والأرض فى مبدأ خلقها لم يكن لها اهل قطعاً وماكانت غير عناصر مائعة ، وهلا سمعت القرآن الكريم يتلو عليك : ﴿ وألقى فى الأرض رواسى ان تميد بكم ﴾ ، والضمير فى بكم يشير إلى من فى عصر النبى (ص) وإلى من بعدهم ، فيكون هذا التحرك غير تحركها فى بدء التكوين حين كانت مائعة مائرة .

* * *

(نكتة) يظهر لى من قوله (ع) : « او تزول عن مواضعها » تأكيد المطلوب ، اعنى تحرك الأرض فى مدار مخصوص ، فان الأرض عند المتأخرين لها مواضع لا تحصى لكنها جميعاً فى مدار معين بأزاء البروج الاثنى عشر ، فيتم على هذا تفسير قوله (ع) : « على حركتها » بحركة الأرض السنوية وان الجبال وعروقها هى الحافظة لهيئة اجزاء الأرض المانعة من تفريقها واضطرابها وزوالها عن مواضعها المخصوصة فى فلكها المخصوص ، واما على القول بالسكون ـ كما عليه المتقدمون ـ فلا يتم هذا الكلام الكامل ، اذ الجسم لا يكون ذا مواضع الا بتحركه الانتقالى والساكن ذو موضع واحد وعلى هذا لا يكون غرس الجبال فى الأرض مانعاً من زوالها عن

مواضعها التى رتبها الله تعالى فيها - كما هو مرمى الكلام - بل يكون غرس الجبال مانعاً عند هؤلاء من اصل تحركها وكونها ذات مواضع لا من زوالها عن مواضعها الممهدة كما يعطيه ظاهر القول - فتدبر .

(الخبر الخامس) - قال على (ع) ايضاً فى خطبة مروية فى نهج البلاغة وغيره بعد توصيف الأرض : « وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها » فانه يجوز ان يفسر بأن الجبال الراسية والصخور الجلاميد هى التى منعت اضطراب اجزاء الارض عند عروض الحركات المختلفة عليها واقتضت تعديل تلك الحركات المتخالفة المسببة عن اختلاف جهات الجذب والدفع .

(تتمة)

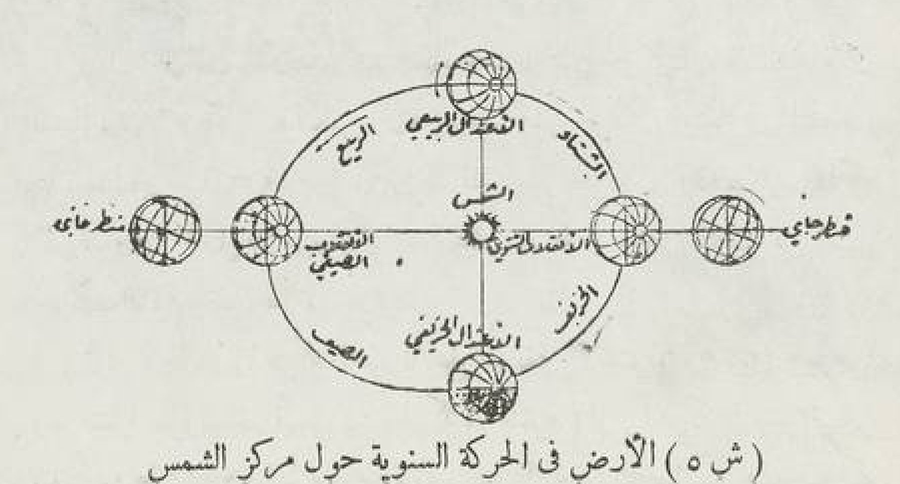
(فى عدد حركات الأرض)

ان حركات الأرض عند حكماء عصرنا خمس حركات مختلفة وهى المشهورة ، وحكى (فيلكس ورنه) احد عشر حركة ، وجاء فى المقتطف عدد سبتمبر سنة ١٩٠١ ص ٨٦٣ انها اثنى عشر حركة ، وذكر الفلكى الفرنساوى (كامبل فلامريون) اربعة عشر حركة ، ونحن ننتخب من كتبهم حركات ثمانية ونذكرها تفصيلا هنا :

(الأولى) - الحركة المحورية على منطقة الاستواء وهى فى حيزها وموضعها ، ولذلك تسمى بـ (الحركة الوضعية) او (الحركة الاستوائية) ويتم دورها فى ٢٣ ساعة و ٥٨ دقيقة و ٤٩ ثانية ، ويحصل من هذه الحركة الليل والنهار ، وتتولد من تركب هذه الحركة مع جزء من الحركة السنوية الحركة اليومية كما تقدم ، فيتم الدور فى ٢٤ ساعة .

(الثانية) ـ الحركة السنوية حول مركز الشمس على منطقة البروج فى دائرة بيضوية ، ويتم دورها فى ٣٦٥ يوماً و ٦ ساعة و ٨ دقائق و ٣٨ ثانية وبها تحصل الأشهر الفرسية والرومية والنجومية ونحوها ، وتتولد الحركة الميلية من هذه بسبب انحراف محور الأرض عن سطح دائرة البروج ٢٣ درجة ونصف تقريباً . وهذه الحركة غير مستقلة وبها نرى للشمس فى كل سنة كراً من الشمال الى نقطة الجنوب ثم رجوعها منها إلى نقطة الشمال ، وسنذكرها فى مسألة مركزية الشمس .

(الثالثة) ـ الحركة الاقبالية ، اى اقبال دائرة البروج إلى دائرة الاستواء فى كل ٦٧٠ عام درجة واحدة ، وهذه الحركة محصورة فى زاوية ثلاث درجات حسب استكشاف المتأخرين ، كالحركة الارتعاشية بين كرة



(ش ٥) الأرض فى الحركة السنوية حول مركز الشمس

وفرة مثل الحركة الميلية ولا تكمل دورة مستديرة ، ولا نرتقب زماناً تنطبق فيه احدى الدائرتين على الأخرى كما كان القدماء يتوقعون ذلك ، وبه فسر بعضهم قيامة الدنيا .

(الرابعة) ـ حركة نقطتى الأوج والحضيض حول المحيط من دائرة البروج فى كل ٢٠٩٣١ سنة دورة كاملة بسبب تجاذب المشترى وزهرة مع الأرض ، وبذلك تتغير ازمنة الفصول ففى سنة ٦٤٨ كانت نقطة الحضيض على نقطة الانقلاب الصيفى فكانت ايام الصيف مساوية لأيام الربيع . وبهذه الحركة تقرب الأرض من الشمس فى نقطة الحضيض ثلاثمائة الف فرسخ الى اوجها ، فتزداد قوة جاذبية الشمس فى الأرض قدر الخمس مما كان لها قبل اذ .

ومن آثار اشتداد هذه القوة سرعة تحرك الأرض فى فلكها كل يوم واحد وستين دقيقة ، مع انها تتحرك فى اوجها كل يوم سبعة وخمسين دقيقة من فلكها .

ومن آثارها ايضاً ارتفاع السايلات المنبسطة على وجه الأرض كمياه البحار المحيطة وتراكمها نحو اقرب نقاط الأرض إلى الشمس حال اذ ، فنحن الآن نرى المياه متراكمة فى النواحى الجنوبية من عرض اربعين درجة ، بحيث توجد ثمة بقاع تلمع بصفاح متسعة كالأقطار الشمالية ، لكن الأمر منعكس بعد اليوم بخمسة آلاف سنة حيث تنتقل نقطة الحضيض إلى شمالنا فتتجه المياه نحو الشمال طالبة اقرب النقاط الشمسى ، فتحسر الأقطار الجنوبية قناع الغمر عن اوجهها وتبدى محاسنها وما اودع الله فيها لنوع البشر ، ويصبح فيها العمران والعلم والتمدن تدعونا نحوها مبشرات ، ويمسى فى شمالنا الغرق والخراب والعطالة تزجرنا بالخروج منذرات ، فتعرف الأمم عند ذلك اثمان المراكب البحرية والهوائية ، ويومئذ ينجو المخفون .

(الخامسة) ـ حــركة تقديم الاعتدالين الربيعى والخريفى وبها ترى الثوابت متحركة على موازاة دائرة البروج فى كل ٢٦ ألف سنة شمسية مرة . وكان القدماء يظنون ان الثوابت بأسرها مركوزة فى ثخن فلك يدور دورة فى تلك المدة (١) .

(السادسة) الحركة الرقصية أو الارتعاش القمرى وهى التى تعرض على محورى الارض فتميل بذلك الى دائرة البروج فى كل ٢٩ سنة مرة . اكتشفها الفلكى (برادله) سنة ١٨٤٤ م ومنشأها تأثير الجاذبيتين من الشمس والقمر فى أرضنا مع تسطيحها القطبي وتفرطحها الاستوائى . وينتقل محور الأرض بهذه الحركة فى دورة عقدتى القمر بمقدار ١٨ درجة وكسر الى الجنوب والشمال .

(السابعة) ـ الارتعاش الشمسى . قال فى حدائق النجوم مامعناه : ان الارض يرتعش محورها (أى يرتعش من طرف قطبيها) بجاذبية الشمس وتتم فى سنة شمسية وغايتها دقيقة من الفلك .

(الثامنة) ـ الحركة التبعية ، وهى سير الأرض كباقى السيارات بتبعية الشمس فى الفضاء المهول حول مركز مجهول . وسأشرحها فى مسألة مركزية الشمس .

---

(١) جاء فى الجامع البهادرى ص ٤٧٩ ان القدماء ظنوا ثبوت البروج ثم تحقق تحركها ، وتحولت البروج من مواقعها الاصلية وبقى الاسم على غير مسماه الاصلى ، وحسب قياسنا اليوم قد تحولت البروج من مواقعها الاولية اليونانية الى ٢١ درجة و ١٢ ثانية .

أقول : قد أشار الى هذا السر على عليه السلام فى الحديث المشهور عنه : «بنى الهرمان والنسر فى السرطان ، ولو تأملنا فى المسألة لكانت احدى براهين حركة الأرض ، لان اسناد مثل هذه الحركة الى الأرض اصح منه الى ثوابت لاتحصى

ولعمری ان شرعنا الاقدس مشحون بمقالات ضافية تشعر بتحرك الأرض ونشير الى بعضها فی طی هذا الكتاب و نذر الباقی لمن ينحو مسلكنا المقدس ويعرف منزلة هذه الشريعة العظمى ، ويفی معشار حقها بعد عرفان مبانيها ونيل حقايقها ومعانيها .

المسألة الرابعة

(فى تعدد الارضين ونفى انفرادها)

قد تحقق عند الفلاسفة المتأخرين عن الالف الهجرى ان كرة الارض غير منحصرة بهذه الارض التى نحن عليها ، بل لربنا تعالى أراض وافرة تسبح فى فسحة الفضاء كأرضنا هذه فى رمالها وصخورها وجبالها وبحورها وسائر امورها ، فهل نطقت الشريعة الاسلاميه - على مبلغها الصلاة والسلام - بهذا الرأى ، أو حكمت كالقدماء بانفرادها ، أو سكتت عن كلا المذهبين ؟ .

(الجواب)

ان القدماء - على ماوصلنا من أخبارهم - لم يذكروا تعدد الارضين حتى من اختار منهم تحرك الارض ، ولاكثر فلاسفتهم أدلة على استحالة وجود أرض فى الفضاء منفصلة عن هذه الارض . وعمدة ماأغراهم على ذلك فتوى الحواس بانتفاء وجود أرض أخرى ، وكانوا يعتقدون ان النجوم السيارة والثوابت أجرام من جنس جوهر الفلك ليس فيها شىء مما فى أرضنا ولاعليها ماعلى هذه العنصريات والحوادث - كما هو مشروح فى كتبهم .

نعم نقل الشيخ الرئيس ابن سينا فى الشفا القول بكثرة الأرضين عن حكماء الفرس المتقدمين ، ونقل الشاعر الكامل ابو محمد الشهير بالنظامى المتوفى سنة ٥٧٠ عن قدمائهم ماينطبق تمام الانطباق على الرأى الحديث وترتيبنا المستفاد من ظاهر الأحاديث ، اذ قال بالفارسية :

شنيدستم كه هركوكب جهانيست جدا گانه زمين واسمانيست

ولكن الغربيين فى حدود الألف الهجرى رفضوا آراء القدماء ، اذ تفننوا فى اختراع النظارات المكبرة (ميكرسكوب) والمقربة (تليسكوب) بتمهيدات الفيلسوف غاليله المتوفى سنة ١٦٤٢ م ومن بعده وكذلك باقى الأدوات الفاضلة والآلات الدقيقة الكاملة ببذل الامراء المربين والأغنياء المرغبين أعز الأموال والمهج ، وصرف الاذكياء أفضل الهمم والأعمار فى هذا النهج حتى وصلوا من بعد ذلك كله الى أوج الكمالات والعلوم ، واستخرجوا نفائس الحقائق ، لاسيما فى فن النجوم فكشفوا الغطاء عن امور قصرت عنها أيدى القدماء لضعف أسبابهم لا لتهاون منهم أو تقصير . . حاشا وكلا .

كيف يكون ذلك ؟ وقد هزموا جيش الجهل بلا سلاح وغلبوا على مدائن العلوم ، ففتحوا أبواب حقائقها بلا مفتاح وكشفوا دقائقها وأسرارها على أحسن مايرام .

والغرض ان المتأخرين قد اعتقدوا بمقتضى فتاوى حواسهم المسلحة بأكمل النظارات ان النجوم السيارة بأسرها أراض مستقلة كأرضنا هذه ذات وهاد ورواسى وخلق وعمران وماء وهواء وبحار وغير ذلك .

أقول : لو صح ماذكروه كان اطلاق اسم الأرض صحيحاً على كل سيارة كذلك ، وقد قال أهل اللغة : كلما ترضه الأقدام أرض . ونرى عند ذلك كل صفة نعتقد مدخليتها فى تسمية الأرض أرضاً ثابتة لتلك السيارة من تضمنها للجبال والقفار والمياه والهواء والبخار والغيوم والأمطار والفصول والاقمار والميول والمدار والليل والنهار والسكان والديار وغيرها مما فى أرضنا كما سيأتى ، مثلما لو التصق بأرضنا كرة أرض أخرى مثلها فى كل صفة وفيها خلق يمشون عليها فهل تستمهل فى اطلاق اسم الأرض عليها ؟ كلا ! . . وهكذا حال السيارات ان

صح ماحكته النظارات .

ولا تنتظر فى تصديقك لذلك أدلة القدماء على وجوب انفراد الأرض فان المتأمل فى مداركها يجدها اقتناعية كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً فاذا أتاه لم يجده شيئاً .

واما الشريعة الاسلامية فقد صرحت بتعدد الأرضين وذكرت لنامافيها وماعليها بلا معونة آلة أو أدوات فى قرون طويلة قبل اختراع النظارات ، حيث لم يكن على وجه الأرض من هذه المستحدثات شبح ولا اسم فضلا عن المسمى ، لكن الأسف كله على ان المحدثين القدماء استوحشوا من ظواهر تلك الأخبار - كما قدمنا بيانه - فلم يصل الينا مما أهملوه غير القليل ، وحيث كان هذا القدر القليل غير مشفوع ببرهان لم يركن العلماء الى ظواهره وحسبوه من الظواهر اللازم تأويلها وصرف ظهورها الى معلوماتهم فى ذلك العصر .

وها انا الآن أتلو عليك جملة من مقالات شرعنا حسبما تفطنت به وظفرت عليه . وأسأل الله تعالى العون والتوفيق .

المقالة الأولى

قال الله تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ﴾(١) أى مثلهن فى العدد وان الأرضين سبع ، أجمع على هذا التفسير كل المفسرين والحفاظ قديماً وحديثاً حتى صاروا جميعا يذكرون اخبار تعدد الأرضين وتكثر هذه العوالم فى تفسير هذه الآية المباركة .

ويظهر من كلمة ﴿ مثلهن ﴾ عموم التشبيه فى العدد وفى الترتيب ، فكما ان السماوات السبع بعضها فوق بعض ينبغى ان تكون الأرضين السبع أيضاً

(١) سورة الطلاق آية ١٢ .

بعضها فوق بعض ، كما سنذكر الروايات الصريحة في ذلك في المسألة السابعة .

قال ابو السعود بن محمد العمادي من فضلاء المائة التاسعة ان الجمهور على انها سبع أرضين بعضها فوق بعض ، بين كل أرض وارض مسافة كما بين السماء والارض .. الخ

اقول : ولا يخفى حسن انطباق هذا التفسير المنقول من الجمهور على اراضي السيارات السبعة المبصرة المتباعدة واحدتها عن الأخرى كثيراً ، وسأذكر الأخبار المناسبة لهذا الترتيب في مسألة ترتيب السماوات ، فراجع اواخر تلك المسألة تجد اخباراً متواترة السند صريحة فيما ذكروا في ان ما بين ارض وارض مسافة كمسيرة خمسمائة عام . وانت لو فرضت دابة تسير فرسخاً اسلامياً في كل ساعة - كما هو الشائع من صدر الاسلام إلى يومنا هذا - لكان مجموع هذا السير يزيد على ستة عشر مليون ميلا ، فيقرب هذا التحديد جداً من تحديدات المتأخرين في المسافات الفاصلة بين الأرضين ، ولا يتجه ابداً هذا التحديد على مباني القدماء .

المقالة الثانية

روى جماعة عن الامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع) انه اجاب من سأله عن ترتيب السماوات السبع والأرضين السبع فقال : « هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة ، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة ، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة .. » وسأذكر هذا الخبر بتمامه في مسألة ترتيب الأرضين والسماوات ، واشرحه سنداً ومتناً مع شواهده القوية واطبقه على النظام الجديد .

ولعمرك انه نبأ عظيم وحجة ساطعة لمن خالفنا في الدين والمذهب ،

فأرسل اليه النظر السليم ليهديك إلى الحق القويم .

المقالة الثالثة

ما تواتر في كتب الأدعية والأخبار عن النبي (ص) واوصيائه المعصومين (ع) : « اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم » ، ويظهر من قولهم : « وما بينهن » انها منفصلات غير متصلات ، فلا يصح توجيه ذلك إلى ارادة الأقاليم السبعة مع ان تقسيم الأرض إلى سبعة اقاليم اعتباري وليس بحقيق ، وتلك السبعة ايضاً غير مختصة بالنصف الشمالي من الأرض ، بل يفرض مثلها في النصف الجنوبي ايضاً . فيتجاوز المجموع عدد العشرة

وفي حدائق النجوم أن الحكيم (ركيبو لوس) قسم الأرض سنة ١١٠٠ الى عشرين اقليما جنوبياً وعشرين اقليما شمالياً .

المقالة الرابعة

في البحار وتفسير القمي وكتاب الخرائج للحافظ الراوندي قطب الدين سعيد من علمائنا في القرن السادس مسنداً عن النبي (ص) انه قال في حديث توصيف معراجه : « وكشطت لي عن السماوات السبع والأرضين السبع حتى رأيت سكانها وعمارها وموضع كل ملك منها » (١) والكشط في اللغة

---

(١) ذكر في بصائر الدرجات ج ٢ سبعة احاديث بأسانيد مختلفة كلها بهذا المضمون ، وجاء في بعضها لفظ (كشفت) بالفاء عوضاً عن (كشطت) بالطاء .

كشف الغطاء ولفه ، فيعطى ظاهره ان الرؤيه منه (ص) كانت برفع الحجب والأستار الحاجزة عن الأبصار .

المقالة الخامسة

قال على (ع) فى خطبته المروية فى كتاب نهج البلاغة وغيرها : « الحمد لله الذى لا يوارى عنه سماء سماءاً ولا ارض ارضاً » فانها كما تدل بظاهرها على تعدد السماوات تدل ايضاً على تعد الأرضين .

قال ابن ابى الحديد فى شرح هذه الفقرة من شرح نهج البلاغة : هذا الكلام يدل على اثبات ارضين بعضها فوق بعض كما ان السماوات كذلك ولم يأت فى الكتاب العزيز ما يدل على هذا الاقوله تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ﴾ وهو قول كثير من المسلمين ، وقد تأول ذلك ارباب المذاهب الأخر القائلون بأنها ارض واحدة فقالوا انها سبعة اقانيم . . .

وقال بعد هذا بقليل : وهذا الكلام على غير القاعدة الفلسفية بل هو على قاعدة الشريعة الاسلامية التى تقتضى أن السماوات تحجب ما وراءها عن المدركين بالحاسة ، وانها ليست طباقاً متراصة بل بينها خلق الله تعالى لا يعلمهم غيره ، واتباع هذا القول واعتقاده أولى .

اقول : وهذه التصريحات من محقق آثارنا الاسلامية شواهد واضحة على صحة جملة ما اشرنا اليه فيما سبق أو ما سيلحق .

المقالة سادسة

فى البحار وجامع الأخبار والأنوار النعمانية عن النبي (ص) انه

سئل عن قاف وما خلفه ؟ قال (ص) : « سبعون ارضاً من ذهب وسبعون ارضاً من فضة وسبعون ارضاً من مسك وسبعون ارضاً سكانها الملائكة ، لا يكون فيها حر ولا برد وطول كل ارض مسيرة عشر ألف سنة » .

اقول : عدد السبعين كالأربعين والألف يؤتى به فى العرف كناية عن كثرة المعدود بطريق المبالغة وليس للتعيين كباقى ألفاظ العدد .

ولنشرح المعضلات من هذا الخبر :

اما (قاف) فقد وردت فيه اخبار غريبة المضامين وتحير فى جمعها الأساطين ، لكنها عندى منطبقة على مخروط ظل الأرض الشبيه بالجبل العظيم لأنه المحيط بالأرض كنطاق دائرة افقية . وقد استفاض عن الحجج ان جبل قاف محيط بالأرض .

ولأن لون السطح الظاهر من هذا الظل اخضر بسبب اختلاط النور والظلام على سطحه ، وقد استفاض ايضاً عن الحجج (ع) ان جبل قاف كالزمردا والزبرجد الأخضر وان خضرة السماء منه اى من جنسه ومن قبيله ، فان لون السماء ايضاً اخضر وخضرتها حاصلة ايضاً من اختلاط الضياء المنعكس عن الأرض مع الظلام الحالك فى بطن الجو .

ولأنه امر غير مختص بأرضنا بل هو ثابت للأراضى السيارة السبعة كلها ، كما سيصرح خبر ابن عباس بذلك .

ولأن بعض الأخبار ناطق بأنه محيط بالخلائق ، وبعضها ناطق بأنه خلف ارضنا ، فعلى ما فسرناه لا يكون تناف بين المعنيين .

ولأن ظل الأرض يحيط بنا ليلا ويكون خلف ارضنا نهاراً وهو محيط بالخلائق دائماً .

ولأن الطول والعرض من هذا الظل يقرب من ثلاثمائة فرسخ ، كما

ورد فى الخبر : « ان طول قاف وعرضه مسيرة ألف سنة وان سماء الدنيا كنفاها عليه » اى طرفاها . وقد شرحت اخبار جبل قاف فى رسالة مستقلة وحققت انطباقها على ظل الأرض تحقيقاً كاملا حسب الآراء السديدة والكشفيات الجديدة ، فلا داعى للاطناب ههنا .

* * *

واما قوله (ص) : « سبعون ارضاً » فالأولى فى شرحه ان هذه الأراضى الوافرة اما ان يراد بها السيارات الخارجة عن نظام شمسنا ، كما سيأتى ان من وار شمسنا هذا شموساً عظيمة كثيرة وحولها سيارات كثيرة لا تحصى وهى لسكانها اراضى ذات وهاد ورواسى . . واما ان يراد بها السيارات الداخلة فى نظام شمسنا ، فيكون قوله ﷺ : « سبعون ارضاً » اشارة إلى النجيمات الصغار التى استكشفت بعد سنة ١٢١٥ ، فانها ايضاً اراضى سيارة حول شمسنا لكنها اصغر من ارضنا بكثير ، ويقرب عددها ايضاً مما فى الخبر اذا المستكشف منها حتى الآن بين الثلاثمائة والأربعمائة ومداراتها متوسطة بين المشترى والمريخ ، فتكون بعد مريخ هى اقرب الأراضى الى ارضنا من سمت خلفها ، اذ الأنسب باسم الوجه من جرم ارضنا هو النصف الموجه لجرم الشمس ، فيكون سمتها خلف المريخ والمشترى ، فيناسب قوله ﷺ « ان خلف قاف » اى خلف ظل الأرض كما تقدم كذا وكذا أراضى .

انظر الشكل الثانى (النظام الشمس الكوبرنيك) المطبوع ص ٥٠ يتضح لك جلياً ما قلناه .

* * *

واما قوله ﷺ : « من ذهب » او « من فضة » او نحو ذلك فلا سبيل لنا الى نقضه لجهلنا بحقائق النجيمات ، ولعل الغالب على اجزاء بعضها عنصر

الذهب او الفضة ، مع انه يحتمل ان يكون معنى قوله : « من ذهب » اى من قبيل الذهب ومن جنسه وهــذا الاستعمال شائع فى العرف والشرع كقوله تعالى : ﴿ جعل لكم من انفسكم ازواجاً ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وجعل منها زوجها ﴾ (٢) كما انه يقال : « الزنجى من سائر بنى آدم » اى من قبيل باقى البشر ، ويراد بذلك تمام المشابهة فى اللون او الخاصة او الطبيعة او نحوها .

* * *

واما بيان الاعتدال بقوله ﷺ : « لا يكون فيها حر ولا برد » فهو أيضاً منطبق على حال النجيمات ، لأن سلطان حرارة الشمس عند قرصها ثم تأخذ فى النقص والضعف حتى تنعدم فى محدد النظام الشمسى - اعنى خلف فلك نبتون - والبرودة بالعكس ، اى سلطانها من خلف نبتون ثم تشرع فى النقص حتى تنعدم عند قرص الشمس .

فاذا كان ما بين المريخ والمشترى هو المحل الأوسط فى النظام الشمسى كان الحر والبرد فيه متعادلين تقريباً ، بحيث يصدق عليه انه لا حر ولا برد فيه ، اى لا قوة للحرارة ولا للبرودة هناك ، اذا الظاهر من الحر شدة السخونة ومن البرد شدة ضدها ، وقد علمت انه لا شدة لأحدهما بين المريخ والمشترى ، وهو موضع النجيمات .

* * *

واما قوله ﷺ : « طول كل ارض عشر ألف سنة » فاذا كان بضم العين والشين - كما روى - فاحتمالى ان الطول فيها كناية عن مسافة سطوحها ويكون عشر الألف مائة سنة ، فلا ينافى المقادير المستنبطة للنجيمات ، ولا

(١) سورة النحل آية ٧٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٩ .

سيما ان الميزان فى المسير الوارد فى الأخبار مجهول . وان كان بفتح العين والشين فنحتمل ان يراد من طولها طول مداراتها وباعتبار افلاكها حول الشمس ، وان طول المسافة من كل ارض الينا كعشرة آلاف سنة ، فنستدل بذلك ايضاً على تقارب افلاكها جداً وان بعدت عنا - كما عليه المتأخرون - بحيث لو مدت الاسلاك بدل تلك الأفلاك لخيف عليها من الاشتباك .

المقالة السابعة

فى الدر المنثور عن صاحب النبى (ص) ابن عباس انه قال : « سيد السماوات السماء التى فيها العرش ، وسيد الأرضين الأرض التى انتم عليها » وكلمة (فى) ههنا بمعنى على كما فى قوله تعالى ﴿لأصلبنكم فى جذوع النخل﴾(١) اى على جذوعها ، ودلالتها على تعدد الأرضين واضحة .

المقالة الثامنة

فى البحار وثواب الأعمال بالسند القوى الى الامام الباقر محمد بن على (ع) انه قال : « ان الله عز وجل فوض الأمر الى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع ارضين واشياء . . . »

المقالة التاسعة

روى فى البحار والدر المنثور عن ابن عباس انه قال : « خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال

(١) سورة طه آية ٧١ .

له (ق) السماء الدنيا مترفرفة عليها ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل ارضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، وهكذا حتى عد سبع ارضين وسبعة ابحر وسبعة اجبل .

اقول : وظاهر هذا الخبر يعطى وجود سبعة ارضين منفصلات وسبعة ابحر وسبعة جبال قواف ، بين كل ارض وارض اخرى جبل قاف وبحر محيط

وهذا مما لا يستقيم الا على الآراء الجديدة ، ولا اعلم احد استنبط العيون الصافية من هذه الرواية وامثالها غيرى - ولله المنة وله الحمد والشكر .

فالمقصود من الأرضين اجرام السيارات وقدم تصحيحه ؛ كما ان المقصود من جبل قاف مخروط ظل الأرض الشبيه بالجبل العظيم وقد سبق تحقيقه .

ويتأيد ذلك التحقيق ايضاً بما فى هذا الخبر من تعدد الجبال القوافى ، وان من وراء كل ارض جبل قاف ، فان لكل من السيارات - كعطارد وغيره - مخروط ظل طويل وهيكل اخضر مهيل يحدث فيه استتار الشمس خلف نصف منها دائماً ، كما هو شأن ارضنا بعينه .

* * *

بقى الكلام فى البحار السبعة الفاصلة بين الأرضين ، وذلك يستدعى تمهيد امر ، وهو :

ان الفضاء المحيط بمركز الشمس حتى ينتهى الى فلك نبتون ممتل عند المتأخرين من مادة لطيفة سيالة مرنة تسمى (اتر) بالتاء والراء المهملة ، وهذا الفضاء الممتلىء يتحصص بملاحظة مدارات السيارات ومعابرها الى سبع او تسع حصص ، فالمتوسط بين فلك عطارد وفلك الزهرة حصة بيضية الشكل وكذا المتوسط بين الزهرة وفلك الأرض ، وهكذا الى تسع حصص

اذا اعتبرنا جميع الأراضى السيارة ، او سبع اذا اعتبرنا خصوص السيارات المبصرة ، وسيأتى تحقيق ذلك فى مسألة حصر الأرضين .

واذا امتازت لديك الحصص السبع ولو بالاعتبار قلت : فأى مانع يمنع اطلاق لفظ البحر على هـــذه المجارى المتحصصة المتوسطة بين افلاك السيارات ، وخصوصاً اذا وجدت المناسبة والمشابهة التامة بين البحار وبين هذه المجارى من وجوه متعددة :

(منها) ان الجواهر الممتلىء منه البحر سيال مرن شفاف لطيف ـ واعنى به الماء ـ وكذلك الجوهر الممتلىء منه المجارى المتوسطة كما سبق ، بل نجـــد هذا الجوهر اشد من الماء وسيلاناً ومرونة ولطافة بمراتب كثيرة .

(ومنها) كثرة التموج والحركة فى المائع المالىء للبحر ، وكذلك سيال اتر اذ هو فى غاية الاهتزاز والتموج والحركة الدائمة على المذهبين فى حقيقة النور ، اعنى مذهب الحكيم نيوتون واتباعه بأن النور مادة لطيفة مؤلفة من ذرات دقيقة جداً تنتشر من المنير فى الجهات على خطوط مستقيمة بسرعة عظيمة ، اى فى كل ثانية ١٩٢٠٠٠ ميل على رأى الحكيم دومر الدنيمركى او ١٢٩٩٩٠٠ مـــتر على حسب تجارب عصرنا . والمذهب الآخر للحكيم (هويجنس) وجمهور من تأخر عنه انه حاسية يوجدها نقر مادة اتر (الأثير) المالئة للفضاء على عصب البصر .

فالمتفق عليه فى المذهبين معاً ان الفضاء ممتلىء من مادة سيالة شفافة نورية مواجة متحركة بسرعة كذا آلاف ميل فى الثانية . وهذا هو عين ما نقصده فانه يحصل منه المشابهة الظاهرة بين البحار وبين المجارى المتوسطة .

(ومنها) ان الكرات السيارة لا بد لـــكل منها من ظل طويل مهيل يحدث خلفه بسبب مواجهة الشمس مع نصف منها ، فيكون كل من السيارات

الكبار والصغار شبيهاً بسمكة طويلة رأسها جرم الكرة البيضوية والبدن ظلها المخروطى المستطيل المشبك ظواهر سطحه باختلاف الضياء والظلام كما مضى فى شكل (٤) .

ولنا فى هذا المقام شرح فى مسألة الفلك ايضاً ، فلا يخال الانسان اذا صادف هذه الاشباح فى الفضاء الا انها صور حيتان عظيمة تسبح سبحا سريعا ، وربما كان ذلك معنى ما ورد فى الشريعة من خلق الأرض على الحوت ، اى على شكل الحوت من هذه الجهة ، حيث ان جرم الأرض يتبعه ظل مخروطى على شكل الحوت ، فاذا ظهر التشابه بين سيارات الفضاء وبين حيتان البحار قويت المشابهة بين الحصص الفضائية وبين البحار ايضا .

ولعل اعتبار هذه النكتة دعى إلى التعبير عن سير النجوم بالسباحة فى شرعنا المقدس كما قال تعالى : ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ (١) وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « ومن تدبير النجوم التى تسبح فى الفلك » .

(ومنها) زيادة الطول العظيم فى هذه المجارى المتوسطة على عرضها وعمقها بسبب استدارة مداراتها الاهليلجية ، كما نجد نظير ذلك فى البحار الأرضية .

* * *

اذا صح وساغ اطلاق اسم البحار على المجارى المتوسطة بهذه الوجوه وامثالها فاستمع لما نتلوه عليك من الشواهد الشرعية التى تشير الى ان المراد من البحار السماوية المذكورة فى الشرع الأقدس هو تلك المجارى المتوسطة بين المدارات :

(الشاهد الأول) ـ فى الكافى ومن لا يحضره الفقيه وتفسير القمى

---

(١) سورة يس آية ٤٠ .

بالاسناد القوى الى الامام الرابع على بن الحسين - عليهما السلام - انه قال : « ان من آيات الله التى قدرها للناس مما يحتاجون اليه البحر الذى خلقه الله بين السماء والارض وان الله قدر فيه مجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب ... »

(الشاهد الثانى) - ماورد فى روايات متعددة « ان فى السماوات بحاراً من نور يتلألأ أنوارها » وقد ذكرنا امتلاء الفضاء المتوسط بين المدارات من المادة النورية الشمسية ، فأى نور أقوى منها فى النظر ؟ ولا ريب فى ان انطباق هذا المضمون على ماذكرناه أنسب من غيره .

(الشاهد الثالث) - روى الحكيم الآلهى الشهير المولى صدر الدين الشيرازى المتوفى سنة ١٠٥٠ فى كتاب المبدأ والمعاد عن كعب انه قال : « خلق الله تعالى سبعة أبحر بحر أسمه قيس من ورائه بحر اسمه الأصم » الى ان عد سبعة أبحر وسماها ثم قال : « ومن ورائه بحر اسمه الباكى وهو آخر البحار ومحيط بالكل ، وكل واحد من هذه البحار محيط بالذى تقدمه » .

وفى هذا الخبر وان لم نجد تصريحاً بأن هذه البحار فى الأرض اوفى السماء الا ان العلم بانتفائها فى الأرض - بعد تسليم النقل - مرجح كونها فى السماوات ، فينطبق على ماأيدناه من جهة احاطة كل بحر بسابقه حتى ينتهى الى البحر المحيط بالكل ، كما هو ترتيب مجارى السيارات .

(الشاهد الرابع) - تحديد اعماق هذه البحار بمسيرة خمسمائة سنة كما فى رواية التوحيد للصدوق والبحار للمجلسى عن النبي ﷺ انه قال : « ان فى السماوات السبعة بحاراً عمق احدها مسيرة خمسمائة عام » وسيتلى غيرها أيضاً . وقد وردت هذه المسافة بعينها فى تحديد مابين الأرضين السبع وكذلك فى تحديد مابين السماوات السبع كما سيأتى .

فينتج الجمع بين هذه الأخبار ان البحار هى المجارى المتوسطة بين السيارات

والرجوع الى رسالة (جبل قاف) نافع كثيراً لهذا المقام .

* * *

ثم من بعد ماسقته اليك لايصعب عليك تطبيق هذه المقالة المعنونة على النظام الجديد ، فقوله : « ان الله تعالى خلق من وراء أرضنا بحراً محيطاً بها » ، يعنى المجرى المتوسط بين أرضنا وأرض زهرة أو أرض مريخ « ثم خلق من وراء ذلك » يعنى من بعده « جبلا » يعنى هيكلا مخروطياً أشبه الأشياء بالجبل العظيم وهو ظل الأرض .

قوله : « يقال له ق » يعنى قد اشتهر وصفه بين اولى الأسرار بأنه قاف لنور سطح الأرض ، من قفا يقفو ، ومعناه اتباع الآثار وظل الارض أيضاً تابع فى مسيره لسير نور الشمس الساطع على وجه الأرض المتحرك الدائب دائماً

قوله : « السماء الدنيا » وهى عند المتقدمين فلك القمر وعندنا ماسنذكره فى مسألة ترتيب السماوات « مترفرفة عليه » أى منبسطة عليه كانبساط الطير المترفرف على الهواء .

ومعلوم انبساط السماء الدنيا فى كلا القولين على مخروط ظل الأرض الملقب بجبل قاف ، وقد ورد فى حديث آخر : « ان قاف جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنفا السماء » أى طرفا السماء .

ولا ريب فى ان قوساً نوعياً من فلك القمر طرفاه على مخروط ظل الأرض دائماً ، وهو القوس الذى ينخسف فيه قرص القمر عند استقراره فيه .

* * *

(تنبيه) جميع قضايا هذه الرواية خاضعة لترتيبنا فى فهم الهيئة الشرعية ومنطبقة عليه كما يظهر لمن تدبر وانصف الا قضية واحدة وهى قوله : « ثم خلق من وراء ذلك الجبل » يعنى مخروط ظل أرضنا « أرضاً مثل تلك الأرض

سبع مرات ، فان ظاهر الكلام يومى الى كرة زهرة لو جعلنا أرضنا مبدأ لترتيب السيارات ، كما عليه مساغ أغلب الروايات أو الى كرة المريخ .

وكيف كان فالظاهر من الرواية ان احدى الكرتين اعظم واكبر من كرة أرضنا سبع مرات والمبرهن فى الهيئة الجديدة خلافه كما مضى فى أواخر المقدمة السادسة ، فلو تمت التحديدات لزم توجيه ظاهر الخبر الى معنى جائز مناسب له بعد تسليم السند ، مثل ان نقول : ان سبع مرات بيان وقيد للخالق لا للمثل ، والأصل انه سبع مرات خلق بعد ظل أرضنا أرضاً ، فيكون ذلك اشارة اجمالية الى خلق سبع أراضى مثل أرضنا بعد مخروط ظل أرضنا . أو نقول : ان وجه الشبه بين أرضنا والتى خلفنا مجمل اذ لم يتبين فى الكلام ، فلا تثبت المنافات اذ ليس فى الخبر ان الله تعالى خلق بعد أرضنا أرضاً مثلها سبع مرات فى الحجم أوفى الوزن أوفى النور أوفى الحــــر أوفى البرد أوفى سرعة الحركة أوفى كثرة المخلوقات أوفى سائر المتعلقات ، فيبقى كل ذلك سائغ الاحتمال

المقالة العاشرة

فى البحار والدر المنثور عن ابن عباس انه قال : دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن فى المسجد حلق حلق فقال لنا : فيم انتم ؟ فقلنا : نتفكر فى الشمس الى ان قال : فقال ﷺ : « ان من وراء قاف سبع بحار كل بحر خمسمائة عام ومن وراء ذلك سبع أرضين يضىء نورها لأهلها ، ومن وراء ذلك سبعين ألف امة » .

أقول : مضامين هذه الرواية منطبقة على تحقيقاتنا السابقة فى جبل قاف والبحار السبعة والأرضين السبع ، كما هى منطبقة على الآراء الجديدة من تعدد الأرضين حول شمسنا ، وان فى كل أرض أهل ومخلوقات حية ، ومن وراء

أراضي شمسنا عوالم اخر ونظامات شمسية مشتملة على خلق وامم من جنس أبناء آدم، كما قال ﷺ: «سبعين ألف امة»، بل وا كثر من ذلك بكثير.

وقوله (ص) في شأن الأرضين السبع: «يضيء نورها لأهلها» يعطي بظاهره ان اهاليها يستضيئون من انوار الأرضين، وهو خلاف التحقيقات الجديدة(١) ولكن ألفاظ الرواية تقبل التوجيه بأن المراد اضاءة كل ارض لأهل كل ارض وهو التحقيق، فأرضنا مثلا تضيء لأهل زهرة والبقية، وارض زهرة تضيء لأهل ارضنا والبقية، واراضي البقية تضيء لأهل ارضنا ولأهل زهرة. او يكون اسم النور كناية عن الشمس وذلك

(١) لم يختص هذا التحقيق بالهيئة الجديدة وانما كان موجوداً عند القدماء من علماء الهيئة ايضاً. ويمكن ان يوجه الخبر بتوجيه آخر ينطبق تمام الانطباق على هذا الحديث الشريف، وهو ان النور على رأي الجمهور يضيء عندما ينعكس على جسم كثيف، فمثلا نحس بضوء نور الشمس عندما ينعكس على الأرض وغيرها من سائر الكواكب، وعلى هذا لما كانت الكرة الأرضية تضيء بواسطة اشراق نور الشمس عليها امكننا القول بأن اهل الأرض يستضيؤن من نور الأرض نفسها، وهكذا القول في سائر الكرات. .

هذا اذا لم نقل بأن المراد انارة كل كرة من نفسها في نظر ساكني تلك الكرة بلا كسب نور من الشمس، فحينئذ لا بد وان نوجه الخبر كما وجهه المصنف فقط، لأن الأرض في نظر ساكني الأرض ليست بمضيئة، بل المضيء في نظر اهل كل كرة الكرات الأخرى غير تلك الكرة التي يسكنون عليها، ولكن ظاهر قوله (ع): «يضيء نورها» ينطبق على الاضاءة التي اخترناها نحن، وهو ان الاضاءة الكسبية لكل كرة مختصة بأهل تلك الكرة فقط - (ف).

امر شائع ، والمعنى ان شمسها يعني شمس تلك الأراضي وهي شمسنا تضيء لاهلها وفي بعض نسخ البحار « يضيء نورها لأهلها » كما جاء ايضا في حديث القباب « ان مخلوقاتها يستضيئون بنورنا » فيتجه ظاهر الخبر بلا كناية ولا عناية بل يفيد معنى مستحدثا ، فان قوله (ص) : « يضيء نورنا لاهلها » يدل بظاهره على ان ارضنا هذه مضيئة لاهل زهرة واخواتها كما ان زهرة تضيء لاخواتها فتكون ارضنا ايضا نجمة مضيئة في الفضاء كسائر السيارات .

المقالة الحادية عشر

في بحار الانوار وكامل الزيارة للحافظ جعفر بن قولويه المتوفى سنة ٣٦٨ هـ مسنداً عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في جملة كلام طويل له يقول فيه : « وما من ليلة تأتي علينا الا وأخبار كل ارض عندنا وما يحدث فيها ، وما من ارض من ستة ارضين الى سبعة الا ونحن نؤتى بخبرهم » (١)

اقول . انظر إلى الارتباط الروحاني والاتصال الرباني بحقائق الأشياء واسرار العوالم كيف يكشف للكامل ما خفي على غيره ، حتى يعلم ما في الأرضين السبع قبل اختراع النظارات وباقي الآلات بقرون عديدة ويطلع على حوادثها

---

(١) وروى هذا الحديث ايضا في معالم الزلفى في الباب ٢٧ من الجملة الثالثة ، وزاد عليه : ان عبد الله بن بكير الأرجاني الراوي قال : فقلت له عليه السلام : جعلت فداك اين منتهى هذا الجبل؟ قال : الى الأرض السادسة فيها جهنم .

اقول : ان اراد بها طبقات ارضنا فيشير إلى حرارة ارضنا ، وإن اراد بها ارض المريخ أو المشتري فالجبل اشارة إلى جبل قاف - اعني ظل ارضنا - فانه ينتهي إلى نواحي كرة المريخ ، وهي الخامسة من الأرضي الشمسية

واخبارها اطلاعا كاملا يعجز عن عشير معشارها اكمل الأدوات الجديدة التى عملت باتقان .

المقالة الثانية عشر

فى تفسير الفاضل النيسابورى وبحار الأنور والدر المنثور نقلا عن سبعة كتب او اكثر عن النبي ﷺ : « ان الأرضين السبع ما بين كل ارض منها والأرض الأخرى مسيرة خمسمائة عام » ، وسيأتى هذا الخبر واسانيده فى ترتيب السماوات ، وانطباق هذه الأراضى على السيارات واضح لاغبار عليه

المقالة الثالثة عشر

ما فى خبر ابن سلام (١) المروى فى البحار وغيره كما سيأتى اسناده انه سأل النبي ﷺ عما تحت الجبل ؟ فقال ﷺ : ارض . قال : وما اسمها ؟ قال : الجارية . قال : وما تحتها ؟ قال : بحر . قال : وما اسمه ؟ قال : سهسك . قال : صدقت يامحمد فما تحت ذلك البحر ؟ قال : ارض . قال : وما اسمها ؟ قال : ناعمة . قال : وما تحتها ؟ قال : بحر قال: وما اسمه ؟ قال : الزاخر. قال : وما تحته قال : ارض . قال : وما اسمها ؟ قال الفسيحة . قال : فصف لى هذه الأرض قال : يابن سلام هى ارض بيضاء كالشمس وريحها كالمسك وضوؤها كالقمر ونباتها كالزعفران . . .

* * *

وقد استفدت بالهام الله تعالى من ألفاظ هذا الخبر اموراً خفية افشتها

(١) ان مسائل عبد الله بن سلام مشهورة عند المحدثين من صدر الاسلام واشار اليها البخارى فى صحيحه ، ولكن الغمز يلحق ببعض سؤالاته

لنا كشفيات المتأخرين ، واليك تلك الأمور :

(منها) تعدد الأرضين ، كما هو ظاهر من الخبر ، وليس فى الاقتصار على الثلاثة دلالة على الانحصار فيها ، فان السائل لم يسأل بعد الثالثة عما تحتها فلوا استزاد لزاده النبى الأمى ﷺ .

(ومنها) تحرك ارضنا ، فان السائل سأل عما تحت الجبل ، اى مطلق الجبل ، فقال (ص) : « ارض اسمها الجارية » وكثيراً ما يراد من الاسم السمة والصفة اللازمة كما قال على (ع) : « ان اسم السماء الدنيا رفيعة » اى سمتها الظاهرة وصفتها اللازمة (١) فأشار النبى (ص) فى هذا الخبر إلى ان صفة ارضنا وسمتها الجارية ، اى انها تجرى فى الفضاء وتسير الى يوم المصير (٢)

(ومنها) انطباق اوصاف هذه الأراضى الثلاث على ارضنا والمريخ مع المشترى حسب ترتيب مداراتهم اذ جعلها تحتنا ، فان انسب احوالنا الى الاعتبار حال مواجهتنا مع الشمس ، مضافا الى صدور الكلام فى النهار ، فيقع مدار المريخ والمشترى تحتنا وتحت ارضنا ، فقوله ﷺ : « ان تحت الجبل ارض » اى تحت طبيعة الجبل وجنسه او الجبل المعهود بينه وبين السائل ، وقوله ﷺ : « اسمها الجارية » اى صفتها اللازمة وسمتها هى الجريان فى الفضاء وسأذكر فى مسألة عدد السيارات خبراً فيه تسمية ارضنا بالجريان .

---

(١) هذا التفسير مبنى على أن نقرأ (رفيعة) بالفاء واما على قراءة بعضهم (رقيعة) بالقاف فمعناه القماش الذى عليه النقوش ، وهذا اسم السماء بالعبرانية كما ورد فى التوارة (ف) .

(٢) قال نور الله : ويؤيده أن الجبل والأرض كلما اجتمعا فى اللفظ افترقا فى المعنى وصار احدهما بمعنى الصخر والآخر بمعنى التراب ، واطلاقه هنا باعتبار غلبة الأجزاء الترابية أو كونها تحت الطبقة الصخرية .

وانما خص النبي ﷺ ارضنا بالجريان مع انه صفة لباقي الأراضي ايضا ، لاظهار ثبوت هذه الصفة المجهول ثبوتها في ارضنا المعلوم ثبوتها في البقية .

وقوله ﷺ : « وتحتها بحر » اي مجرى وسيع مستطيل عميق ممتلىء من جوهر سيال مواج كما حققناه في المقالة التاسعة .

وقوله ﷺ : « وتحت ذلك البحر ارض » اظنها المريخ ، وقد سبق تصحيح اطلاق اسم الأرض على السيارات .

وقوله (ص) : « اسمها الناعمة » اي سمتها وصفتها النعومة ، وفي القاموس وغيره اطلاق الناعمة على الروضة والأرض الكثير عشبها وخضرها وكذلك كرة المريخ بناءاً على الاستكشافات الأخيرة ، فقد قالوا بغلبة الماء على ثلث كرة المريخ فقط لا على ثلثي الكرة كما في ارضنا ، فوجه المريخ اكثر ظهوراً ونظارة بالخضرة والأعشاب الناجمة فيه من وجه ارضنا مع اعتدال الحر والبرد هنالك كما ذكرنا . ولون النبات في كرة المريخ مائل إلى الحمرة كما يميل في ارضنا إلى الخضرة ، ولأجل ذلك ترى نجمة حمراء في الأنظار والنظارات . وعلى هذا فنعومة ارضها بكثرة الأعشاب والخضرة امر اكثر اختصاصاً بها من غيرها ، فيكون أليق اوصافها واسمائها بالذكر اسم (الناعمة) .

وقوله (ص) : « وتحتها بحر » كأنما اجرى كلامه في البحار السماوية على نحو ما حققناه في المقالة التاسعة ، بل لو تصفحت الأخبار الناطقة بالبحار السماوية وجدت اكثرها بل جميعها منطبقة على التحقيق المذكور .

وقوله (ص) : « وتحت ذلك البحر ارض » اظنها كرة المشتري ، كما يظهر من تطبيق الأوصاف عليها لقوله (ص) : « اسمها الفسيحة » لأن

فسحة هذه الكرة وسعة سطحها اكثر من سعة جميع الأراضي السيارة ، اذ هي اكبر حجماً من كرة ارضنا بألف واربعمائة مرة تقريباً كما مر ، فيكون ألق سماتها وصفاتها بالذكر اسم الفسيحة .

وقوله (ص) : « هي ارض بيضاء كالشمس » اظن الوجه في تشبيهها بالشمس هو دوام الضوء والنور على قرصها ، فان ارضنا واكثر الأراضي السيارة وجميع الأقمار الدوارة قد يزول من وجه قرصها النور بسبب حيلولة جسم ظلماني بينها وبين ما تستضيء منه الا الشمس ، فان وجه قرصها دائم النور ولا تزول عنه الضوء ، لأن قرص الشمس هو منشأ الأنوار ، وكذلك كرة المشتري فانها ايضا لا يزول النور من صفاح وجوهها ابداً لكونها محفوفة بأقمار تسعة تدور حولها بسرعة دائمة . مضافا إلى قصر لياليها واستضاءة نصف منها بالشمس ، وأن زحل ترى في المشتري كالقمر في ارضنا وغير ذلك .

وقوله (ص) : « وضوؤها كالقمر » اظن الوجه في تشبيهها بالقمر بعد تشبيه بياضها بالشمس هو جهة اكتسابها النور من الشمس ، اى كما أن ضوء القمر مستفاد من الشمس بالاتفاق كذلك ضوء ارض المشتري مستفاد من الشمس ايضا وفاقا للهيئة الجديدة . وقد اتى بهذه الجملة بعد قوله : «بيضاء كالشمس » لئلا يتوهم انها كالشمس من جهة كونها نورانية بذاتها مضيئة بنفسها فأشار (ص) إلى انها كالقمر وباقي السيارات التي نورها مكتسب من الشمس.

وقوله (ص) : « ونباتها كالزعفران » فان اسقاط وجه التشبيه فيه اورث اجمالا في المقام فلا نعرف المراد منه عينا وأن نبات ارض المشتري كالزعفران طبعا او شكلا أو لونا أو رائحة ، فكما أن لون النبات في المريخ يميل إلى الحمرة نوعا ما وفي ارضنا إلى الخضرة كذلك في ارض المشتري يجوز

ان يميل إلى صفرة زعفرانية كما حكى عن فلاسفة العصر ، فيجوز أن يكون قوله : (ص) : « وبناتها كالزعفران » اشارة إلى ذلك ، اى بحسب اللون (١)

وذكر بعض فلاسفتهم ان النبات والشجر كثير في المشترى لاعتدال حره ، وان اشجارها اكبر من اشجارنا نوعاً على نسبة عظمة المشترى بالقياس الى أرضنا . فلو صح هـذا الكلام جاز ان نحمل عليه الحديث الصحيح الذى رواه القمى فى تفسيره عن النبي ﷺ أنه رأى فى محل سدرة المنتهى ان الورقة منها تظل امة من الامم .

☆ ☆ ☆

ويناسب المقال ذكر ماقاله الفلاسفة فى اللون والنباتات المتكونة فى أراضى السيارات :

قال فى تقويم المؤيد الأغر لسنة ١٣١٩ هج : فى (زحل) لون النبات رصاصى ، وفى (المشترى) البياض المشوب بصفرة وسمرة ، وفى (المريخ) الحمرة وفى (زهرة) البياض الناصع ، وفى (عطارد) المركب من لونين . . .

ولا يخفى ان هذا موافق لما ذكرته فى شرح هذا الخبر .

وفى هذا الخبر القدسى كشف لأسرار عظيمة نشرت بعضها فى هذا الكتاب ، وسوف انشر البقية فى غيره انشاء الله تعالى .

المقالة الرابعة عشر

فى البحار عن المثنى الحناط قال : سألت الامام السادس جعفر بن محمد

---

(١) ويؤيد هذا ماورد فى الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام : « ان اسم السماء الخامسة (هيفوف) وهى على لون الذهب » ، وأنت تعلم ان ترتيبنا المختار فى السيارات يقتضى ان تكون كرة المشترى سماءاً خامسة .

الصادق عليه السلام عن السماوات ؟ فقال عليه السلام : « سبع سماوات ليس منها سماء الا وفيها خلق ، وبينها وبين الأخرى خلق حتى ينتهى الى السابعة » قال : قلت : والأرض ؟ فقال عليه السلام : « سبع منهن خمس فيهن خلق من خلق الرب واثنتان هواء ليس فيها شىء » .

يقول المصنف هبة الدين : لقد وجدت هذه الرواية بألفاظها فى أصل المثنى الحناط (صاحب الامام الصادق) فى مكتبة شيخنا المحدث النورى نور الله تربته وسنذكر انشاء الله تعالى ترتيب السماوات وحقيقتها واشتمالها على الخلق .

وقوله عليه السلام : « اثنتان ليس فيهما شىء » يجوز حملها على أرض عطارد وارانوس ، فان الظن بخلوهما عن الحيوانات أقوى فيما بين القوم ، ولكن الأخبار فى وجود الخلق الحيوى لاسيما من النوع البشرى كثيرة جداً وسوف يأتى ذكرها ، فاما ان يحمل هذا الاختلاف على اختلاف الاوقات وان الاثنين كانت خلية عن الخلق الحيوى فى عصر ثم وجد فيها لاحقاً أو كان موجوداً فيها سابقاً ، أو يحمل على اختلاف حقائق المخلوقات ، أو ان النفى ناظر الى جنس منها والاثبات ناظر الى جنس آخر - فتدبر .

المقالة الخامسة عشر

فى بصائر الدرجات ج ٨ باب ١٥ بعدة طرق مختلفة واختصاص المفيد واكمال الدين للصدوق ومنتخب الاختصاص بأربعة طرق والبحار بالأسانيد عن الامام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام فى وصف الامام المنتظر القائم من آل محمد عليهم السلام انه قال فيما قال : « أما انه سيركب السحاب ويرقى فى الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع خمس عوامر واثنتان خرباوان » .

أقول : دلالة هذه الرواية على تعدد الأرضين واشتمالها على النوع البشرى

واضحة ، لحكمه ﷺ بعمران خمس منها ، والعمران لايكون الا من أعمال الانسان .

واحتمل ان يكون قوله ﷺ : « واثنتان خرباوان » اشارة الى خلو أرض عطارد وأرانوس كما مر ، أو خلو أرض فلكان ونبتون ، فان افراط الحر فى فلكان من فرط قربه للشمس وكذا افراط البرد فى نبتون من فرط بعده عن الشمس مستوجب لعدم صلاحيتهما ونفى قابليتهما لسكنى الانسان والحيوان كما سيأتى بيانه .

وأما قوله ﷺ : « ويرقى فى الأسباب » فاحتمل ان يكون اشارة الى تكميل الاسباب السماوية الناقصة فى عصرنا . من مثل المناطيد والطيارات وبقية المراكب الهوائية التى ترقى بالانسان وتصعد به بمعونة البخار أو الأجنحة أو غيرها الى السماء ، فلربما تتكامل هذه الاسباب والمراكب الى عصر المهدى القائم الموعود بحيث تنزح بالركاب من كرتنا الى باقى الكرات السامية .

ألا تذكر عجز الانسان عن صعودهم الى الهواء بمقدار باع بل ذراع حتى كانوا يمثلون للأمر المستحيل بالطيران فى الهواء ، ثم اقتدروا من ترقى العلوم وتربية الأفكار الى ان صعدوا فى المراكب الهوائية اعالى الهواء ورفعوا بها المدافع والأثقال سائرة بهم فوق السحب والجبال بمآت الأميال .

وخاصة العصر الحاضر الملىء بالكشفيات والصنائع الجديدة التى تحير العقول من عظمتها ومتانة صنعها ودقة تنظيمها ، هذه الصواريخ تبشرنا بقرب وصولنا الى كرة القمر ، وهذه الصنائع الجديدة الهوائية تضع أمامنا الوسائل للصعود الى الكواكب التى لم نصدق ان يأتى يوماً نحلم بالصعود اليها . أليست هذه الأقمار الصناعية مما يقرب الينا مانقرأه فى هذا الحديث الشريف من الرقى فى السماء وقطع المسافات البعيدة فى هذا الفضاء الواسع الممتلىء بالعجائب والآيات

فلا تستبعد حصول ماتظنه مستحيلاً فلربما يأتى يوم تتهيأ لك آلة تعرج بك من كرتنا الهوائية فتجول فى بيداء الفضاء بعد تكميل سائر المقدمات والمبادىء وازالة جملة الموانع العائقة فى طريقك فتستعد حينذاك للمهاجرة الى الكرات السامية والمعاشرة مع أهاليها وساكنيها ، كما يحدثنا به القرآن الكريم : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾ (١) .

ولهذا يمكن ان ترتقى العلوم عند سكنة هاتيك الكرات فينزلون الينا بأسبابهم وتتعلم منهم الصعود اليهم والسفر الى كراتهم . فكل هذه الأشياء جائز مظنون وتحظى بها النفوس القابلة .

ولو اشتريت الآن عمرى بيوم من تلك الأيام السعيدة لبعتك العمر كله رابحاً مستبشراً ، ولكن حدث عن الاعمار والهمم واستعداد قومنا وبلادنا ، فانك لاتجد فيهم أو فيها حتى الآن مبادىء من آثار التمدن الذى كاد العالمون ان يبلغوا منتهاه ، وحسبك انا نسمع بالتلسكوب والنظارات التى تريك جبال القمر ولم نرها فى بلادنا قط .

وخلاصة ماقدمته ان ترقى الأسباب السماوية بحيث تحمل المسافرين الى الأراضى السيارة فى الأزمنة الآتية أمر ظاهر مظنون ، فيجوز ان نحمل عليه قوله عليه السلام فى وصف القائم المنتظر - عجل الله تعالى فرجه - : « أما انه سيركب السحاب ويرتقى فى الأسباب أسباب السماوات السبع » .

أما ركوب السحب بمعنى السير فوق ظهورها والعلو عليها ميسور بحمد الله تعالى فى هذا العصر أيضاً بواسطة الطيارات والمراكب الهوائية .

وقد يكون ارتقاء المهدى عليه السلام فى الأسباب اشارة الى دخول العالم فى طور جديد من العمران والمدنية هى ارقى من عصر خطاب الامام الباقر عليه السلام

---

(١) سورة الحجر آية ١٤ .

بما لايقاس ولا يحصر ولا يخطر على قلب بشر من التفنن فى وسائل الحياة وتكامل الصنائع والحاجات ، كما أشار الى ذلك أمير المؤمنين على عليه السلام فى احدى خطب نهج البلاغة التى هى فى صفة القائم من آل محمد (ص) حيث يقول : « فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون » يعنى من ظهور القائم من آل محمد (ص) باتفاق الشارحين .

فبفارغ الصبر نأمل قرب ظهور المصلح المنتظر المهدى الموعود عند تكامل الصنائع وارتقاء أسباب السماوات على مامر ، وارتقاء أسباب الارضين من صنوف نواقل البرق والبخار والذرة وغيرها مما لانعلم بها الآن ، كما كانت الصنائع الحالية غير معلومة لمن قبلنا بل كانت غير معقولة فى صدر الاسلام وعند المسلمين الاولين .

كان الاولون من أسلافنا يتلون فى كتاب ربهم : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالاتعلمون . وعلى الله قصد السبيل ﴾ (١) ثم لم يكن فى علمهم وحسبانهم مانحسه اليوم من الدوارج والبوارج ، فعسى أن يحس أبناؤنا مالانحسبه اليوم ولا نتفكر أبداً . والمستقبل كشاف والليل حبلى فما يدريك ماتلد .

واستوفيت المقال فى هذا المجال فى تصنيفى (الشريعة والطبيعه) و(مظاهر الطبيعة من ظواهر الشريعة) .

---

(١) سورة النحل آية ٧-٨ .

(المسألة الخامسة)

(ان السيارات تسعة فكيف تكون الارضين سبعة ؟)

ان المقالات المتواترة فى الشريعة الاسلامية ـ على صاحبها التحية والسلام ـ قد وجدناها تعد الارضين سبعة ، وذلك ترتيب غريب لايستقيم على النظام الجديد ولا القديم ، اذ السيارات فى الهيئة الجديدة تسعة وفى الهيئة القديمة وان كانت سبعة لكنها ليست عندهم بنحو يصدق على شيء منها الارض ولايعدون أرضنا منها مع كونها الأرض الحقيقية المسلمة ، مضافا الى ادخالهم جرم الشمس فى عداد السيارات مع انها ليست بأرض اتفاقاً ، فما وجه حصر الأرضين والسماوات فى السبعة والسكوت عن فلكان و نبتون ؟

(الجواب)

لما كانت هذه المسألة المعضلة منحلة الى سؤالين أوردنا الجواب عنها فى مقامين : أحدهما ان الشرع الاسلامى هل حصر الأرضين فى السبع أولا ؟ وثانيهما انه هل سكت عن أرض فلكان و نبتون أولا ؟

المقام الاول

ان الغالب فى كلمات شرعنا الأقدس وان كان تعدد الأرضين وان السماوات سبعة لكن العدد قد لايفهم منه نفى الزائد ، وموارده كثيرة فى لغة

العرب . مضافا الى تصريحات الأئمة المعصومين عليهم السلام لبعض الاخصاء من أصحابهم بأن الأرضين أكثر من السبع كما سيأتي في أخبارهم عن فلكان ونبتون وتقدم في مسألة تعدد الأرضين في المقالة السادسة انها تقرب من ثلاثمائة ، وفي بعض الاخبار انها أربعون ، وستسمع أمثال هذه الاخبار في مسألة تعدد العوالم

وانما كان الشائع في ألفاظهم هو ان الارضين سبعة باسقاط فلكان ونبتون لأن السبعة من السيارات كانت مرئية بالأبصار المعتدلة حتى عند المتقدمين ، ولكنهم لم يتفطنوا بسير بعض منها . وتلك السبعة هي : أرضنا ، وزهرة ، وعطارد ، والمريخ ، والمشترى ، وزحل ، وأرانوس .

انهم يقولون : ان ارانوس مبصر ولكنه صغير كنجم من القدر الخامس من الانجم المبصرة مثل نجمة سهى بل انور منها ، فالناظرون الى السماء كانوا يرون نجمة ارانوس قديماً وحديثاً ولكنهم لم يشعروا بكونها سيارة كسائر السيارات ، إما لبطء مسيرها أو لخفاء نورها أو لغير ذلك .

وأما (فلكان) و (نبتون) فمن غاية قرب الأول من الشمس وكثرة بعد الثاني عنها لم يكن أحد وقتاً ما يتمكن من رؤيتها بالبصر المجرد أبداً ، وانما يدركان في عصرنا الحاضر بالأبصار المسلحة بأكمل النظارات القوية كما لا يخفى.

فاذا كانت السيارات المرئية اعني التي يبصرها الناس سبعة وثبت ان فلكان ونبتون لا يراهما أحد بالبصر المجرد فأقول : المظنون لدى هو ان شرعنا الاطهر جعل مدار كلامه في السيارات مع عامة الناس على ماهو المرئى والصالح للرؤية لا على الممتنع إبصاره في تلك العصور ، فتلك الارضين السبع السيارة لما كانت صالحة للرؤية اعتبرها الشارع في شائع كلماته ، وأما فلكان ونبتون ونحوهما فاذ كانت غير صالحة لأن يراها أحد لم يتوجه الكلام الشائع اليها في شريعتنا ، بل ألقى ذكرهما الى الخواص بضرب من الاشارة كما سيتلى .

أما ذكر السماوات السبعة فلأنها ملحوظة بالنظر الى الأرضين ، على ما سيأتى ان شرعنا القدسى قد عين لكل أرض سماءاً يختص بها .

هذا ، مع انه احتمل المقام أمراً آخر وهو ان السماوات ـ على ماسيجيء تحقيقه الشرعى ـ هى الكرات البخارية المحيطة بالكرة الهوائية من كل أرض والكرة البخارية لاتحدث الا بشرطين :

(الأول) ـ ارتفاع الحرارة والأجزاء النارية من الجسم الارضى .

(الثانى) ـ كثرة الرطوبات والأجزاء المائية .

ووجود هذين الشرطين فى السيارات السبعة المبصرة قريب الاحتمال جداً ، ولذلك ادعى القوم رؤية الكرة البخارية فى السبعة المبصرة فقط ، وسنذكر تصريحاتهم فى المسألة الثانية عشر ، وأما السيارتان المستورتان فلكان ونبتون فبعيد وجود الشرطين السابقين فيهما ، فان فلكان من غاية قربهامن حرارة الشمس لاتبقى رطوبة فيها عادة حتى يظهر فيها البخار ، كما ان نبتون من كثرة بعده عن الشمس لاتكون فيه حرارة عادة حتى ينهض البخار فيه ، اذ قدر القوم حرارة شمسنا فى كرة نبتون بأقل مما فى أرضنا بأكثر من تسعمائة مرة .

ولايذهب عنك ان الظن يستقرب هذه المعانى فلا تحسبها مبادىء يقينية (والحق أدرى بالذى خلق) .

المقام الثاني

هل ان شرعنا الأقدس أخبر عن السيارتين المستورتين فلكان ونبتون اولم يخبر حيث كانت المصلحة فى سكوته ؟

ومعلوم ان الاخبار عن مثل هذه الأشياء انما هو بالاخبار عن اوصافها المنطبقة عليها لا بأساميها الأروباوية المستحدثة .

نقول فى هذا المقام : انا نجد الشريعة الاسلامية تخبر عن ارضين مستورتين وعن اوصاف خاصة بهما منطبقة على ارض نبتون وفلكان :

اما (نبتون) المكتشف وجوده سنة ١٢٦٤ ﻫ - ١٨٤٦ م فينظر اليه - حسبما اظن - الخبر المروى فى البحار ومعانى الأخبار وغيرهما بالاسنادالقوى عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (ع) انه حينما سألوه عن معنى الأفق المبين ؟ قال (ع) : « قاع بين يدى العرش فيها انها رتطرد » .

اقول : القاع فى اللغة بمعنى الأرض ، والطرد بمعنى الجريان : ومخالفة هذا الحديث مع مبانى النظام القديم واضحة لجواز انطباقه على كرة نبتون ، فان العرش فى اللغة السقف وفى لسان الشرع - على ما سنحققه فى مسألة تعدد العوالم - هو منتهى عوالم الأجرام والأجسام من كل جهة ، كما ان اسم الكرسى فى شرعنا القدسى محمول على المحدد لأفلاك سياراتنا والمفروض نهاية لعالم شمسنا ، فيجوز أن تكون الأرض الشاخصة بين يدى العرش من دون سائر الأراضى السيارة هى (نبتون) ، فانها بحسب الظاهر كبواب لاداراتنا الشمسية وآخر سيار فى نظامنا يتمثل بين يدى عالم الثوابت

وربما يكون فى التعبير عنها بالأفق نوع اشارة إلى حيطة مدارها بسائر اجرامنا ومداراتنا ، مثل احاطة الأفق بأجرام الأرض .

* * *

واما (فلكان) المكتشف وجوده سنة ١٢٦٤ ﻫ ١٨٤٦ م فينظر اليه حسبما اظن الخبر المروى فى البحار والمناقب للحافظ الشيخ رجب البرسى المؤلف سنة ٨٠٠ ﻫ ومصباح الفاضل الكفعمى بالاسناد عن الامام السابع

موسى بن جعفر الكاظم (ع) عن آبائه المعصومين عن النبي (ص) انه قال له جبرئيل : « والذى بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب ارضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله ، إلى أن قال : « ومسير الشمس فى بلادهم اربعون يوماً . . »(١)

ومثل هذا الخبر ما رواه العلامة المجلسى فى بحار الأنوار عن بعض المفسرين : « ان لله سبحانه وتعالى من وراء جبل قاف ارضاً بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة اربعين يوماً للشمس »

وفى كتاب العوالم عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عن النبي (ص) انه قال له جبرئيل : « والذى بعثك بالحق نبياً إن خلف المغرب ارضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله يعبدونه ولا يعصونه » .

وانطباق هذه المضامين على نجمة فلكان من جهة انها من شدة قربها من الشمس وقوة الاشعاع عليها اشد بياضاً من الفضة المجلوة .

وحسبك أن نجمة عطارد ينتهى بعدها عن الشمس إلى تسعة وعشرين درجة ، وقوة نور الشمس وحرها فى عطارد ثمانية امثال نورها فى ارضنا ،

---

(١) وفى هذا الخبر اشارة إلى سكون الشمس وتحرك الأرضين حولها لأن حركة الشمس فى النظام القديم حول الأراضى منتظم لا يختلف حسب اختلافها ، فيكون بناءاً عليه مسير الشمس على سطح الجميع ٢٤ ساعة أو ٣٦٠ يوماً ولا يتجه اختلاف مسير الشمس على سطوح الأرضين بحيث يكون فى البعض ٣٠ يوما وفى البعض ٤٠ يوما وفى البعض اكثر أو اقل ، الا على النظام الجديد - اعنى سكون الشمس وحركة الأرضين . ذكر ذلك بعض المعاصرين ، فتأمل فيه .

نعم ان الخبر بسبب اثباته ارضاً غير ارضنا ينبىء بفساد النظام البطلميوسى ، وفيه الكفاية .

ونجمة فلكان ينتهى غاية بعدها عن الشمس إلى سبع درجات ، فما ظنك بقوة نور الشمس فيها والحالة هذه ! ! ولأجل ذلك سماها الافرنج (فلكان) ، وهو عندهم اسم للجبل النارى ومعربه (بركان) .

والحاصل أن نجمة فلكان من غاية قربها من الشمس اشد بياضاً من كل جسم ابيض .

والجهة الأخرى المكملة لهذا التطبيق أن الطول فى كل ارض سيار انما هو خطها الاستوائى ـ اعنى به دائرة الاستواء كما فى ارضنا ـ والشمس تواجه اجزاء دائرة الطول من كرة فلكان فى عشرين يوماً من ايام ارضنا فى السير السنوى لا المحورى ، فان فلكان سيار حول نفسه فى ثمانية عشر ساعة تقريباً وسيار حول الشمس سنوياً فى عشرين يوماً ، وعلى هذا يكون النهار فيه تسع ساعات والليل ايضاً تسع ساعات ، واطلاق اليوم على النهار سائغ بل شائع فى العرف ، فيصدق أن طول كرة فلكان مقدار مسيرة الشمس اربعين يوما نهارياً بالسير السنوى لنجمة فلكان ، وأن ارضها بيضاء من شدة شعاع الشمس كبياض الفضة المجلوة ، وانها من وراء جبل قاف أى من بعد مخروط ظل الأرض ـ كما تقدم ـ إن كان صدور الكلام فى الليل ، وانها خلف المغرب من جهة ارضنا حال كون الأرض حذاء الطرف الشرقى من قرص الشمس ـ فتدبر .

* * *

ونظير هذه الأخبار ما رواه الحافظ السيوطى فى الدر المنثور عن بعض ائمة الكوفة ـ والظاهر انه الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) ـ انه قال : قام ناس من اصحاب رسول الله (ص) يعنى احتراماً له ، فقصد النبى (ص) نحوهم فسكتوا ، فقال (ص) : ما كنتم تقولون ؟ قالوا : نظرنا إلى الشمس فتفكرنا فيها من أين تجيء ومن أين تذهب وتفكرنا فى خلق الله تعالى؟

فقال : (ص) : « كذلك فافعلوا ، تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله تعالى ، فان لله تعالى من وراء المغرب ارضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة الشمس اربعين يوماً فيها خلق من خلق انه تعالى » .

وروى الغزالى فى باب التفكر من كتاب احياء العلوم : أن النبى(ص) خرج على اصحابه وهم يتفكرون فقال : « تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فيه فان لله تعالى وراء المغرب ارضاً بيضاء بياضها ونورها مسيرة اربعين يوما فيها خلق لا يدرون خلق آدم ام لم يخلق » .

ورواه عنه تاج الدين ابن تقى الدين السبكى فى الجزء الرابع من طبقات الشافعية .

تتمة مهمة

فى توقع كشف جديد

قد تكرر فى بعض اخبار الأئمة الاطهار اشارات وبشارات بوجود ارض مستورة عن الأبصار اكبر من ارضنا بكثير ، وهى :

١ ـ روى الحافظ فخر الدين الطريحى فى كتاب مجمع البحرين عن فخر الدين الرازى فى جواهر القرآن بسنده عن النبى ﷺ انه قال : « لله تعالى أرض بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً ، هى مثل الدنيا ثلاثون مرة » .

٢ ـ روى الشيخ الزاهد أبو الليث السمرقندى المتوفى سنة ٣٧٣ هج فى كتاب له وعندى نسخة منه عتيقة جداً يلوح من رسوم خطها واوارقها انها مكتوبة قبل المائة الثامنة الهجرية وفيها ان رسول الله (ص) قال : « ان الله

تعالى خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثون مرة ، ومسيرة الشمس فيهاثلاثون يوماً محشوة خلقاً » .

٣ ـ روى فى كتاب البحار و بصائر الدرجات عن الامام السادس جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان من وراء أرضكم هذه أرضاً بيضاء ضوؤها منا ، فيها خلق يعبدون الله تعالى ولا يشركون به شيئاً » .

أقول : هذه الاخبار فى صدد الاعلام بوجود أرض سيارة مجهولة غير معلومة ، لكنها قابلة لأن تحمل على ارادة أرض فلكان كما استبان بشرط معالجة قوله : « هى مثل الدنيا ثلاثون مرة » . فان ظاهره كونها اكبر من أرضنا ثلاثين مرة ، والمعروف فى تحديد نجمة فلكان انها أصغر من أرضنا بكثير ، الا ان يقال باشتباه الأمر عليهم فى تحديدهم ، كما اعتذر بعضهم بأنا حيثما لم نر لها قمراً ونحوه لم نعرف قدر جثتها ولا بعد مسافتها عنا .

وأيضاً يحتاج عند ئذ قوله : « ومسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً » الى الى تصرف وتوجيه آخر .

وهذه الأخبار قابلة أيضاً لأن تحمل على ارادة أرض سيارة أخرى من داخل نظام شمسنا غير فلكان وغير نبتون ولو لم يشتهر اكتشافه ، اذ لا يقول أحد بامتناع وجود سيارة أخرى غير هذه التسعة ، وسنذكر فى مسألة اعداد السيارات جملة روايات يظهر منها ان النجوم السيارة احدى عشر . بل يظهر منها أيضاً ان هذه السيارة الخفية حتى الآن موضعها وراء أفلاك النجيمات بل وراء نبتون ، فينبغى ان نرتجى كشفها اذا تكملت الآلات والنظارات بأكمل مما

(١) اكتشف بعد تأليف هذا الكتاب سيارة (بلوتو) وصار بهذا الاكتشاف عدد السيارات عشرة ، ويمكن ان تكون هذه هى السيارة التى يتحدث عنها المؤلف فى هذا المقام (ف) .

هى عليها الآن (١) .

ولعمرى ان هذا السيار لو ظهر وانكشف فالأحرى ان يسموه (النجم المحمدى) ، فانه (ص) بينه وأوضح صفاته ومرضعه منذ الف عام وقرون وأيام ، ولكن أين ذا وأنى ذلك فان هذه الترفيقات لايحظى بمثلها المسلمون من شدة تقاعدهم عن صرف الهمم وبرودة قلوبهم فى تحصيل الكمالات ، والافرنج وان كانوا الآن موفقين غير مقصرين الا اننا نراهم يرمقون المسلمين بأنظار غير شفيقة يظهرون لنا غير مايضمرونه علينا ، ونرى دعاتهم فى كل عصر ومصر يبذلون الجهد البليغ فى محو آثار هذه الشريعة السمحاء وتفريق جامعة هذا الدين المبين ، ونحن فى غفلة عنهم معرضين .

كيف نرجو منهم ان يضعوا وسامة نبينا (ص) على ذلك المستكشف المستحدث ؟ ان هذا شيء لم يعملوه الا ان يتبدل الحال وترتقى هم الرجال .

دع نيران قلوبنا على لهباتها بين الضلوع ، وخل عن الآماق تموع كالشموع من ضعة المسلمين فتذرف بالدموع ، فان هذا هو العصر الذى أخبر عنه فى شرعنا : « ان قلب المؤمن ينماث فيه كما ينماث الملح فى الماء » . والأمر بيد الله تعالى .

«المسألة السادسة»

(فى حقيقة السماوات السبع والأرضين وترتيبهما)

يعتقد اكثر المسلمين فى السماوات السبع والأرضين السبع المذكورات فى شريعتهم انها هى فلاك السيارات التى أثبتها قدماء الحكماء والتزموا بأنها أجسام بسيطة شفافة كروية متلاصقة ، وغير ذلك من الصفات السابقة .

ونحن نجد الحكماء المتأخرين قد كشفوا بعد الألف من هجرة النبى (ص) غشاوة الجهل عن وجوه الجواهر العلوية وشرحوا لنا أحوال الكرات من من الثوابت والسيارات فلم يجدوا من تلك الأفلاك عيناً ولا أثراً ، بل وجدوا ماينافى وجودها ـ كما سيتلى فى غير مكان .

فاذا انتفى وجود هذه الأجرام العظيمة وبطلت مبانى الهيئة القديمة فأين تكون السماوات والأرضون التى تواتر ذكرها فى الدين الاسلامى ـ على مبلغه السلام والتحية ؟

(الجواب)

لايكاد يخفى على من استقرا كتب المسلمين انهم وان اتفقوا فى عدد السماوات ولكنهم مختلفون فى حقيقتها وتطبيقها على أفلاك الفلاسفة ، حتى ان بنى نوبخت (وهم من قدماء الامامية المشهورون بعلوم النجوم والفلسفة) يرون السماوات السبع فوق الأفلاك ، وتبعهم فى ذلك حسب المنقول الشيخ أبو الفتح محمد الكراجكى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ .

نعم ، منذ شاعت الهيئة البطلميوسية فى القرون المتوسطة الهجرية اشتهر بين المسلمين أن السماوات السبع هى الأفلاك العظيمة للسيارات السبع ، حتى اعتقد المتفلسفون منهم أن الكرسى هو فلك الثوابت وأن العرش هو فلك الأفلاك على ترتيب الهيئة القديمة ، كما صرح بذلك شيخنا الشيخ البهائى فى صدر تشريح الأفلاك وغيره فى غيره .

اما حقيقة السماوات فلا زالت مجهولة عند علماء الاسلام وغيرهم ، لأن المنقول بالظن واليقين من مقالات هـــذا الشرع المبين فى ابواب السماوات والأرضين غير مناسب لما اثبته الفلاسفة للجواهر السماوية لاذاتاً ولا صفة بل التنافى بينهما ظاهر وبين جداً .

ان الشرع الاسلامى ناطق بأن السماء تقبل الطى والانخراق والشمس والقمر يقبلان التكوير والانشقاق ، وان السماء قد خلقت من بخار أودخان ولها سلاك وابواب وسكان ودواب ، وفيها صخور وجبال وذرات اقل من المثقال ، وهى حادثة غير ازلية وزائلة غير ابدية ، وأن الجنة موجودة الآن فيما بينها بجميع لذاتها الحية ، وغير ذلك مما يناقض مبانى الهيئة البطلميوسية

ولأجل هذا التنافى التزم المحققون من علمائنا بالتفرق فى اكثر ظواهر الشرع ، حتى ذهب بعضهم إلى اتحاد عنوان السماوات وعنوان الأفلاك ، كل هذا لكى يوفقوا بزعمهم بين الشريعة المقدسة وبين تلك الفلسفة المندثرة ، حيث كانوا مستأنسين بقواعدها غافلين عن وهن اساسها ، منذهلين عن ان النبي (ص) وامناءه (ع) كانوا يحذرون الناس عن الميل الى آراء الفلاسفة ، فلو كانت آراؤهم هى البواطن لظواهر اقوال الشريعة فما هذا التحذير ؟

وحيثما كان تحقيق حقيقة السماوات فى الشريعة وبيان ترتيبها من اهم مسائل هذا الكتاب وانفعها ومن اصعب البحوث الاسلامية العصرية لزمنى الاجتهاد

والتدقيق فى الفحص والشرح ، فاستعنت بالله وافرزت هذه المسألة من ترتيب السماوات حتى تتضح حقيقة السماء شرعاً وأن اسم السماء فى شرع الاسلام مستعمل فى اى معنى حقيقى ثابت فى الكون لا نعرفه .

فنقول : لا شك أن العرف واللغة يطلقان السماء على الشىء العلوى ، فانه من السمو بمعنى العلو .

قال الفاضل القزوينى فى عجـــائب المخلوقات : كل ما فوق الأرض فهو سماء .

وفى طريق اللغة : يقولون ما علاك فهو سماؤك .

وقال الثعالبى فى كتابه لباب الأدب فى اول ابوابه : كل ما علاك فأظلك فهو سماء ، وكل شىء دب على وجه الأرض فهو دابة . .

وقال الطبرسى فى مجمع البيان : كل ما علاك واظلك فهو سماء ، وكل ما استقر عليه قدمك فهو ارض ، وذلك واضح لا ريب فيه .

وعلى هــــذا يكون اطلاق السماء على المطر والسحاب والفلك والجو وأجرام الكواكب وغيرها على نحو الحقيقة جميعاً ، فانها افراد ومصاديق للشىء العلوى الذى هو معنى السماء وهو الكلى لها وصدق الكلى على افراده حقيقة

ومعلوم أن الشارع وخلفاءه تابعوا العرف فى هذه الألفاظ والأسامى ولم يتفردوا فيها باصطلاح مخصوص ، فكلما أطلقوا لفظ السماء ارادوا به ما يوجد فى جهة العلو مطلقا .

ومن تصفح المقالات الدينية يعرف أن لفظ السماء لم يطلق فى الشريعة الا على احد معان ثلاث مندرجة فى معنى ما يوجد فى العلو ، وهى (١) :

(١) ان هذه المعانى للسماء فى اللغة العربية واضحة معلومة ، مضافاً الى اطلاق لفظة (آسمان) على السماء فى الفارسية وهى مركبة من (آس) بمعنى آسيا-

١ - نفس الجو العالى والفضاء الخالى كقوله تعالى : ﴿ جعل فى السماء بروجاً ﴾ (١) .

٢ - نفس الكرات السامية والأراضى السيارة ، مثل ما ورد : «ان فى السماء آدم كآدمكم ونوح كنوحكم ، وغيره مماسيتلى .

٣ - جسم عظيم كروى محيط بأرضنا وبالارضين السبع ، واكثر ما يستعمل لفظ السماء فى الشرع ناظر الى هذا المعنى ، ولا سيما اذا اقترن به ذكر الأرضين السبع (٢) .

وعمدة الاضطراب وقصور الأصحاب انما هو فى فهم حقيقةهذا الجسم المحيط بالأرض ، وانه عنصرى أو فلكى أو غيرهما ، بل وفى انه جسم مادى أو جوهر قدسى ، بل وفى انه جوهر أو عرض ، كالقائل بأن السماء فى عرف الشرع نفس جهة العلو والجو لا غير .

وتحقيق الحق على النحو الأحق يستدعى تمهيد مقدمة مسلمة ، وهى

- و (مان) بمعنى المثل ، وهذا المعنى يطابق تماماً مع الهيئة الكوبرنيكية ، لأن آسيا عند كوبرنيك تدور على نفسها والكرات السماوية الأخرى ايضاً تدور على نفسها .

ومن جهة اخرى فان ارضنا وبقية الكرات السماوية لها كرات بخارية حولها تدور مع اراضيها واجرام هذه الكرات مدورة مثل آسيا ، فاذن هذه الكرات تشبه آسيا تماماً ، فيحق أن نطلق عليها لفظة آسمان (ف) .

(١) سورة الفرقان آية ٦١ .

(٢) قال نور الله : ويؤيده أن السماء متى اجتمعت مع الأرض فى اللفظ افترقت فى المعنى ، واذا افترقت فى اللفظ جاز اجتماعهما فى المعنى ، وكثير فى اللغة من هذا القبيل .

ان كرة الأرض بالاتفاق والعيان يحيط بها الهواء من كل مكان ، واتفق ايضاً الحكماء قديماً وحديثاً على أن الحرارة المتوجهة الى ارضنا من الشمس بمصاحبة الأشعة تنعكس عن سطوح الأرض بانعكاس الأشعة الى كل جهة ، وكلما تعلو تلك الحرارة المنعكسة وتبعد عن الأرض تضعف وتقل ناريتها حتى تتلاشى فتنعدم ، واختلفوا فى منتهى مسير تلك الحرارة ومحل تلاشيها : فقدره القدماء سبعة عشر فرسخاً وميلا ، وقدره المتأخرون بأقل من ذلك مختلفين فيه .

وفى اوائل انعدام تلك الحرارة تنجمد البخارات والادخنة المرتفعة من الأرض وتثبت الرطوبات الصاعدة من البحار والبخار ونحوها ، فتلبث هنالك منطبقة .

ولهم على هذه الدعاوى براهين قوية .

ومن هنا قسموا الهواء المحيط بالأرض الى طبقات ، مثل طبقة النسيم وهى المتصلة بالأرض المتحرك هواؤها الى الجهات ، وهذه آخر الطبقات واصلحها للمعيشة ، وينتهى محدبها ـ على ما فى عجائب المخلوقات ـ الى ستة عشر ألف ذراع فوق الأرض وقيل اكثر . ومثل طبقة الزمهرير الساكن هواؤها الممتلىء من الرطوبات المنجمدة والغازات المتكاثفة ، وفى اوائل هذه الطبقة الباردة تجرى الغيوم وتثور البروق ، وهى غير صالحة للمعيشة ، والواصل اليها يرعد ويرعف ويضعف وينزف الدم من اذنه وعينيه ومنافذ جسمه

والحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى وافقوا القدماء الى هنا وخالفوهم فى امور :

(منها) انكارهم لطبقة النار التى زعم القدماء احاطتها بكرة الهواء .

(ومنها) اثبات الوزن للكرة الهوائية والبخارية كما سيأتى .

(ومنها) ان الأرض مع كرتها الهوائية والبخارية تجول فى الفضاء الخالى عن الأرضيات المتلىء من سيال جوهر (أثير) كما مر فى البحار السماوية .

واختلف المتأخرون فى منتهى طبقات الهواء المشايعة لأرضنا فى الحركة فقال (فلامريون) الفرنسى مامعناه : ان الجسم المحيط بالأرض تبلغ نخامته مائة الف متر تقريباً وسمى ذلك بـ (الاتمسفر) والأصل (اتومس اسفر) كلمات يونانية بمعنى البخار المدور .

والمشهور بين حكماء عصرنا ان علو اتمسفر ليس بأقل من خمسة عشر فرسخاً وان اختلفوا فيما فوقه .

والعمدة فى ميزان حسابهم معرفة مقدار انكسار النور فى الفجر والشفق عند نفوذه فى الكرة الهوائية ووصوله الينا ، ولذلك قال الفاضل الشذورى فى كتاب العروس البديعة : ان علو الجلد ـ أى الكرة المحيطة بأرضنا كالغلاف والقشر ـ وارتفاعها من الحد الذى ينكر فيه النور فهو نحو خمسة وأربعين ميلا ويعرف بواسطة الشفق ، ولعله يمتد الى علو مائة اومائتين ميل فوق سطح الأرض .

وهذا الاحتمال يصحح تجويز بعض الحكماء كون علو الجلد ثلاثين فرسخاً

وفى كتاب الآيات البينات : ان مظاهر الشهب والاشفاق القطبية فيه على أمد سبعين ميلا الى ثلاثمائة ميل ، وذهب بعضهم الى ان علوه نحو خمسمائة ميل .

وحكى عن نيوتن انه قال بارتفاعه خمسين فرسخاً .

وقد ذكر مؤلف حقائق النجوم أدلة قوية على ان الكرة البخارية الأرضية فوق مائة ميل ، غاية الأمر اختلاف طبقاتها فى الكثافة واللطافة حتى يتصل بالملاء الأثيرى الذى لم نسمع بألطف منه .

وأما الفجر والشفق فلما كان حصولهما من كثافة الهواء لاجرم كان ظهورهما من ابتداء خمسة وأربعين ميلا ، فلا يكون هذا التحديد دليلا على نهاية الكرة البخارية ، بل انما يدل على ان كثافة أبخرة هذه الكرة تنتهى الى خمسة وأربعين ميلا ، فلا ينافى هذا وجود بخار لطيف وهواء شفاف فوق ذلك ، ولاسيما بعد ظهور العلامات الصادقة الناطقة بوجود الهواء والبخار فوق مائة ميل حتى يبلغ الأثير .

وقال فانديك فى الجزء الثالث من النقش فى الحجر : انا عائشون فى قعر اقيانيوس سيال معدل عمقه بالأقل مائة مثل عمق أوقيانوس الماء الغامر للكرة الأرضية .

والمحصل مما سبق ان أرضنا هذه يحيط بها كرة بخارية غازية محشوة بالأجزاء الكهربائية ، ويعبر عنها بالزمهرير أو الجلد أو اتمسفر أو كرة الثلج أو غير ذلك ، وعلوها ليس بأقل من خمسة عشر فرسخاً ، وان قالوا بأكثر من ذلك وهذه الكرة البخارية مع الكرة الهوائية التى فى جوفها تتحركان بمصاحبة الكرة الأرضية بجميع حركاتها الوضعية والانتقالية .

* * *

اذا عرفت هذه المقدمة قلت : يخطر ببالى معنى مستغرب فى بادىء النظر ولكنه مستحسن عند التفكر فى شواهده ، وموجز ذلك : ان السماء اذا ساغ وشاع اطلاق لفظه على كل موجود علوى - كما تقدم - فلم لايجوز ان تكون سماء أرضنا عبارة عن الكرة البخارية المحيطة بهواء أرضنا ، وكذلك سماوات بقية الأراضى السيارة انما هى كراتها البخارية المحيطة بها ، فهل ترى مانعاً من من ذلك عقلاً أو شرعاً أو لغة أو عرفاً ؟ كلا ! بل تجد على هذا المدعى الشواهد والامارات الكثيرة من الآيات والروايات كما ستتلوها عليك . وسوف نذكر أيضاً ان الأرضين السبع السيارة لكل منها كرة هوائية يحيطها كرة بخارية .

أما المقالات الشرعية التي تشهد بأن السماء شرعاً هي الكرة البخارية لكل أرض يوشك ان تكون طوائف عشرة .

الطائفة الأولى

مانطق من الأخبار بأن السماء مخلوقة من البخار ، وحيثما كانت بينة المباينة مع مباني الحكمة القديمة اضطربت كلمات المحققين من علمائنا في تفسيرها فأولوها الى معان لايخفى مافيها على من تأمل في خوافيها ، وتلك الأخبار الناطقة بما احتملته كثيرة منها :

١ ـ في بحار الأنوار والانوار النعمانية والعيون والعلل والخصال وتفسير البرهان ونور الثقلين وتفسير الصافي وغيرها مسند الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ان الشامي سأله عن أول ماخلقه الله تعالى ؟ فقال : خلق النور قال : فمم خلقت السماوات ؟ قال : من بخار الماء . . .

٢ ـ في تفسير القمي والبحار والانوار النعمانية وغيرها في ضمن خبر طويل قال : « فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السماوات » .

٣ ـ في البحار والدر المنثور عن ابن عباس صاحب النبي (ص) : « ان الله اجرى الماء على النار فبخر البحر فصعد في الهواء فجعل السماوات منه »

٤ ـ في شرح الكيدري قطب الدين على نهج البلاغة قال : ورد في الخبر « ان الله تعالى لما أراد خلق السماء والأرض خلق جوهراً أخضر ثم ذوبه فصار ماءاً مضطرباً ، ثم اخرج منه بخاراً كالدخان فخلق منه السماء كما قال تعالى ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾ . . . » .

٥ ـ في البحار والدر المنثور عن ابن عباس قال : « وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتقت منه السماوات » .

٦ ـ في تفسير الفرات والبحار عن امير المؤمنين علي (ع) انه قال في

خبر طويل : « ان الله بداله ان يخلق الخلق فضرب بأمواج البحور فثار منها مثل الدخان كأعظم ما يكون من خلق الله ، فبنا بها سماءآ رتقا » الى أن قال عليه السلام « ثم استوى الى السماء وهى دخان من ذلك الماء الذى انشأ من تلك البحور » .

والظاهر لى وللجمهور من هذا الدخان انه البخار المشابه للدخان ، اذ لا يرتفع من الماء الا البخار الغليظ الشبيه بالدخان كما سيأتى .

ونظير هذه الأخبار ما ورد فى شرح كون السماء بحراً مسجوراً أوماءآ مكفوفا اى ممنوعا من السيلان . قال ابن ابى الحديد فى شرح النهج فى قول على عليه السلام : « والجو المكفوف » ما نصه : ويمر فى كلامه عليه السلام نحو هذا وأن السماء هواء أو ماء جامد ، ولا يخفاك أن البخار مناسب لأن يعبر عنه بالماء الجامد والهواء الجامد معا .

اقول : سيأتى ذكر اخبار بذلك تترى ، ولنقتطف خطبة على عليه السلام فى ذلك اذ يقول بعد ذكر الأرض : « ثم انشأ سبحانه فتق الأجواء وسكائك الهواء فأجرى فيها ماءآ متلاطما تياره ، حمله على متن الريح العاصفة » .

الطائفة الثانية

ما نطق بخلق السماوات من الدخان ، وهو كثير ايضا نذكر منها :

١ قال تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان ﴾(١) خصوصا على القول باستيناف جملة ﴿ وهى دخان ﴾ كما لا يخفى . وسأذكر أن المراد من الدخان هو البخار المصطلح عند المتأخرين .

٢ ـ فى الكافى والوافى والبحار وغيرها من كتب الأخبار بسند صحيح عن محمد بن مسلم عن الامام الخامس محمد الباقر عليه السلام فى خبر خلق السماء انه

(١) سورة فصلت آية ١١ .

قال : «كان كل شيء ماء وكان عرشه على الماء فأمر الله تعالى الماء فاضطرم ناراً ثم امر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السماوات من ذلك الدخان وخلق الأرض من الرماد» (١)

٣ ـ في تفسير القمي وغيره في خبر خلق السماء فقال تعالى للدخان : «اجمد، فجمد» .

٤ ـ في الكافي والوافي والبحار مسنداً عن الامام الباقر محمد بن علي عليه السلام في خبر خلق السماوات والأرض قال : «حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية» الى أن قال : «ثم طواها فوضعها فوق الأرض . .»

٥ ـ في تفسير الثعلبي وغيره : «أن الله سبحانه لما اراد أن يخلق السماوات السبع والأرضين السبع خلق جوهرة مثل السماوات السبع والأرضين السبع ثم نظر اليها نظرهيبة فصارت ماءاً، ثم نظر إلى الماء فغلى وارتفع وعلاه زبد ودخان ، فخلق من الزبد الأرض ومن الدخان السماء ، وذلك قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾» .

اقول : احتمل أن يكون المراد من مثل السماوات والأرضين اي في اصل مادة الخلقة في الحجم أو نحوها من الصفات .

٦ ـ روى جماعة : «ان الله تعالى لما خلق الأرض ثار منها دخان فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾» .

٧ ـ في تفسير القمي والكافي كتاب الحج والأنوار النعمانية وبحار الأنوار وتفسير العياشي وغيرها بالاسناد عن الامام جعفر بن محمد الباقر عليه السلام

(١) اشارة الى برودة السديم بعد شدة حرارته كما يعتقده (لابلاس) الفرنسي .

انه قال في حديث : « فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء » .

٨ - في البحار من جملة حديث : « فأخرج من الماء دخاناً وطيناً وزبداً فأمر الدخان فعلا وسمى ونما فخلق منه السماوات وخلق من الطين الأرضين » .

٩ - في البحار والدر المنثور عن حبة العرني قال : سمعت علياً عليه السلام ذات يوم يحلف : « والذي خلق السماء من دخان وماء » .

١٠ - في البحار وعيون الأخبار وعلل الشرائع والخصال في مسائل الشامي عن امير المؤمنين (ع) انه قال في جملة ما قال : « واسم الدنيا رفيعا وهي من دخان وماء » .

١١ - في تفسير القمي وغيره عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال في خبر طويل : « فأرسل الله الرياح على الماء فارتفع منه دخان وعلى فوق الزبد فخلق من دخانه السماوات السبع وخلق من زبده الأرضين السبع فبسط الأرض على الماء » .

١٢ - في البحار عن ابن عباس وابن مسعود صاحبي النبي صلى الله عليه وآله : « ان الله عز وجل كان عرشه على الماء » الى ان قال : « اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماءاً » . ورواه المسعودي في كتاب مروج الذهب ايضا.

اقول الظاهر لي من مجموع هذه الأخبار ان المراد من هذا الدخان هو البخار ، غايته ان البخار والدخان اذ كانا من منشأ واحد او متشابهين في العرف وبدو النظر اطلق اسم الدخان على البخار .

ويؤيدني في قولي هذا ما قاله المسعودي في مروج الذهب والفاضل ابن ميثم في شرحه على نهج البلاغة : ان المفسرين اتفقوا على ان الدخان الذي تكونت السماء منه كان عن تنفس الماء وتبخيره بسبب تموجه .

وقال ابن ميثم : والدخان فى الحقيقة بخار والمشابهه الحسية فى الصورة موجودة بين الدخان والبخار .

ويؤيد نى ايضا قول ابى البقاء فى كلياته : ان كل دخان يسطع من ماء حار فهو بخار ، وكذلك من الندى .

وايضا ما فى بعض اخبار بحار الأنوار والدر المنثور فى قوله تعالى : ﴿ثم استوى الى السماء وهى دخان﴾ : فكان ذلك الدخان من تنفس الماء .

وايضا تصريح بعض الأخبار بخروج بخار من الماء كالدخان فخلقت السماء منه - كالخبر الثانى والرابع والسادس من الطائفة الأولى - فيدل على انه من غلظته كان شبيه الدخان لا الدخان الحقيق .

وايضا نفس خروج الدخان من الماء - كما تكرر ذكره - يدل على كونه فى الحقيقة بخاراً اذ لا يخرج من الماء غير البخار .

الى غير ذلك من الشواهدالواضحة ، فتتضح ارادةالبخار من اسم الدخان

وقد نطقت جملة من هذه الأخبار بأن السماوات السبع المحيطة بالأرضين السبع بأسرها مخلوقة من البخار ، وسأنقل كلمات الحكماء الذين شاهدوا فى اراضى كرات السيارات كرات بخارية عظيمة ، فيكون المعنى الذى قوينا احتماله فى حقيقة السماوات معنى معقولا مسلما موافقا لجميع ظواهر الشريعة الاسلامية .

الطائفة الثالثة

الأخبار الناطقة بأن السماء مخلوقة من البحر او من الماء المنجمد أو من الموج المكفوف اى الممنوع من السيلان لجموده ، والكل ناظر الى معنى واحد ، وهى :

١ ـ فى كتاب العلل والعيون والخصال والبحار وغيرها مسنداً عن امير المؤمنين على (ع) حين سألوه عن سماء الدنيا مم خلقت ؟ قال (ع) : « من موج مكفوف » ، وفى بعض الأخبار : « من بحر مكفوف » ، والمراد واحد كما لا يخفى .

٢ ـ فى نهج البلاغة وغيره عن الامام على بن ابى طالب (ع) انه قال فى خطبة ذكر فيها تكوين السماء من موج البحار : « فرفعه فى الهواء منفتق وجو منهفق فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجامكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا . . » . أى جعل الطرف الأسفل من كل سماء موجا ممنوعا من الهبوط والسيلان ، والطرف الأعلى مثل السقف محفوظا او حافظا عن وصول الأدخنة والكثافات الارضية والشياطين وغيرها .

٣ ـ فى الدعاء المأثور ـ كما فى الدر المنثور وبحار الأنوار وغيرها ـ : « وامرت الماء فجمد فى الهواء فجعلت منه سبعا وسميته السماوات » .

٤ ـ فى مسائل عبد الله بن سلام المروية فى كتاب البحار وغيره انه سأل النبي ﷺ عن سماء الدنيا مم خلقت ؟ قال ﷺ : من موج مكفوف قال : وما الموج المكفوف ؟ قال : يابن سلام ماء قائم لا اضطراب له وكان فى الأصل دخانا . قال : صدقت يامحمد .

٥ ـ فى الدر المنثور والسماء والعالم من كتاب بحار الأنوار عن النبي ﷺ انه سمى سحابة مرت عليه (الغيابة) ثم قال : « وان فوق ذلك موج مكفوف وسقف محفوظ ، وان فوق ذلك سماء اخرى ، وان بينهما مسيرة خمسمائة عام » .

٦ ـ وفيهما ايضا عن ابن عباس انه قال : قال رجل : يارسول الله ما هذا السماء ؟ قال ﷺ : « هذا موج مكفوف عنكم » .

قال ﷺ . « هذا موج مكفوف عنكم » .

٧ - وفيهما أيضاً عن الربيع بن انس قال : « السماء الدنيا موج مكفوف» وهكذا غيرها من الأخبار المصرحة بالمعنى المختار المفسرة بالموج المكفوف أو البحر المكفوف ، أى الممنوع من السيلان كما فسرناه .

ولعمرك ان الظواهر الاسلامية لا تجدها تلائم وتتفق الامع الترتيب الذى قويناه نحن .

الطائفة الرابعة

مادل على ان السماء معدن الماء مثل قوله تعالى : ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وانزلنا من السماء ماء ﴾ (٣) وغيرها من الآيات الكثيرة الناطقة بأن المياه والأمطار معدنها السماء - اعنى كرة البخار - فهى وان كانت مجمع الرطوبات الصاعدة الا ان ذلك لا ينافى اجتماع الرطوبات وقتاً ما فى موضع ثم تتقاطر الى السحاب ، كما قد يتقاطر الندى على وجه الأرض فيناسب عند ئذ ماورد فى بعض كلمات شرعنا الأقدس : « ان المطر ينزل من السماء الى السحاب والسحاب يغربله » .

فهذه الآيات موافقة لما اخترناه ومطابقة لباقى ظواهر الشريعة ، ومناسبة لما استقر عليه رأى الحكماء المحققين من المتأخرين .

---

(١) سورة القمر آية ١١ .

(٢) سورة الفرقان آية ٢٥ .

(٣) سورة المؤمنون آية ١٨ .

وأما القدماء فاذ كانوا يفسرون السماوات السبع بأفلاك السيارات وكانت الأفلاك عندهم منزهة عن العنصريات لاجرم كانوا يؤلون لفظ السماء المذكور فى مثل هذه الآيات والروايات بالجهة العالية .

ومما يصرح بأن السماء معدن الماء مارواه المجلسى فى كتاب بحار الأنوار والصدوق فى كتاب علل الشرائع وغيرهما فى غيرهما انه سأل يهودى أمير المؤمنين علياً عليه السلام : لم سميت السماء سماءاً ؟ فقال : « لأنها وسم الماء - يعنى معدن الماء » وكل من روى هذا الخبر جعل جملة « يعنى معدن الماء » جزءاً من الرواية ومنه أيضاً ماروى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ كانتا رتقاً ففتقناهما ﴾ (١) : « ان الله تعالى فتق الأرض بالخضر والسماء بالمطر » .

والظواهر الشرعية بأسرها مصرحة بأن المطر من السماء ، ولا كلام لأحد فى ذلك ولكن ترتيب القدماء كان يقتضى تأويل لفظة السماء المذكورة فى تلك الظواهر الى جهة العلو ، وأما ترتيبنا فلا يقتضى الا حمل اللفظ على معناه الشرعى والعرفى الموافق لنفس الأمر .

الطائفة الخامسة

الأخبار الكثيرة فضلا عن الآيات الدالة بأجمعها على تقدم خلق الأرضين على السماوات ، واذ كانت تلك الأخبار من الكثرة بمثابة يصعب علينا سردها فلنكتفى ببعض الآيات ، ومن طلب الزيادة والتكميل فشأنه استقراء مواضعها :

قال الله تعالى : ﴿ هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً ثم استوى الى

(١) سورة الانبياء آية ٣٠ .

السماء فسواهن ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ قل انكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين ﴾ (٢) فان لفظة (ثم) تفيد الترتيب مع التراخى .

وقد تقدم النص عن أمير المومنين عليه السلام على ذلك فى جملة خطبة له أوردناها فى الطائفة الاولى ، وقد قال ابن أبى الحديد فى أوائل شرح النهج مفسراً لقول على عليه السلام ما نصه : ظاهر كلامه يقتضى ان خلق السماوات بعد خلق الارض . . الى ان قال : وهذا قول قد ذهب اليه جماعة من أهل الملة واستدلوا عليه بالآيتين . .

ولما كانت الظواهر الاسلامية بأسرها ناطقة بتأخر خلق السماء عن الأرض أخذ المحققون من القدماء يتقولون أنواع الأقاويل فى مقام علاجها بالتأويل من جهة مخالفتها لمبانى الحكمة القديمة ، فان من ضروريات مسائلها تقدم وجود الفلكيات على وجود الأرضيات بجميع أقسام التقدم المعروفة عندهم ذاتاً وشاناً ودهراً وزماناً وطبعاً ومكاناً .

وأما على تفسير السماء بكرة البخار - كما استفدناه من الآيات والأخبار - فلا بد من تأخر خلق السماء عن الأرض ، فان الكرة البخارية حول الارض لاتحصل الا من تبخير جرم الارض وتبخير المياه القاطنة عليها والرطوبات المنبثة فيها ، سواء كان هذا التبخير بسبب الحرارات الداخلية الارضية التى منزلتها من الارض منزلة الكبد من الحيوان أو بسبب الحرارات الخارجية الحادثة فيها من حركاتها المختلفة على نفسها وحول غيرها ، ولا سيما الحرارات

(١) سورة البقرة آية ٢٩ . (٢) سورة فصلت آية ٩-١١ .

المرسلة اليها من الشمس وغيرها ، فيكون خلق الكرة البخارية السماوية متأخراً بجميع اقسام التأخر عن خلق الكرة الأرضية ، كما هو المستفاد من الظواهر الاسلامية .

الطائفة السادسة

الأخبار الدالة على ان هذه الخضرة المبصرة من الجو هي لون السماء ، هذا والمحققون من حكماء المتقدمين والمتأخرين متوافقون في ثبوت هذه الخضرة الميناوية للكرة البخارية الأرضية ، وباعتبارها يسمون الجو المحيط بعالمنا (القبة الزرقاء) .

وقد اوردت اخباراً كثيرة في رسالة (جبل قاف) تنطق بثبوت هذه الخضرة اللازوردية لجرم السماء .

فاذا تحقق ان ما يدعونه القدماء سماءاً لا يجوز اتصافه بلون قط وثبت ان هذا اللون انما يحصل في الكرة البخارية تبين انها هي المقصودة من اسم السماء .

قال المحقق نصير الدين الطوسي في التذكرة : وقالوا (يعني الحكماء) الزرقة التي يظن الناس انها لون السماء فانها تظهر في كرة البخار ، لأنه لما كان الألطف منه اشد صعوداً من الأكثف كانت الأجزاء القريبة من سطح كرة البخار اقل قبولا للضوء من الأجزاء القريبة من الأرض لكثرة البعد واللطافة ولهذا تكون كالمظلمة بالنسبة الى هذه الأجزاء ، فيرى الناظر في كرة البخار لوناً متوسطاً بين الضياء والظلام .

وقال الفلكي الشهير (فلا ماريون) الفرنساوي ما معناه : ان الخضرة المتوهمة في الجو هي لون كرة (اتمسفر) المحيطة بأرضنا كطبقة معلومة الثخن والهواء المتراكم اذا اشتد صفاؤه ظهر مع الخضرة والزرقة ، كما ان الماء

المتراكم كماء البحر اذا اشتد صفاؤه ظهر بلون الخضرة مع انه ليس بذى لون عندما يقل .

اقول : ويناسب المقام غير الأخبــار التى مضت الخبر المروى فى تفسير القمى عند بيان خلق السماء قال : « وكانت السماء خضراء على لون الماء العذب » وفى بعض النسخ « لون الماء الأخضر » .

وكذا الخبر المروى فى الأنوار النعمانية : « ان الله سبحانه خلق بحراً بين السماء والأرض وامسكه بقدرته (١) وهذه الخضرة التى نراها هى خضرة ماء ذلك البحر » .

وكذا الخبر المروى فى الدر المنثور والجزء الرابع عشر من بحار الأنوار عن سلمان الفارسى : « ان السماء الدنيا من زمردة خضراء واسمها رفيعا » .

وكذا الخبر المروى عن الشعبى انه قال : كتب ابن عباس الى ابى الجلد حين سأله عن السماء من اى شىء هى ؟ فكتب اليه : « ان السماء من موج مكفوف » .

والمقصود متضح بحمد الله تعالى عند من له ادنى بصيرة .

الطائفة السابعة

الأخبار الدالة على ان السماء تحت مدار الكواكب ، وهى :

١ - رواية جابر الأنصارى المذكورة فى تفسير القمى وغيره فى قوله تعالى : ﴿ انى رأيت احد عشر كوكباً ﴾ (٢) قال من بعد ذكر النجوم :

---

(١) اشارة الى القوة الجاذبية العامة كما حققناها .

(٢) سورة يوسف آية ٤ .

«وكل هذه النجوم محيطة بالسماء».

فان النجوم على كل حال لا تكاد تحيط بشيء الا باعتبار مدارتها ، فالمراد ان هذه النجوم فى مسيرها محيطة بالسماء ودائرة حولها . ولا يستقيم هذا المعنى الا على تفسير السماء بالكرة البخارية الأرضية .

وبهذا التمهيد السديد نجمع بين ماورد ان السماء تحت الفلك وبين ما ورد بخلافه من ان الفلك تحت السماء ، فان امثال هذه النقليات كانت محسوبة فى عداد المتناقضات لكننا نصحح الجميع بتفسيرنا السماء بكرة البخار من كل ارض سيارة ، وبتفسيرنا الفلك بمدار السيار ومجراه كما شرحته فى مسألة تحقيق الفلك .وعلى هذا تكون السماء من كل ارض تحت فلك وفوق فلك ـ فافهم .

٢ ـ ما وجدته فى بعض اخبار البحار عن الدر المنثور : «ان القمر والرجوم فوق السماء الدنيا» ، ولا يستقيم ذلك ايضاً الا على تفسير السماء الدنيا بالكرة البخارية الأرضية . فان الحكمة القديمة تحكم بكون القمر فى السماء الدنيا ـ اى الفلك الأول ـ لا فوقه ، وترى استحالة كون الرجوم الا تحت افلاك النجوم ، وسوف اتلو عليك شواهد كون السماء الدنيا هى الكرة البخارية الأرضية فى مسألة المذنبات .

وزبدة القول ان شتات الأخبار والمضامين المنقولة فى الشريعة الاسلامية لا يجمعها ولا يتكفل تأليفها وتصحيحها نظام وترتيب الا الترتيب الذى ذكرته وشرحته فى هذا الكتاب .

الطائفة الثامنة

جمل شرعية ترشدنا الى ان الهواء ينتهى محدبه ومنتهاه الى السماء وهو

مشيدها ، وهى :

١ - فى دعاء يعقوب النبى ﷺ المروى فى تفسير سورة يوسف ﷺ من كتاب تفسير القمى : « يامن شيد السماء بالهواء وكبس الأرض على الماء » والكل يعلمون ان الكرة البخارية قائمة ومشيدة بالهواء ، بخلاف السماء المفسر عند القدماء ، فانه غير منوط ولا مربوط بشيء من الهواء .

٢ - قول على ﷺ فى بعض خطبه المشهورة فى صفة السماء : «وامسكها من ان تمور فى خراق الهواء بأيده ، وامرها ان تقف مستسلمة لأمره» ، وهذا يدل ايضاً على وقوف السماء وسكونها من الحركة ، وهذا يناسب كونها الكرة البخارية الواقفة بنفسها الجارية بمتابعة الأرض ، ولا يستقيم مع تفسير السماء بأفلاك القدماء التى لا تنفك عندهم من الحركة الذاتية . و (المور) اضطراب الجسم السائل ، كما ان (الميد) اضطراب الجسم الجامد .

٣ - وقال على ﷺ فى اول خطب النهج : « فى فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر » ، فان المراد من السقف هنا هو سماء الدنيا فاذا كان سائراً فقد ناقض ما دل على وقوفه وثباته ، ولا يزول هذا التناقض الا بما قلناه فى حقيقة السماوات وترتيبهن ، فان الكرة البخارية المحيطة بأرضنا واقفة ثابتة بالنظر الى اتصالها بأرضنا ليس لها فى ذاتها تحرك قط حينما هى سائرة بمشايعة الأرض ومتابعتها فى الفضاء حول مركز الشمس .

٤ - قال الامام الحسين (ع) فى دعاء عرفة المروى فى البحار وبلد الامين للكفعمى والصحيفة الحسينية وغيرها : « يامن كبس الأرض على الماء وسد الهواء بالسماء » ، وفى بعض النسخ « شيد » مكان « سد » بتصحيف فيه ، وعلى كلا الفرضين يتأيد ما نقصده كما لا يخفى . واما سد الهواء بالسماء فظاهره احاطة السماء بكرة الهواء من دون فصل ، وذلك غير متجه على ترتيب القدماء ،

فانهم يرون كرة الماء فاصلة بين كرة الهواء والفلك الأول .

٥ - فى كتاب البحار عن امير المؤمنين على (ع) انه قال فى ضمن خبر طويل : « وسد الهواء بين الأرض والسماء » وهو صريح فيما اشرنا نحوه .

ولا يذهب عليك ان الاحتمال الأخر كامنة فى هذه الجمل ، ولكن المختار منها اوفق بظواهر السياق واجمع لشتات باقى المضامين المنقولة وانسب مع التحقيقات المقبولة .

الطائفة التاسعة

ما دل من الآيات والروايات على ان السماوات اطباق وطبقات بناءاً على ما استفاده جمع من علمائنا القدماء وادعوا ظهور تلك الظواهر فى انفصال السماوات وفراغ فرجها :

(منهم) العلامة المجلسى (ره) فانه يقول فى رسالته الاعتقادية : « ويجب ان تعتقد ان السماوات غير متطابقة ، بل من كل سماء الى سماء خمسمائة عام ، وما بينهما مملوء من الملائكة » .

(ومنهم) المحدث الجليل السيد نعمةالله الجزائرى فى شرحه على الصحيفة السجادية عند قول الامام السجاد (ع) : « اطباق سماواتك » قال السيد : يدل هذا وغيره من الأخبار على ان ما بين السماوات فرج واسعة ، فقول الرياضيين بالمماسة بين محدب كل واحد مع مقعر الآخر باطل ، وتأويل الأخبار لتنطبق على ذلك القول اشد بطلاناً .

اقول : ويعجبنى شدة تمسك هذا السيد الحافظ بظواهر كلمات الشريعة وشدة كراهته من العدول عن ظاهر شرعه الى مطالب الفلاسفة من قبل ان يقطع بصحتها ، ومنشأ هذه الخصلة الفاضلة قوة اليقين باستحكام هذا الدين

ثبتنا الله تعالى عليه حتى نرجع اليه وينبغى لجميع المتدينين أيضاً ان لا يستسهلوا العدول عن ظواهر الشريعة المقدسة ومعلوماتها القيمة الى مايخالفها من مطالب الفلسفة وغيرها جديدها وتليدها ، الا اذا اتضحت الحقيقة ونهضت عليها البراهين القوية ، فعند ذلك يحسن ارتكاب التأويل فى الظواهر المنقولة المعارضة مع الحقائق المعقولة ، وذلك بحكم من العقول وترخيص من الله تعالى والرسول

الطائفة العاشرة

ماذكر فى الأدعية والكلمات المأثورة عن أوصياء نبينا محمد ﷺ ان السماوات والأرضين ذوات أوزان وميلان خفة وثقلا ، مثل الدعاء المروى عن الإمام السجاد عليه السلام حيث قال : « سبحانك تعلم وزن السماوات ، سبحانك تعلم وزن الأرضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن الفىء والهواء ، سبحانك تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة . . . »

روى هذا التسبيح عنه عليه السلام جماعة كالفقيه محمد الحر العاملى المتوفى سنة ١١٠٩ فى الصحيفة الثانية السجادية فى الدعاء الخامس والخمسين قال : روى الزهرى عن سعيد بن المسيب .

والسيد نعمة الله الجزائرى المتوفى سنة ١١١٢ فى شرحه على متعلقات الصحيفة السجادية قال : ان الشيخ الفقيه محمد بن مكى العاملى الشهيد سنة ٧٨٦ روى هذه الأدعية الملحقة وذكر هذا التسبيح منها .

أقول : وجدت هـــذا الدعاء بعينه فى سنة ١٣٣٥ هج فى مجموعة كتب انساب وأدعية فى مكتبة سيدنا الحسن بن الهادى المحدث الكاظمى ، وكانت المجموعة بخط السيد محمد بن عزيز الله الحسينى بتاريخ يوم الاحد السادس من

شهر ذى الحجة الحرام سنة ٩٨٤ هج .

ولا يخفى مخالفة ظاهرها مع مبانى الفلسفة القديمة ، اذ الوزن عند أصحابها وعند العرف ليس الا ميلان الجسم نحو مركزه ، فان كان مركزه علويا كالنار والهواء سمى ميلانه خفة . وان كان مركزه سفلياً كالتراب والماء سمى ميلانه ثقلا . ومن ذلك اتفقوا على نفى الوزن مطلقاً عن الفلكيات مطلقاً ، سواءً كان حاملا كأصل جوهر الفلك أوكان محمولا كالأجرام المركوزة فى الفلك مثل الشمس والقمر والنجوم ، لان حقيقة الوزن عندهم ميل مستقيم وليس فى الفلكيات مطلقا مبدأ ميل مستقيم قطعاً .

قال الرئيس الشيخ ابن سينا فى الفن الثانى من طبيعيات كتاب الشفا : ان الفلك مطلقاً جسم كروى شفاف فيه مبدأ الميل المستدير فقط . الى ان قال : والمحمول (يعنى الاجرام) لاثقل له ولاخفة ولاميل بوجه من الوجوه ولا ممانعة للتحريك .

هذا كله فى الفلكيات وأما العنصريات فتصوروا فيها حالتين :

(الاولى) ميل كل جزء من أجزاء كرة الأرض أو كرة الماء أو كرة الهواء أو كرة النار الى مركز كرة نفس ذلك الجزء ، مثل ميل الحجارة الى الأرض وميل النفخة الى الهواء وميل الشعلة الى كرة النار العليا . وفى هذه الحالة يعقل الميل والوزن عندهم ، ولا يذكرون الوزن الا ويقصدون هذه الكيفية .

(الثانية) ميل أصل كرة الأرض بمجموع أجزائها أو كرة الهواء بجميع دقائقها صفقة واحدة ، وهذه الكيفية أيضاً مستحيلة لديهم ، وينكرون تحقق الوزن بهذا المعنى للأرض والهواء وغيرهما كانكارهم فى الفلكيات . وبرهان انكارهم ان أصل كرة الأرض مركز لاجزائها وكذلك أصل كرة الهواء مركز

لأجزائها ، والوزن ميل الشيء الى مركزه ونفس الكرة لامركز لها حتى تميل اليه ، وميلها الى نفسها أيضاً محال ظاهر ، فلو كان لجرم الأرض وزن وميل فاما ان يكون ميلا الى نفسها وهو محال ، واما ان يكون ميلا الى كرة أخرى والمفروض كمال التباين بينهما ، فيستحيل ميل احداهما الى الاخرى .

والنتيجة ان كرة الارض بنفسها كباقى الكرات لاخفيفة ولا ثقيلة حيث لا وزن لها ولاميل كالفلكيات ، ومع اقرارنا بهذه المبانى مثل قدمائنا المحققين لا محيص لنا من التصرف فى ظواهر الشريعة الدالة على ان السماوات والارضين ذوات أوزان كظاهر التسبيح الذى رويناه عن الامام الرابع عليه السلام وخصوصاً اذا فسرنا السماوات بالافلاك كما فعله المتقدمون من علمائنا .

أما الحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى فالوزن لديهم ليس يحدث الا بالجذب ، وجميع الأجسام الكونية عندهم خاضعة لنواميس الجاذبية من الذرارى الى الدرارى ، فالثقل عندهم انجذاب الجسم الى ما هو تحته والخفة انجذابه الى مافوقه ، فكما تختلف الفوقية والتحتية باختلاف الاعتبارات كذلك الخفة والثقل يختلفان باختلافها ، ويعتقدون انجذاب كل جسم الى الأعظم منه فى الحجم أو فى الجوهر أو فى الكثافة مالم يمنعه جسم أقوى منه ، فالأرضيات بأسرها مجذوبة الى كرة الأرض وهى المانعة من انجذاب الغيوم الى كرة القمر والقمر ونحوه أيضاً منجذب للأرض ، والأرض مجذوبة للشمس وهكذا .

فلو صحت هذه الآراء صح التمسك بظاهر الدعاء من دون تصرف فيه أو تأويل ، وثبت الوزن للأرض والسماء والشمس والقمر والهواء ، كما استخرجها المتأخرون بآلاتهم الدقيقة وأفكارهم القريبة لديهم من الحقيقة .

ونقتصر هنا على ماذكروه فى ثقل سماء الدنيا ، قالوا : ان ثقل الكرة البخارية ٠٨٩ ٨٧٣ ٢٠١ ٤٩٤ ٢١١ ٥٢٢ ١١ رطل بريطانى كما فى حدائق النجوم

وقيل : ان جملة بخار الماء المنتشر فى هواء الأرض يبلغ ثقله ستمائة ألف واثنين وتسعين ألف مليار قنطار ، اعنى ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٩٢٠٠٠ .

وقد عينوا ثقل مقدار من الهواء يحاذى رأس الانسان من لدنه الى ٤٥ ميلا ، فى الآيات البينات ، ان معدل مايحمله الانسان من الهواء نحو ٦٢٢٤ رطلا وفى (النجوم المشرقات) ان ثقل العمود الهوائى الذى يتحمله بدن الانسان يبلغ ثلاثة وثلاثين الف رطل وستمائة رطل .

ولا يذهب عليك ان بين التحديدين فرق كثير بحيث نتيقن فى اشتباه أحد الكتابين فى العدد - فتدبر (١) .

وانما لم يؤثر هذا الثقل فى أعضاء الانسان مع انها تتأثر من عشير معشاره لتساوى ضغط الهواء من كل جهة وزن الجسد فيه هواء يضغطه الى الخارج فيمانع المحيط ، أولأجل اتصال أجزاء الهواء وتماسكها . كما ان ثقل المياه المستوطنة على ظهر الحوتة فى قعر البحر لاتؤثر فيه أصلا مع معظم الثقل فى تلك المياه.

وخلاصة الكلام ان ثبوت الوزن والثقل للكرة البخارية - كما سمعت - مع اثبات الثقل والوزن للسماوات والسماويات يؤيد ترتيبنا المذكور ، اعنى كون الأرضين السبع هى أراضى السيارات والسماوات السبع هى الكرات البخارية المحيطة بتلك الأراضى وليست السماوات عبارة عن أفلاك الفلاسفة السالفين لابحسب الشرع ولابحسب الفن ، وسيتضح ترتيبنا فى المسألة الآتية بحيث لاتبقى فيك ريبة ولا شك ، وتعرف ان الشرق بنور الوحى كيف سبق الغربيين فى كشف أسرار الوجود . ونعم ماكتب الاستاذ الكبير والأديب العربى الشهير ميخائيل نعيمة من نيويورك بعد انتشار هذا الكتاب لأول مرة : « ان ماأدركه الشرق

---

(١) وقال كامبل فلامريون فى كتابه : ان سطح جسم الانسان يحمل من الهواء ماوزنه ١٦٠٠٠ كيلو غرام معادلا بمثله من الضغط الداخلي .

منذ اجيال بإيمانه واختباراته الروحية يحاول الغرب اليوم ان يتوصل اليه بتلسكوبه ومكرسكوبه ، ومن العبر ان الغربي كلما درس وتعمق عاد الى الشرق ونفض عن بعض تعاليمه غبار الدهر وصقلها ثم عرضها على اخوانه كأنها حقائق جديدة ، فهو ينقب فى هذه الأيام عن فلسفات الصين والهند والعرب والعجم ليجد فيها مفاتيح لما اقفل فى وجهه من اسرار الوجود » .

اقرأ هذه الجمل الذهبية التى كتبها ذلك العربى العبقرى العظيم وتفكر فى حالتك السيئة وتراثك المنهوب الذى يتبجح به قوم آخرون وتفتخر به ملل لم يكن لها مفخرة حين كنت رافع الرأس تتطفح من جوانبك العلم والمعرفة والثقافة .

ان حالتنا اليوم حالة مؤسفة جداً يجب ان نبكى عليها وعلى ما اندثر من مفاخرنا وعدم معرفتنا لانتهاز الفرص المؤاتية فى سالف العصور لاكتساب المعارف والعلوم وتهيئة الجو الصالح لتثقيف انفسنا حتى لا نحتاج الى الاستجداء من الغربيين وغيرهم .

«المسألة السابعة»

(فى ترتيب السماوات السبع والأرضين السبع)

ان ما ذكر سابقاً كان فى بيان حقيقة السماوات ، وظهرت هذه الحقيقة واضحة جلية لا غبار عليها ولا غموض ، ولكن يلوح لنا من كل ذلك ان كل سماء محيطة بأرضها احاطة تامة ، ولازم هذا ان تكون السماء الثانية على الأرض الثانية وهما مجتمعاً على السماء الأولى ، والسماء الثالثة مع ارضها على السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة . . . فهل يتفق هذا مع المأثورات عن النبي واهل بيته - عليهم الصلاة والسلام ؟

(الجواب)

ترتيبنا المختار تنطبق عليه مقالات الشريعة الاسلامية ويوافق الهيئة الكوبرنيكية .

اما الهيئة الغابرة فحيثما لم يجوز علماؤنا المحققون غيرها اصبحوا يتصرفون فى ظواهر اخبارنا لكى تأتلف وتنطبق على تلك الهيئة بتفسيراتهم البعيدة ، مع ما ورد فى شريعتنا من الطعن والتشنيع على الفلاسفة الأقدمين وعلى ارائهم البالية ، وصراحة مقالات شرعنا فى خلاف ما هم عليه فى ترتيب السماوات والأرضين .

قال الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى رد من زعم ان الفلاسفة يقولون الفلك اذا تغير فسد : « ذلك قول قول الزنادقة » .

وقال على عليه السلام فى بعض خطبه المشهورة : « وكيف علقت فى الهواء سماواتك » .

وقال ايضاً فى خطبة له اخرى : « ونظم بلا تعليق رهوات فرجها » .

وفى تفسير القمى عند تفسيره قوله تعالى : ﴿من اقطار السماوات﴾(١) قال : « فاذا كان يوم القيامة احاطت سماء الدنيا بالأرض واحاطت السماء الثانية بسماء الدنيا واحاطت السماء الثالثة بالسماء الثانية واحاطت كل سماء بالتى تليها ثم ينادى : يامعشر الجن والانس . . » .

وظاهر هذا الحديث يهدى الى ان ترتيب السماوات كما يراه القدماء بحيث يكون كل سافل منها فى جوف عاليه لا يكون الا يوم القيامة .

وانمـــا يتحقق النظام اليطلميوسى فى السماوات على فرض تفسيرها بالأفلاك بعد تبدل نشأة الدنيا بالآخرة لا غير .

والنقليات المنافرة لترتيب القدماء وافرة فى يعة الاسلاميـــة ، والجدير بى ان اضرب عن ذكرها صفحاً واش شرح ترتبى بعد تمهيد مقدمة ، وهى :

ان المتأخرين قد ارتأوا بأدلة وبراهين ان اراضى سبعة من السيارات الشمسية محاطة ومتلبسة بالكرة البخارية كأرضنا وزهرة وعطـــارد والمريخ والمشترى وزحل وارانوس ، ولم يصرحوا فى نبتون وفلكان بكرة بخارية ، كما ذكرنا فى مسألة حصر الأرضين فى سبعة ، وسيأتى تصريحاتهم بالكرات البخارية لكل واحدة واحدة . ولست بناس ما تلوناه عليك من جواز تسمية الكرات السامية باسم الأرضين وانها سبعة ، كما لم تنس الشواهد العظيمة التى ذكرناها على ان السماء فى شرعنا هى الكرة البخارية الأرضية واسم السماء يقع

(١) سورة الرحمن آية ٣٣ .

على كل جرم علوى .

* * *

فاذا تمهدت لديك هذه المقدمات قلت : ظنى المستفاد من آثارنا الاسلامية هو ان الأرضين السبع والسماوات السبع مرتبة بنظام الله الأكمل هكذا :

(الأرض الأولى) هى التى نحن عليها وندفن فيها ، وانما ابتدأنا بها لكوننا فيها ولجهات كثيرة اخرى . والسماء الدنيا هى كرتنا البخارية المحيطة بأرضنا

(الأرض الثانية) هى كرة زهرة بما عليها من الهواء والجبال والبحار ، وانما صارت الثانية لأن اولى الحالات فى اعتبار السيارات هو حال ظهورها لنا ومصيرها فى تجاهنا ، فتكون الزهرة عند ئذ اقرب السيارات الى الأرض ثم من بعدها عطارد ثم من بعده المريخ وهكذا الى بقية السيارات السبعة . والسماء الثانية هى الكرة البخارية المحيطة بأرض زهرة وهوائها .

(الأرض الثالثة) كرة عطارد ، والسماء الثالثة كرته البخارية المحيطة به

(الأرض الرابعة) كرة المريخ وما عليها وما فيها . والسماء الرابعة الكرة البخارية المحيطة به .

(الأرض الخامسة) كرة المشترى . والسماء الخامسة كرة البخار الحافة بأرضها وهوائها .

(الأرض السادسة) كرة زحل وما فيها . والسماء السادسة كرته البخارية

(الأرض السابعة) كرة ارانوس . والسماء السابعة الكرة البخارية المحيطة بها .

انظر لتبيين ما قلنا الشكل (٢) وقد مضى فى صفحة ٥٠ .

ومن بعد ذلك الفضاء الفاقد للانقضاء المحيط بعالم شمسنا .

وانما اخرجت نبتون وفلكان عن عداد الأرضين لما مر فى مسألة حصر الأرضين فى سبعة .

وهذا الترتيب القريب قد صرح به الامام الثامن على بن موسى الرضا (ع) فى خبر مروى عنه بأسانيد قوية فى اكثر كتب الامامية ولقد وجدته فى تفسير القمى وتفسير العياشى وهما من ابناء القرن الثالث والرابع الهجرى وفى تفسير سورة الطلاق والذاريات من كتاب مجمع البيان للشيخ الطبرسى المتوفى سنة ٥٤٨ ﻫ وتفسير البرهان للسيد هاشم البحرانى المتوفى سنة ١١٠٧ﻫ ونور الثقلين المؤلف قبل سنة ١٠٦٥ﻫ وتفسير الصافى لمحمد محسن الفيض المتوفى سنة ١٠٩١ ﻫ وبحار الأنوار والأنوار النعمانية وقد صححنا اكثر هذه الكتب فى المقدمة الأولى من صدر هذا الكتاب والخبر الرضوى هو هذا بلفظه : ان الحسين بن خالد سأل الرضا على بن موسى عليه السلام عن ترتيب السماوات والأرضين وقال له : كيف ذلك جعلت فداك ؟ قال : فبسط الرضا عليه السلام كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال : هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا عليها فوقها قبة ، والأرض الثانية فوق سماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة ، والأرض الثالثة فوق سماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة ، والأرض الرابعة فوقها سماء الثالثة والسماء الرابعة فوقها قبة ، والأرض الخامسة فوق سماء الرابعة والسماء الخامسة فوقها قبة ، والأرض السادسة فوق سماء الخامسة والسماء السادسة فوقها قبة ، والأرض السابعة فوق سماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة ، وعرش الرحمن فوق سماء السابعة ، وهو قوله تعالى : ﴿ سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ﴾ . الى ان قال ـ اى الحسين بن خالد : فما تحتنا الا ارض واحدة ؟ فقال عليه السلام : ما تحتنا الا ارض واحدة وان الست لهن فوقنا .

اقول : لا يرتاب عارف بالعلم واللغة ان هذا الخبر منطبق على ترتيبى

المذكور كانطباق اللفظ على المعنى والاسم على المسمى ، فهو المهد الذى اليه يستريح والمضمون الذى بمعانيه ينطبق ويصح الكلام الفصيح ، وهو نص قاطع وبرهان ساطع على صحة الهيئة الحاضرة وبطلان الهيئة الغابرة ، لتصريحه بوجود الأرضين الستة فوق ارضنا بل وفوق السماء وفاقاً للمعاصرين وخلافاً للقدماء .

وهل كان لعاقل فى غابر الزمان جرأة التفوه بأمثال هذه الكلم ؟! ومن اجل ذلك تاهت العقول من علمائنا المتقدمين فى فهم هذا الخبر المقدس الساطع منه انوار الامامة والوحى ، واذ لم يتمكنوا من تكذيبه وطرحه لسبب قوته وشهرته تشوشوا فى شرحه :

قال العلامة المجلسى بعد نقل الخبر : « ولما كان هذا الخبر ظاهراً مخالفاً للحس والعيان فيمكن تأويله » فأوله بمعنى فاسد بعيد غير مناسب .

وقال السيد نعمة الله الجزائرى فى الأنوار النعمانية : ولا يخفى ما فى هذا الحديث من الاشكال وعدم امكان تأويله حتى ينطبق على الأخبار وظواهر الآيات أو على اقوال الحكماء والرياضيين ، وهذا لا يوجب رده بل يجب التسليم والانقياد له وارجاعه الى متشابهات الأخبار .

اقول : لقد اصاب هذا السيد الجليل فى مخالفته مع الحكماء فى هذا الحديث ، ولكنه اشتبه اذ حكم بمخالفته لظواهر الآيات والروايات ، فانه لم يخض فيها خوض تحقيق ولم يغص غوص اجتهاد وتدقيق ولم يستنشق طيب طيب الفلسفة الحديثة حتى يفوز بما فزت به . والحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولى على ترتيبى المذكور شاهد قوى غير ذلك الحديث الرضوى وغير اظهار على عليه السلام تعليق السماوات فى الهواء ، وغير قوله عليه السلام : « الحمد لله

الذى لا توارى عنه سماء سماءاً ولا ارض ارضاً ، ذلك هو المضمون المتواتر فى الآثار الاسلامية ، اعنى كون السماوات السبع متباعداً كل منها عن السماء الأخرى بمسافة سير خمسمائة سنة ، وكذلك الأرضون السبع متباعد كل منها عن الأرض الأخرى بمسافة سير خمسمائة سنة ، ولو تأملت علمت ان ذلك بظاهره لا يكون الا على ترتيبنا الماضى ، فان المقصود من مسيرة خمسمائة عام غير معلوم تحقيقاً ، ضرورة اختلاف السير حسب اختلاف الأحوال والأوقات والاشخاص والأدوات وغير ذلك من الجهات ، ولكنا نعلم اجمالا ان المقصود من هذا التحديد فى تباعد الأرضين هو المراد فى تحديد تباعد السماوات ، والنتيجة تساوى المسافات فمن كل ارض الى ارض اخرى كمثل المسافة من كل سماء الى سماء اخرى ، كما ستسمع التصريح بهذا المعنى فى طى اخبار المسألة .

* * *

وبعد تمهيد ذلك نقول : ان اراضى السيارات السبع اذا انتظمت على ابعادها المعلومة تقريباً وكانت السماوات السبع كراتها البخارية كان ما بين ارض والاخرى مسافة مثل ما بين سمائها وسماء اخرى تقريباً ، كما نطقت به الأخبار الكثيرة .

ولو حققنا النظر فى مسيرة خمسمائة عام لازداد هذا الشاهد قوة وظهوراً فانا ان فرضنا دابة متعارفة تسير كل ساعة فرسخاً كما هو معلوم ومعمول ابداً حتى ان عرفنا يسمى الفرسخ بهذه المناسبة ، (١) فيكون مجموع سيرها فى كل سنة تسعة آلاف فرسخ تقريباً ، ثم يكون المجموع من مسيرها فى خمسمائة

(١) لأن لفظة الساعة مأخوذة من (السعى) بمعنى السير وقطع المسافة (ف) .

عام اكثر من ستة عشر مليون ميلا (١).

وهذا التحديد - كما تعلم - قريب جداً من تحديدات المتأخرين فى مسافة الفواصل بين اراضى السيارات ، ولا يناسب مبنى اخر ولا هيئة اخرى .

ولنذكر نبذة من الأدلة الناطقة بهذا المعنى :

١ - فى البحار والدر المنثور نقلا عن سبعة كتب او اكثر فى خبر طويل من جملته : « ان ما بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام » .

٢ - قال الفاضل النيسابورى فى تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ : « انها سبع ارضين ما بين كل واحدة منها الى الأخرى مسيرة خمسمائة عام كما جاء فى ذكر السماء وفى كل ارض منها خلق ، الى ان قال « وهم يشاهدون السماء من جانب ارضهم ويشهدون الضياء منها » .

وفى هذه الألفاظ الأخيرة دلالة اخرى على صحة ترتيبنا تلوح لمن حقق النظر .

وقد ذكر شراح نهـج البلاغة كالراوندى وغيره ابعاد السماوات والأرضين هكذا فى اوائل كتبهم .

---

(١) ظهر لى فى رجب سنة ١٢٣٦ أن المقياس فى مسيرة خمسمائة عام المتواتر فى الأحاديث الشريفة ليس هو بسير الابل ونحوه ، بل المقياس مذكور فى الأحاديث نفسها ، وهو سير الطير كما ترى فى حديث التوحيد للصدوق بسنده عن الامام الصادق عليه السلام : « ان لله تعالى ملكا بعد ما بين شحمة اذنه الى عنقه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير ، وهكذا فى احاديث اخرى ، وهذا التقدير لا يناسب ابواب السماوات بل يناسب ابواب العرش والكرسى ، كما ان هذه الأخبار ايضاً واردة هناك ، فان سير الطير فى كل يوم ينوف على مائة فرسخ - فلاحظ .

٣ - فى البحار ج ١٤ باب عدد السماوات والدر المنثور عن ١٩ كتاب عن عباس عم النبي قال : كنا عند النبي ﷺ فقال : «هل تدرون كم بين السماء والأرض»، والخبر طويل نعرض عن ذكره وخلاصته ان ما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام .

٤ - وفى الدر المنثور عن عدة كتب بأسانيدهم عن ابى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : «ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وما بين السماء الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام، وكذلك الى السماء السابعة والأرضون مثل ذلك .

٥ - عن قتادة فى قوله تعالى : ﴿فسواهن سبع سماوات﴾ قال : «بعضهن فوق بعض بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام» .

٦ - فى البحار عن ابن عباس صاحب النبي ﷺ: «ان ما بين كل ارض الى ارض خمسمائة عام ومن السماء الى السماء خمسمائة عام» .

٧ - فى كتاب دائرة المعارف فى لغة السماء عن ابى هريرة قال : خرج رسول الله (ص) على اصحابه وهم يتفكرون، فقال : فيم انتم ؟ فقالوا : نتفكر فى الخالق . فقال (ص) لهم : «تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ، تفكروا فى ان الله تعالى خلق السماوات سبعاً والأرضين سبعاً وتحت كل ارض خمسمائة عام وبين السماء والأرض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سمائين خمسمائة عام ، وفى السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه» .

اقول : ولن تجد ترتيبنا فى الظاهر ينطبق عليه جميع هذه الظواهر الا ما ذكرته ورتبته .

وقوله (ص) : «وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله» اشارة

الى ما ذكرته فى شرح البحار السبعة من مسألة تعدد الأرضين ان الفضاء الممتلىء من الجوهر المواج الأثيرى اشبه شىء ببحر مواج تسبح فيه الحيتان الصغار والكبار . فاذا اعتبرته بحسب مجارى السيارات فيه صار سبعة ابحر ، واذا اعتبرت جميعه شيئاً واحد كان بحراً واحداً عمقه مقدار مسافات السماوات والأرضين .

ويجوز ان يكون الملك القائم فى هذا البحر هو الجرم القدسى الحافظ بقوة جذبه نظام عالمنا الشمسى

٨ ـ فى تاريخ علم الفلك للطليانى عن مسند احمد بن حنبل بسنده المرتقى الى عباس عم النبى عن النبى (ص) انه قال : « ان بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكنف كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والأرض » .

اقول : الظاهر حمل السماوات فى هذا الخبر على الأجرام السامية السيارة

٩ ـ عن قتادة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ سبع سماوات ﴾ قال : « بعضهن فوق بعض ، بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام »

١٠ ـ فى تفسير ابى السعود بن محمد من فضلاء المائة التاسعة الهجرية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ : ان الجمهور (يعنى اكثر المفسرين والمحدثين) على انها سبع ارضين بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والأرض ، وفى كل ارض سكان من خلق الله تعالى . . .

قلت : وهذه الألفاظ صريحة فيما ذهبت اليه ولا تكاد تنطبق الا عليه ولا ينقضى استعجابى من غفلة المحققين عن هذه الآثار الواضحة مع انها تنادى وتصيح بمفاد صحيح هو عين ترتيبى المتقدم ذكره .

١١ - في تفسير القمي في سورة مريم والبحار بسند صحيح عن الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في خبر ادريس النبي عليه السلام : « انه قال لملك الموت : ان غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الرابعة الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ، ومن السماء الثالثة الى الثانية مسيرة خمسمائة عام ، وكل سماء وما بينها كذلك » .

اقول : لا يخفى ظهور الخبر فيما مر ، ولكن الاشكال انما هو في قوله (ع) : « غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام » الا ان يراد بالسماء الرابعة كرة البخار من ارض المشترى ، فانها عند الابتداء من فوق ارضنا رابعة السماوات ، وهي غليظة جداً . او يراد من السماء نفس كرة المشترى .

وقد ذكرنا مراراً ان السماء كثيراً ما تطلق على نفس اجرام الكرات السامية ، وغلظ جرم المشترى ليس ببعيد من هذا التحديد ، فان قطر الأرض ثمانية آلاف ميل وقطر المشترى اكثر من ستة وثمانين ألف ميل ، او يراد المجموع المكور المركب من جرم المشترى وكرته البخارية - والله اعلم بالصواب واولياؤه الملهمون (١) .

* * *

وخلاصة النتائج في هذه المسألة ان الآراء المعتمدة عليها في الهيئة الجديدة متفقة على وجود الأراضي العديدة السيارات في الفضاء الفارغ ، وعلى ان لكل منها كرة بخارية محيطة به ، ونحن لا نجد مانعاً شرعياً أو عقلياً

---

(١) كل هذه التوجيهات وجيهة ومقبولة لو كان الغلظ المذكور في الحديث مختصاً بالسماء الرابعة فقط ، ولكن ماذا نصنع مع الجملة الأخيرة في الحديث الشريف : « وكل سماء وما بينها كذلك » فان هذه الجملة تنادي بعدم اختصاص هذا الغلظ بالرابعة بل انه موجود في كل سماء من السماوات السبع - (ف) .

يمنعنا عن تطبيق الأرضين والسماوات على ذلك ، بل نجد الأدلة الصريحة ـ فضلا عن الامارات فى آيات شرعنا مضافاً الى الروايات ـ ناطقة بأن الأرضين فى عالم شمسنا سبعة ، وهى اجرام منفصلة متباعدة بمسافة عظيمة كمسيرة خمسمائة عام ، وان السماوات السبع متكونة من بخار الماء ، وكل سماء منها محيطة بأرض من الأرضين السبع ـ كما تقرر فى الهيئة العصرية .

فأى مانع يصدنا عن اختيار هذا التطبيق وحمل الظواهر عليه ، مع ما فى ذلك من الثمرات الجسيمة مثل شرح الاخبار المستصعبة وحل ما اعتاص وتشابه من ظواهر الكتاب والسنة ، ومثل اثبات ان النبى الأمى ﷺ لم يكن ترجماناً لآراء الفلاسفة الأقدمين . بل كان مخالفاً لهم فى علومهم وعقائدهم ناهياً عن تصديقهم .

والأعظم الأهم فى مثل ذلك اظهار صدق الشريعة الاسلامية ـ كثر الله حماتها فى البرية ـ وتقدمها على المتأخرين فى الاخبار عن هذه الحقائق والأسرار والأمور التى قصرت عن نيلها الأبصار والبصائر وعجزت عن دركها العقول والمشاعر .

فوالهفاه على ما اندرس من آثار الاسلام ! وآهاً آه على ما فاتنا من اقوال الحجج الكرام ! فكم قد اهمل الحفاظ والرواة آثاراً واحاديث فى هذه الابواب ، فلم ينقلوها من شدة غرابتها عن عقولهم ، وتنفر ابناء ذلك الزمان من امثال هذه المضامين ، فلم يظهرها الرواة خوفاً من تهكم الجاهل بالناقل او القائل ، ومع ذلك كله طفح علينا من رواشح هاتيك الأخبار والآثار رشيحات سقت حدائق العلوم سيحاً .

« المسألة الثامنة »

(فى كون الشمس مركزاً لحركات الأجرام)

قد تقرر فى الهيئة الكوبرنيكية بعد القرون الكثيرة الهجرية ان شمسنا هذه ثابتة فى مركز الحركات كاحدى ثوابت الكون يستقيم بها نظام مجذوباتها فهى أوسط هذا النظام كالمركز لأدوارها .

فماذا يصنع المسلمون بما يوجد فى شرعهم الاقدس من الظواهر الدالة على تحرك الشمس وجريانها ؟

(الجواب)

خالف الفيلسوف المؤسس (كوبرنيك) ومن بعده جميع المتقدمين ، فارتأى ثبات الشمس وتوسطها لدوران الكرات السيارة حولها شبه المركز ، فهى كالبيت الحرام لطواف حجاج الاجرام على أفلاك بيضوية ، ويقع قرص الشمس فى احد المحترقين ، كما يبدو فى الشكل الثانى وقد مضى فى صفحة ٥٠ .

ثم لا يذهب عنك ان هؤلاء المتأخرين انما ينفون التحرك عن جرم الشمس بالنظر الى وضعه مع اتباعه ومجذوباته ، ولا ينفون التحرك عنها رأسا كيف وهم ينادون فى كل ناد ان للشمس تحركا على نفسها وضعياً وفى بيداء الفضاء انتقالياً ، ولا يناقض ذلك كونها أيضاً مركز الحركات ، نظير الأرض فانها مركز لأدوار القمر ، وهى مع ذلك سيارة على نفسها وحول الشمس مع القمر فكما ان الذى يكون على سطح القمر لا يشعر بسير الارض السنوى الا اذا

انتقل الى كرة غيرها كذلك من كان على سطح الشمس الجارية أو على سطح احدى كراتها المنجذبة ، فانه لايشعر بسير الشمس الانتقالى ، اذ المجموع من الجاذب والمجذوب سيار بسير واحد .

نعم اذا انتقل الناظر الى كرة خارجة عن نظام شمسنا ادرك التحرك الانتقالى للشمس بسهولة .

حركتا الشمس

ولنصرف عنان البيان نحو المقصد الاصلى فنقول . ان المتأخرين عن الالف الهجرى أثبتوا حركتين لجرم الشمس مع قولهم بمركزيتها لادوار اتباعها

(احداهما) حركة وضعية فى حيزها على محور نفسها فى خمسة وعشرين يوماً ونصف بالتقريب ، اكتشفوها فى القرن السابع عشر من الميلاد . وقد اتفقوا الآن على هذه الحركة واستنبطوها من تحرك الكلف والبقع والشامات والعلامات المنكشفة على سطح الشمس كلها على نسق واحد من الغرب الى الشرق فى المدة المبينة .

(الثانية) حركة انتقالية فى البعد البعيد والفضاء المديد تسير بنفسها وبجميع مجذوباتها الرابية فى حجر شفقتها ، فهى تعدو كالمرأة الهائمة فى بيداء الجو ويعدو خلفها اطفالها بلا مأوى ولا مثوى .

ولكن القوم مختلفون فى استطالة هذه الحركة واستدارتها وفى مركز دورها وفى جهة الحركة وصوبها ساحبة من ورائها الفيف سياراتها حول العالم :

قال فى حدائق النجوم : ان عالم شمسنا يتصاعد الى نجم فى الفخذ الايمن

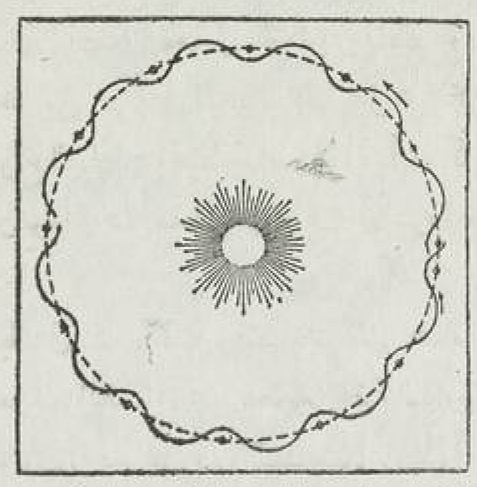
من الجاثى على ركبتيه فى سطح معدل النهار .

وفى مشهد الكائنات عن قاموس القواميس المطبوع بباريس عند ذكر الشمس : انها لاتخلو من حركة فى الافق ، لانها تميل نحو مجموع انجم هركيل جارة وراؤها مجموع السيارات المحيطة بها ، ولها أيضاً حركة على نفسها تتمها فى خمسة وعشرين يوماً وخمس ساعات من الغرب الى الشرق حول محور عمودى فى فلك البروج .

وقال فانديك فى كتاب الهيئة : فقد اتفق اشهر علماء الهيئة الآن على ان الشمس ونظامها من العوالم السائرة نحو نقطة من القبة السماوية موقعها على الخط الموصل بين (أ) و (ب) الجاثى على ١/٤ البعد بينهما عن (أ) أى مماس هذا الفلك العظيم ينتهى الى (أ) الجاثى شمالا و (ج) الحامة جنوبا ، والحركة السنوية الى تلك الجهة ١٦٢١ من نصف قطر فلك الارض ، أى ٠٠٠ ٤٠٠ ١٤٨ ميل ، وهى دائرة حول نقطة فى الثريا مركزاً أى (ب) الثور حسب رأى ميدلر ، وسرعة هذه الحركة نحو أربعة أميال كل ثانية .

وقال فى الآيات البينات : والشمس باجماع الفلكيين الآن تسير بكل اتباعها الى نقطة فى الجاثى بسرعة معدلها نحو ٤٢٢٠٠٠ ميل فى اليوم ، وظن بعضهم انها تدور بكل عالمها حول اضوأ نجم فى الثريا يسميه الافرنج (الكيونى) ويسميه العرب (عقد الثريا)

وفى المجلد الحادى عشر من مجلة الهلال المصرية ص ١٢٤ : ان الاستاذ (كمبل) مدير مرصد ليك من امريكا يعتقدان الأرض تدور حول الشمس كما فى هيئة كوبرنيك ، ولكن الشمس تسير دائماً من الجنوب الى الشمال ونظامها يتبعها ، فهى لاترسم أفلاكا فى مسيرها هذا بل ترسم خطاً متعرجاً يشبه الحية حال مشيها - كما فى الشكل (٦) .



(ش - ٦) سير القمر اللولبي حول الشمس

وقال كمبل : ربما تبادر الى الأذهان ان الشمس تسير فى خط منحنى ، بحيث يعود نظامها بعد دهر وادهار الى نقطة مبدئها ، ولكننا لانمنع ان تكون سائرة فى خط مستقيم كما تسير القنبلة من المدفع (١) .

* * *

(١) قال الطنطاوى فى كتابه : فاعلم ان حركة قنبلة المدفع لاتزيد عن عشرة أميال فى الدقيقة ، وسرعة الأرض فى حركتها اليومية ١٦ ميلا فى الدقيقة وفى الحركة السنوية الف ميل فى الدقيقة ، وفى الحركة العمومية للنظام الشمسى ثلاثمائة ميل كما نقله اللورد افبرى ، مع ان الزهرة وعطارد أسرع منها اذ يبلغ الأخير قريباً من الفى ميل فى الدقيقة ، اى كسرعة قنبلة المدفع مائتى مرة . .
أقول : بهذا يستدل على ان الحركتين اليومية والسنوية للأرض والا لذابت من الحرارة كقنبلة المدفع

اذا اطلعت على اتفاق المحققين من الحكماء المتأخرين على تحرك الشمس بحركتين وضعية وانتقالية قلنا لك : ان الظواهر الاسلامية دالة على تحرك الشمس فقط من دون تعرض أو ارشاد الى بيان تلك الحركة ، فهى مسوقة على منهج يستقيم مع القول بالحركة اليومية أو السنوية للشمس كما قال بها المتقدمون ويستقيم أيضاً مع القول بالحركة الوضعية او الانتقالية للشمس كما قال بهما المتأخرون ، بل لو منحت ألفاظها تدبراً صادقاً لظفرت على امارات وشواهد مقترنة بها تشير الى الآراء الجديدة فى الشمس وأحوالها :

(منها) قوله تعالى فى سورة يس بعد ذكر الشمس والقمر والمنازل والأرض : ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ (١) وقد ذكرنا غير مرة ان هذه الآية الكريمة لا ينطبق ظاهرها على الهيئة القديمة ، اذ يمتنع لديهم تحرك الكواكب فى جسم الفلك ، ولأجل ذلك التزم القدماء صرف ظاهر الآية بنحو التجوز ، ونسبة السباحة الى المتحرك بالعرض - أى الكواكب - دون المتحرك بالاصالة - وهو الفلك - كنسبة التحرك الى الجالس فى السفينة .

واما نحن المتأخرين ففى غنى عن ارتكاب التجوز والتأويل ، فنأخذ بظاهر الآية ونقول بتحرك نفس الشمس والقمر والمنازل السماوية والأرض ونحوها بالحركة الانتقالية كل فى فلك مخصوص به ، غاية الأمر ان فلك الشمس مجهول المركز وباقى الأفلاك محيطة بالشمس .

(ومنها) قوله تعالى فى سورة يس أيضاً : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (٢) فاحتج الأوائل بظاهرها على كون الحركة المحسوسة طلوعاً وغروباً انما هى للشمس ، واضطربوا فى ﴿ لمستقر ﴾ فأخذوا اللام تارة بمعنى الى وفسروا المستقر بمبدأ البروج ، واخرى بمعنى فى وفسروا

(١) سورة يس آية ٤٠ . (٢) سورة يس آية ٣٨ .

المستقر بفلكها .

وعندى فى كلا التفسيرين نظر :

(أما الأول) فلأن المقصود من المستقر لو كان هو البرج الذى تعود اليه الشمس واللام بمعنى الى لاستلزم سكون الشمس بعد حلولها فيه ، وهذا باطل قطعاً ، ووجه اللزوم هو كون ما بعد الى غاية للجريان مثل « صمت الى المساء » فلا يشمل الحكم لما بعد الغاية . فيلزم سكون الشمس بعد وصولها الى البرج الذى ابتدأت منه ، كما لو قلت : « جرى الماء الى موضع كذا » أى لم يجر من بعد ذلك الموضع .

(وأما الثانى) فلأن المستقر لو فسر بالفلك وكان اللام فيها بمعنى فى كان المعنى ان الشمس تجرى فى جرم فلكها ، وهو مسلم البطلان فى الهيئة القديمة ومناف لمبانيها .

هذا ، ولا يلزم شىء من هذه المحاذير اذا حفظنا ظاهر الاية وطبقناه على النظام الجديد بحمل الجريان على الحركة الانتقالية للشمس فى أعماق الفضاء تائهة المأوى وحمل المستقر على زمان الاستقرار لامكان الاستقرار ، فيكون المعنى - والله اعلم - : والشمس تجرى الى ان يأتى وقت القرار وهو يوم القيامة اذا الشمس كورت والنجوم انكدرت .

واحتمل العلامة الكبير السيد محمد حسين الشهرستانى المرعشى وغيره : ان المستقر بمعنى محل الاستقرار ، وتكون اللام بمعنى (فى) كما فى قوله تعالى ﴿ ياليتنى قدمت لحياتى ﴾ (١) اى فى حياتى ، وفى قوله تعالى : ﴿ لايجليها لوقتها الا هو ﴾ (٢) اى فى وقتها ، وغير ذلك . فيكون المعنى - والله ادرى - ان الشمس تجرى وتتحرك فى مستقرها وموضع قرارها بالحركة

(١) سورة الفجر آية ٢٤ . (٢) سورة الأعراف آية ١٨٧ .

الوضعية ، ويكون قوله تعالى : ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ اشارة الى لطف هذه الحركة فى بادىء النظر وفى نفس الأمر .

هذا كله بناءاً على القراءة المعروفة المتداولة ، اعنى قراءة عاصم برواية حفص ، واما على القراءة المروية عن أئمة آل النبى ﷺ : ﴿ والشمس تجرى لا مستقر لها ﴾ بلا النافية فتنطبق على الحركة الانتقالية المنقولة عن المتأخرين انطباقاً ظاهراً لا يحتاج الى تجشم التفسير . وهذه القراءة الأخيرة رواها المفسرون عن امير المؤمنين على عليه السلام وسبطه زين العابدين والامامين محمد الباقر وجعفر الصادق وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء وغيرهم

واختار هذه القراءة شيخنا الشريعة الاصفهانى كما سمعته منه ورأيته ايضاً فى كتابه (انارة الحالك فى قراءة ملك ومالك) ، ونقل هذه الأقوال عن مجمع البيان والدر المنثور . وهى تدل على ان الشمس ليس لها مركز محسوس تدور حوله كما يحسبه (كمبل) الامريكى . او تدل على انها لا استقرار لها كما هو الحق ، اذا الـ (مستقر) مصدر ميمى .

(ومنها) قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ (١) فان الصارف لظاهر الآية عن النظام الغابر الى النظام الحاضر هو اسناد الحركة الشديدة المفهومة من لفظ التسخير والدءاب الى نفس الشمس والقمر ، فانهما انما يتحركان بأنفسهما فى جوف الجو فى النظام الجديد ولا يتحركان قط فى النظام التليد الا بحركة افلاكهما .

ولعين هذه العلة كان اسلافنا يصححون تفسير الآية بعد بنائهم على الهيئة القديمة ، اما بحملها على التجوز فى الاسناد او بحملها على الهيئة العرفية وقد علمتم بفضل الله تعالى صحة الاعتماد على ظاهر الآية من دون

---

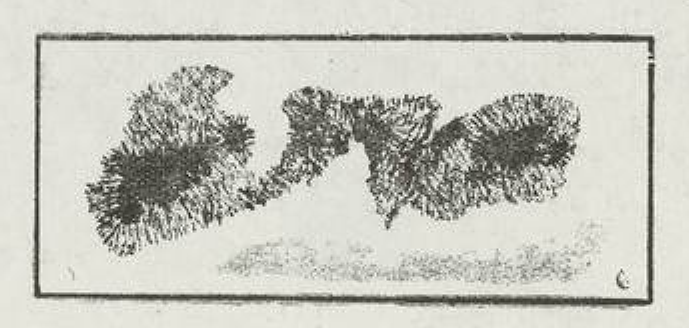
(١) سورة ابراهيم آية ٣٣ .

ارتكاب تأويل او تصرف بعد البناء على الهيئة الحديثة والقول بتحرك الشمس وضعاً وانتقالا ، وان كان الأوجه قصد الحركة الوضعية من تسخير الشمس والقمر .

* * *

فان قلت : مساق الآية على اظهار نعم الله تعالى لعباده ، وتسخير الشمس بمعنى تحريكها بالحركة الحسية اليومية والسنوية يدرك الكل له منافع عظيمة وفوائد عميمة تحقق كون ذلك نعمة ومنة ، واما تسخير الشمس بمعنى تحريكها حول نفسها في موضعها فلا ندرك له منفعة لنا ابداً حتى يتحقق كون ذلك التسخير نعمة للناس .

قلت : راجع كتب القوم وما سطروا فيها من المنافع العظيمة الظاهرة في كرة ارضنا الناشئة من دوران الشمس على نفسها ، فان سطوح الكرة الشمسية مختلفة جداً ، ففي بعضها كلف وشامات كبيرة يبلغ القطر من بعضها خمسين ألف فرسخ ـ انظر شكل (٧) .



(ش ـ ٧) نوع من الكلف الشمسي

وفى بعضها مشاعل عظيمة وملونة ، ولهبات شديدة الحر والشرر من اشتعال الأجزاء المغنيسيومية وغيرها - انظر شكل (٨) .

والمقصود انهم رأوا فى ظهور هذه الشامات والكلف ونحوها على وجه الشمس اذا قابل الأرض فى دوره - بل أيقنوا من العلائم - ان ظهور هاتيك الأمور مؤثرة تأثيراً عظيما فى الشفق وفى جونا وفى الظواهر الكهربائية المغناطيسية ، فتضطرب وتنحرف عن القطب انحرافاً فاحشاً مختلفاً باختلاف الكلف ، حتى ان معظم المطر يوافق معظم الكلف والعكس بالعكس - كما صرح به فانديك .

ونقلت (اليزا افرت) فى كتابها مختصر الهيئة عن (هرشل) ان مواجهة كلف الشمسى للأرض مؤثرة فى فصولها من جهة خصبها وقحطها .

ثم قالت : ان ما انتهت اليه الى الآن معرفتنا بهذه الأمور هو ان مدة زيادة الكلف توافق زيادة وقوع الأمطار فى الاقاليم الاستوائية .

اقول : بل يؤثر فى الحر والبرد ايضاً ، لا سيما فى الاقاليم الاستوائية وله غير ذلك من التأثيرات النافعة لنوع العباد .

فلا غرابة فى ان يكون تسخير الشمس فى سيرها المحورى من البارى تعالى لأجل حصول هذه الحالات فى الأرضين متاعاً لهم وانتفاعاً .

وستطلع ايضاً فى المقالة السادسة من البحث الأول من مسألة صفات الشمس على الأمطار الشمسية الناشئة عن دوران الشمس ، كما تنشأ الأمطار الأرضية عن دوران الأرض ، ونذكر هناك تأثيرات الامطار الشمسية فى ارضنا فتكون ايضاً من فوائد تسخير الشمس بتحريكها الوضعى .

يقول المؤلف هبة الدين الحسينى : ولى ايضاً رأى تحدسته فى سبب حركات الأرضين من الغرب الى الشرق وان ذلك ناشىء من تحرك قرص



(ش - ٨) اللهبات النارية المختلفة فى الشمس

الشمس فى حيزها كذلك فتتبعها بناتها المجذوبة لها . ولا يستطيع هذا المقام بيان منشأ هذا الحدس وشرحه ، وليس الغرض الابيان ان الأرضين اذا كانت ادوارها اليومية والسنوية ناشئة عن دور الشمس على نفسها من الغرب إلى الشرق ، وكذلك ادوار الأقمار والسيارات ، فقد عادت الفوائد والمنافع بأسرها إلى تسخير الشمس وتحريكها الوضعى على مامر ، وارتفع الاعتراض والشك من دون شك .

(ومنها) قول على امير المؤمنين عليه السلام فى بعض خطبه : «والجو المكفوف الذى جعلته مغيظاً لليل والنهار والشمس والقمر» ، وهو ظاهر فى كون التحرك والجريان لنفس الشمس والقمر - كما يراه من تأخر - لا لأفلاكها كما عن القدماء .

ومن بعد تفسير هذا الجريان بسير الشمس وباقى الأجرام فى جوف الجو - كما تقدم عن المتأخرين - يبقى ظهور الكلام محفوظاً على ابلغ منهج .

وصدر هذا الكلام مصرح بظهور الليل والنهار من تحرك الظلمة والنور إذ الليل ليس عند التحقيق الاظل الأرض المتحرك دائما من مشرق الأرض إلى مغربها، والنهار فى الحقيقة ليس غير النور الشمسى الذى يشرق من مشرق الأرض دائما ويغيب فى مغربها .

ومعنى كون الجو مغيظا لهما انه موضع غروبهما ، ففى نسبة «الغيض» بالضاد والغروب إلى الظلمة والنور لا إلى نفس الشمس اشعار بأن الحركة الليلية والنهارية انما هى للظلمة والنور ، فلا تنافى عندئذ سكون الشمس ، لجواز حصول هذه الحركة للظلمة والنور بسبب تحرك الأرض .

فكأن الامام عليه السلام اشار اولا إلى عدم مدخلية الشمس فى ايجاد الليل والنهار ثم اثبت للشمس جريانا مستقلا ، وهو سيرها السريع فى اعماق الجو

الوسيع . راجع الدليل الرابع عشر فى مسألة حقيقة الفلك .

* * *

وفى القرآن العظيم آيات يمكن الاستشعار منها بمركزية الشمس للسيارات (١) :

(احدها) قوله تعالى : ﴿ والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها ﴾ (٢) حيث اشار تعالى فى القمر إلى تلوه وتبعيته فى الحركة ، وسكت فى الشمس عما يوهم تحركها بل اكتفى بذكر اظهر صفاتها وهو نورها وشعاعها الملائمان للطباع والأبصار فى صدر النهار ، فلو كانت الحركة المحسوسة لذات الشمس كان ذلك التحرك من اظهر صفاتها واحقها بالذكر .

وايضا فى التعبير بلفظة ﴿ تلاها ﴾ اشارة إلى تبعية القمر للشمس فى الحركة كما يراه المأخرون ولم يكن بين القدماء ذكر من تبعية القمر وغيره للشمس فى الحركة بلا واسطة ولا معها .

---

(١) لا تنس ايها القارىء الكريم ان البحث فى هذه المسألة الثامنة كان حول ان الشمس مركز لحركات الأجرام السيارة ، ولكن سماحة المؤلف ذكر فى اوائل المسألة ان مركزية الشمس للسيارات التابعة لها لا تنافى مع تحرك الشمس وبقية توابعها مجتمعة بحركة خارجية ، ورأى بمناسبة المقام ان يذكر حركات الشمس وبعض الأدلة الشرعية القائمة على هذه الحركات وفى الحقيقة ان هذا الموضوع كان خارجا عما هو بصدده ومن هنا يبدأ بالموضوع نفسه ، اى ذكر مركزية الشمس لحركات الأجرام السيارة التابعة لها - (ف)

(٢) سورة الشمس آية ١ - ٢ .

(وثانيها) قوله تعالى: ﴿ لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ﴾(١).

قال نور الله: ان هذه الآية تشير إلى ان الشمس هى الجاذبة للقمر دون العكس، ويشبه قولك فى سفينتين عظيمة وصغيرة تتبعها ان تقول: «لا العظيمة ينبغى لها ان تدرك الصغيرة» اى لا يليق لها بشأن الصغيرة الا لتحاق بالكبيرة - فتأمل.

واحتمل العلامة الشهرستانى المرعشى انطباق هـــذه الآية والثالثة على النظام الحديث من حيث ان الشمس مركز الحركات لا تتحرك والقمر لا يزال فى دور وانتقال، فيصدق قوله تعالى: ﴿ لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ﴾.

اقول: ان الادراك ظاهر فى لحوق الشىء لما تقدم عليه بسرعة، والشمس فى سيرها الانتقالى مع السيارات تسير اربعة عشر ميلا فى الثانية، والقمر فى سيره الانتقالى مع الأرض يسير عشرين ميلا فى الثانية، فالشمس لا ينبغى لها ان تدرك القمر على آراء المتأخرين ايضاً.

يقول المؤلف هبة الدين: ونجوى فكرتى ان هذه الآية الكريمة ناظرة الى الحركة الانتقالية للشمس وآية ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ ناظرة الى الحركة الوضعية لها، فسورة يس مشيرة الى حركتى الشمس الوضعية والانتقالية معاً.

(وثالثها) قوله تعالى: ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل ﴾(٢) حيث وصف تعالى الشمس بالاضاءة والقمر بالنورانية، ثم خصص القمر بالتحرك فى منازله المقدسة وسكت عن تحرك الشمس فلو كانت متحركة فى البروج حقيقة - كما زعمه الأقدمون - لكانت الشمس بهذا

(١) سورة يس آية ٤٠.

(٢) سورة يونس آية ٥.

التخصيص اولى كما لا يخفى ، مع تعليل ذلك بمعرفة العباد عدد السنين والحساب
قال نور الله : ويؤيده ان الشمس لو كانت هى المتحركة لكانت اولى بأن توصف بالتقدير فى البروج ، سيما مع اقترانها لفظاً بالقمر المقدر فى المنازل . وحيث ان الله وصفهما بعد ذكرهما وسكت عن تحرك الشمس فى بروجها مع اولويتها دل ذلك على سكونها واختصاص القمر بالسير .

ومثل هـــذه الآية قوله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (١) فانه تعالى بعد ذكر الشمس والقمر مقترنين افرد القمر بخاصية التقدير فى المنازل دون الشمس مع انها اولى بذلك عند القدماء.

* * *

بقى التعرض لبعض مايستدل به على صحة النظام القديم من المأثورات الشرعية :

(منها) ما فى روضة الكافى والوافى وتفسير القمى والبحار وغيرهـا بالأسانيد القوية عن الأصبغ بن نباتة قال: قال امير المؤمنين عليه السلام : «ان للشمس ثلاثمائة وستين برجاً كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب ، فتنزل كل يوم على برج منها» .

وهذا الخبر رواه فى مجمع البحرين عن النبي صلى الله عليه وآله ، وشرحه اسلافنا على الوضع القديم فى الهيئة قائلين : ان المراد من البرج درجة الدائرة جرياً على المعنى اللغوى لا البرج بالمعنى الاصطلاحى - اعنى سدس نصف الدائرة - والدائرة منقسمة الى ثلاثمائة وستين قسماً متساويا تسمى كل قسمة درجـــة وتنزل الشمس كل يوم فى برج منها - اى فى درجة واحدة - حتى تكمل الدورة فى سنة فنسبة النزول الى نفس الشمس فى الحركة السنوية مشعرة بكون الشمس

---

(١) سورة يس آية ٣٩ .

متحركة .

قلت : وفى الخبر شواهد واضحة على بطلان هذا التفسير :

(احدها) ان الدرجة لدائرة الشمس عند القدماء ـ سواء أخذتها من فلك الشمس او من فلك البروج ـ فانها اضعاف كرة الأرض تماماً ، فكيف يصدق مع ذلك قوله ﷺ : «كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب» فان الجزر الواقعة فى جزيرة العرب صغيرة جداً ليس لها قدر محسوس بالنسبة الى مجموع الأرض ، فكيف ينطبق عليها درجة الفلك الفاضلة على أضعاف مجموع الأرض ؟ فاعط النظر حقه .

(وثانيها) ان الشمس لا تقع على درجة واحدة من كل يوم من دائرة البروج ، بل هى فى غاية الاختلاف ، فقد تقع على اكثر من درجة فى اليوم وقد تقطع الأقل منها ـ كما لا يخفى .

(وثالثها) ان السنة الشمسية اكثر من ثلاثمائة وستين يوماً بعدة أيام ، واللازم من تفسيرهم المذكور للخبر المسطور ان تكون السنة ثلاثمائة وستين يوماً لا اقل من ذلك ولا اكثر ، وهو باطل جداً .

هذا ، وقد روى المحدثون والمفسرون كما فى البحار وغيره عن ابن عباس عن أمير المؤمنين على ﷺ انه قال : « ان للشمس ١٨٠ منزلا فى ١٨٠ يوماً ثم انها تعود مرة اخرى الى واحد منها فى امثال تلك الأيام ومجموع تلك الأيام سنة » .

وظاهر ان هذا الحديث مع الحديث المتقدم مسوقان على سياق واحد وينظران نحو منظور مفرد ، والبرج والمنزل فى العرف بمعنى المحل ، فلو صح تفسير علمائنا المتقدمين توجهت الاشكالات المذكورة على هذا الحديث أيضاً باضافة اشكال آخر اصعب مما مر ، وهو تصريح هذا الخبر المتأخر بأن منازل الشمس تتكرر فى السنة وانها لا تكون ثلاثمائة وستون الا بعد عود الشمس فى كل ستة

أشهر الى نفس تلك المنازل التى قطعتها ، فيكون المجموع من ١٨٠ يوماً و ١٨٠ يوماً سنة كاملة ولا يلتئم هذا الأمر مع تفسير الخبر بما قد مر وحمل نزول الشمس على حركتها فى البروج الاثنى عشر ، اذ لا تعود الشمس الى شيء مما حلته الا بعد تمام السنة

اذا انحرف وجه الحديث عن الوضع القديم فعج به نحو النظام القويم واحمله على بيان الحركة الميلية الأرضية لترتفع الاشكالات جميعاً ويتفق الحديثان معاً وتلتئم الظواهر بالحقائق .

حركة الارض ومعرفة الدرجات والبروج

ان الأرض من جهة ميل محورها الاستوائى ترى حالة سيرها السنوى كمهد يتحرك فى موضعه ، توجه صفحات سطحها الى الشمس رائحة من الجنوب مثلا الى الشمال فى ١٨٠ يوماً ثم ترجع من الشمال الى الجنوب فى ١٨٠ يوماً ومجموع ٣٦٠ يوماً يكون سنة كاملة طبق مانطق به خبر ابن عباس .

ثم ان البرج والمنزل غير محمولين على معناهما المصطلح قطعاً ، بل ينظر ان الى المعنى العرفى لهما وهو المحل والموقع ، والمقصود منهما فى هذه الأخبار قطاع من الأرض من دائرة نصف النهار يقع عليها توجه الشمس فى كل يوم ، فتكون البروج والمنازل ـ بناء على هذا ـ مأخوذة من سطح الأرض لا من سطح الفلك

ومعلوم ان هذا القدر من خط نصف النهار الذى يواجه الشمس عند ميلها الجنوبى والشمالى قريب من ٤٧ درجة اصطلاحية ، والدرجة اكثر من عشرين فرسخا عند القدماء ونحو من ثمانية عشر فرسخا عند المتأخرين ، فمسافة مجموع ما بين الميلين ـ اعنى الشمالى والجنوبى ـ اكثر من ثمانمائة فرسخ على كل تقدير

فاذا فرضنا منازل الشمس التى تواجه كل يوم واحداً منها على خط ما بين الميلين وفرضنا عددها مائة وثمانين ـ بمقتضى تصريح الحديث ـ بكلا المفروضين لزمنا تقسيم عدد الثمانمائة فرسخ على مائة وثمانين قطعة ، فيقع نصيب كل قطعة من الأرض التى تنزل الشمس عليها فى يوم واحد خمسة فراسخ تقريباً .

فعلى هذا يرتفع الاشكال الأول من قوله عليه السلام : «كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب» ، وينطبق على هذا التحديد ، لأن جزائر العرب السلف الكائنة فى جزيرة العرب بمنظرهم ومسمعهم لم تكن عظيمة قطعاً ـ كالجزائر المعروفة فى هذا العصر ـ لقصر أنظار القدماء وسعة أنظار المتأخرين وحيطتهم بمجمل الأرض ومفصلها احاطة لم يكن معشار بعضه لاسلافنا .

والخبير بتواريخ الاقدمين يعلم انهم يطلقون الجزيرة على أرض محاطة بالماء طولها من جريب واحد الى عشرة فراسخ ، فيساعده تحديدنا الماضى . ورفع الاشكالين الآخرين واضح على هذا المبنى كما لا يخفى .

ويظهر من الخبر ان للشمس حال ميلها مائة وثمانين منزلا فى الارض بحسب مواقع نورها ومواجهة قرصها من مدار الجدى الى مدار السرطان ، فتنزل أشعة الشمس كل يوم على قطعة خاصة تقرب من خمسة فراسخ كجزيرة من جزائر العرب وهكذا الى نصف السنة ثم تعود الى ماقضته من المنازل واحداً واحداً حتى تكمل ثلاثمائة وستين يوماً وثلاثمائة وستين منزلا ، وهذا المجموع سنة كاملة .

ولا يختلف منظر الخبرين على هذا التحقيق ، اذ يكون الاول ناظراً الى مجموع منازلها فى السنة ـ سواء فيها المنازل الرواحية والرجوعية ـ بخلاف الخبر الثانى فانه يذكر المنازل السنوية لكنه يفرق بين نصفها الرواحى والنصف الرجوعى .

ولو تأملت فى هذا البيان تحقيقاً لوجدت الخبرين منطبقين عليه أصح الانطباق من دون حاجة الى تصرف أو تأويل فى شىء من ألفاظ الخبر ، الا فى نسبة النزول الى اشعة الشمس بنحو تقدير المضاف عند قوله : « فتنزل الشمس كل يوم » .

واما باقى التفاسير فيحتاج فيها الى التصرف والتأويل اكثر مما مر ، مضافا الى ابتنائها على الهيئة الغابرة وانطباق تفسيرنا على الهيئة الحاضرة ، فيكون أولى من بقية التفاسير وارجح .

ومع هذا كله ففى نفس الخبر مؤيدات وشواهد على صحة تفسيرنا :

(منها) قوله عليه السلام : « تنزل على برج منها » حيث عبر بكلمة (على) فتناسب أخذ البرج والمنزل من سطح الأرض ، ولو كانا مأخوذين من الأفلاك لعبر عنها بكلمه (فى) أوغيرها .

(ومنها) تعبيره عليه السلام عن مسير الشمس بالنزول ، لاسيما مع التعبير بـ (على) ، فانه يناسب نزول أشعه الشمس على قطاع الأرض فى حركتها الميلية السنوية لاغير .

* * *

وانما أطنبت فى هذا الخبر لأن جمعاً من المحققين القدماء كالعلامة المجلسى وسيد الحكماء الشهير بالداماد وغيرهما فسروا هذه الأخبار بما لا ينطبق على نظام صحيح ، مع أن كلام الحجج الأطهار حرى بالتدبر والاستبصار لعلمنا بعلمهم كاملا بالحقائق والأسرار .

ومما يستدل به على كون الحركة اليومية من تحرك الشمس هو الظواهر الناطقة بطلوع الشمس وغروبها وأمثالها .

والجواب عنها (أولا) بحملها على الهيئة العرفية وحكم الحس فى النظرية البدوية .

(وثانياً) بارادة مطلق الظهور من لفظ الطلوع والاتيان ونحوهما وارادة مطلق الخفاء من الغروب والأفول ، فيناسب ذلك نظام القدماء والمتأخرين .

هذا كله مضافا الى ان بعض منها ليس محكياً من الله تعالى ، بل هو نقل رأى عن الرائى ، مثل مافى قوله تعالى حاكياً حسبان ذى القرنين : ﴿ وجدها تطلع على قوم ﴾ (١) وفى قوله تعالى : ﴿ وجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ .

وحيث انتهى شرح المسألة الى هذه الآية المشكلة فلا بأس بحل اشكالها مختصراً فنقول : اعترض البعض على هذه الآية المباركة من وجهين :

(أحدهما) ان الأرض كروية الشكل لايتعين فيها موضع خاص للمشرق فقط ولا للمغرب فقط ، بل كل نقطة منها مشرق لمن فى غربها ومغرب لمن فى شرقها ، فكيف يناسب هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ حتى بلغ مطلع الشمس ﴾ أو ﴿ مغربها ﴾ .

(وثانيهما) ان جرم الشمس اعظم من جرم الأرض بكثير عند الاوائل والأواخر فكيف يجوز غروبها فى عين ماء من عيون أرضنا حتى يناسب قوله تعالى : ﴿ فوجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ .

والجواب عنهما ان القدماء كانوا يحسبون ان القطاع البارزة من كرة الماء هى آسيا وأفريقيا وأوربا فقط ، ونحن لانعلم قطعاً كيفية مسير ذى القرنين ، ولكن المشهور انه سار المعمورة شرقا وغرباً براً وبحراً ، فلا يبعد وصوله الى سواحل أفريقيا الغربية ، ثم عجز من عبور الاقيانوس الاطلانتيك كلما بذل الجهد فوجد فى حسبانه الشمس كأنها تغرب فى ذلك البحر وان لاأرض بعده .

---

(١) سورة الكهف آية ٩٠ .

ومعلوم ان ظاهر الاية يحكى وجدان ذى القرنين المتوسط فى البحر ، فانه يحسب الشمس طالعة من الماء وغاربة فيه ، وليس فى الاية حكم من الله تعالى بغروب الشمس فى العين .

ثم اطلاق لفظ العين على البحر صحيح ، فان لفظة العين ذات معان جمة قد تعد سبعيناً ، ومن جملتها ـ كما فى القاموس وأقرب الموارد وغيرهما ـ مصب الماء ، والماء الكثير ، وفيضانه ، وجريانه وغيرها ، ومصب المياه حقيقة هو البحر ، فان الجدول مصب مياه الينابيع والنهر مصب مياه الجداول والبحر مصب مياه الانهار ، فهو المصب الحقيقى لجميع المياه فيطلق عليه لفظ العين .

وأما قوله تعالى : ﴿ فى عين حمئة ﴾ أى كثير الحمئة وهى الطين الأسود ، أو فى عين حامئة أى شديدة السخونة حسب اختلاف القراءات فتنطبق على المحيط الاطلانتيك فى غرب أفريقيا ، فان المنقول كثرة السواد والسخونة فيه ، لاسيما الكائنة منه على خط الاستواء .

فارتفع من اتضاح معناها مااعترضوا عليها بما نقلته وما لم انقله .

وأما قوله تعالى : ﴿ وجدها تطلع على قوم لم نجعل من دونها ستراً ﴾ فلا يتوجه اليه اشكال ، ولا استبعد ان يكون أولئك القوم سكنة اقاصى شرق المعمورة مثل سيبريا واليابان والهند ومن يقرب من المحيط الكبير ، وكلهم اليوم ماخلا اليابان فى التوحش كالحمر عقلا والسباع أكلا .

والحاصل انه بلغ فى سياحته شرقى العمران موضعاً متوحشا ووجد الشمس تطلع على قوم عراة كالوحوش . وبعض الهنود والزنوج المتوحشين لم يجعل الله لهم ساتراً من الشمس ، فيكون هذا الكلام ابلغ مافيل مبالغة فى عراء الانسان ، حيث ان الشمس الكاشفة المبدية لكل شىء هى الساترة لهم لاغير .

«المسألة التاسعة»

(فى تحقيق الصفات الخمس لجرم الشمس)

كنا نصدق الحكماء فى صفات أثبتوها بأدلتهم لشمسنا المبصرة من حيث الوزن والحجم والعدد وتوليد الحرارة والدوام الى الابد ونحو ذلك ، وكنا نعتقد موافقة تلك الصفات لشريعتنا المنورة ، وقد عثرنا فى هذه العصور على مسائل الهيئة المتأخرة فوجدناها نافية لتلك الآراء الناطقة ببطلان ما ادعاه القدماء تستند فى أحكامها الى مبادىء حسية وبراهين جلية ، فهل يتأتى الائتلاف فى تلك الاوصاف بين الكشفيات الجديدة وظواهر الشريعة أولا محيص من الطرح والتأويل ؟

(الجواب)

يعلم كل نقاد خبيران العلوم العقلية - ولا سيما الرياضية - قد انعقد تكليف بيانها على ذمة العقل دون الشرع ، ولو أفاد الشرع فيها رأيا فذلك من فضله ، وشرعنا الإسلامى اذ كان ختام الشرائع الحقة لاجرم كان اكثرها إحكاما وسياسة واكملها تأثيراً فى تهذيب النفوس وترقيتها بأصناف المعارف والكمالات .

ولاجل ذلك لم يقتصر كبعض الشرائع على تكميل جهة واحدة كاقتصار الدين المسيحى على تكميل أخلاق الخلق ، بل منح نبينا الامى ﷺ دقائق الحقائق لجماهير الخلائق وفتح لهم أبواب العلوم بأسرها على ألسنة أوصيائه

من بعده ، فنشروا من نكات الحكمة الحقةماغنى الباحثين فى كل عصرومصر .

ولعمرى ان أقوالهم غدت من كثرة الموافقة للكشفيات المستحدثةتوهم ان المكتشفين اخذوا آراءهم من تلك الأقوال ، لولا استناد المكتشفين الى أدواتهم وآلاتهم . والفحص فى مقالاته يبشرنا بصدق هذه القضية - كما سترى

فالأنسب بمقامنا شرح بعض ماقالوا فى المباحث الخمس المذكورات فى السؤال :

المبحث الاول

(ان الشمس هل هى مصدر الحرارةوالنور ام لا)

قد اختلفوا فى أن الشمس هل هى بذاتهامصدرالحرارة مثلما انها ينبوع النور ، كما تقرر فى الفلسفة الجديدة أوهى بالذات منبع النورفقط ، وليست بذات حرارةولا نارية كما تقرر فى الفلسفة القديمة .

وزبدة دعوى القدماء ان الشمس بذاتهاليست بحارة ولا باردةولارطبة ولا يابسة ، لان هذه الامور تخص العنصريات والاجرام بأسرها مقدسة عن العوارض العنصريةومنزهة من آثارالعالم السفلى حسب مبانيهم الظنية ،فالحرارة المشهودة من الشمس أو اليبوسة او الاحراق ليست عندهم من نفس الشمس بل النور الشمسى ذو خصوصية فى الوجود تقتضى بعد السطوع على سطوح الارضيات ثم الانعكاس عنها إحداث الحرارة ونحوها من الآثار .

فنسبة صدور الحرارة الى المستنير احق واولى من نسبته الى المنير ،وانما المنير سبب اعدادى يوجب ظهور الحرارة من الأرضيات ، وليست الحرارة

ثائرة من نفس النور أو الشمس بل المنير مثار النور فقط والمستنير مثار النار .

فالشمس عند المتأخرين كالسراج مصدر النور والنار معاً . وليست كذلك عند القدماء .

وحكى العلامة المجلسى فى باب ركود الشمس عن المنجمين : ان حرارة الشمس ليست باعتبار جرمها حتى يقع تعذيب المشركين بتقريبهم من عين الشمس ، بل باعتبار انعكاس الاشعة عن الاجسام الكثيفة ، ولذلك كلما بعد عن الارض كان تأثير الحرارة فيه أضعف ـ انتهى .

ونقل عنهم فى باب محو القمر عدم قبول الفلكيات للسخونة ، وهذه المسألة معلومة النسبة اليهم .

* * *

وأما الفلسفة الاخيرة فأصحابها متفقون على ان جرم الشمس بنفسه مثار النور والنار ومرسلها بالاشعاع الى كل سيار ، وان كرتها مركبة من طبقات نارية وبخارية لاتبرح عن الثوران والاشتعال ، وشبهوها ببحر عظيم من نار تلاطمت أمواجه وشعله ، وقد يبلغ طول ألسنتها وزبانيتها نحو خمسين ألف فرسخ ، وربما انحرفت عن حافته كانحراف شعلة الشمع اذا لاعبتها الريح .

ولو ترى لهباتها الملونة فى المناظر الطيفية وماترمى من الشرر باشتعال الأجزاء (المغنيسيومية) وغيرها ، ولقد حققوا فيها حتى الان اكثر من أربعة عشر مادة مما يوجد فى أرضنا كالنحاس والحديد وغيرهما ، والتفصيل موكول الى محله (١)

---

(١) بلغ كشف المواد الأرضية الموجودة فى الشمس بعد تأليف هذا الكتاب الى أربعين مادة ، وقد اكتشفت هذه المواد بواسطة سبكترسكوب ـ (ف) .

وانما الغرض بيان معتقد الأواخر فى شدة نارية الشمس، وانها تبث النور والنار من نفسها بقضاء الله تعالى فى واسع الفضاء وتوصلها الى سياراتها الرابية فى حجر عطوفتها، وان استلزم تلف آلاف اضعاف مايحتاج اليه كل سيار، حتى قالوا: ان الذى يصل الى أرضنا من حرارة الشمس هو جزء من الفى مليون وثلاثمائة وواحد وثمانين مليوناً، وباقى ذراتها النارية يتلف أو يصل الى بقية السيارات والأقمار والشهب والمذنبات.

* * *

وأما الشريعة الاسلامية فلن تجد فيها مقالة تشعر بالرأى القديم أبداً، وأمامقالاتها الناطقة بهذه الاراء المستحدثة فكثيرة ولله الحمد، ونذكر منهامايلى:

المقالة الأولى

قوله تعالى: ﴿وجعل الشمس سراجا﴾ (١) فان الظاهر من هذه الاية كون الشمس كالأسرجة والمصابيح تفيض النور وتثير النار بذاتهاوفاقا للمتأخرين

ولا يخفى ان القرآن يصف الشمس بكونه سراجا او ضياءاً ويصف القمر بكونه نوراً، ولا يغير هذه السيرة اشعاراً بأن الاشعاع فى الشمس غيره فى القمر، اذ الشمس تثير النار والنور بذاتها والقمر لابذاته بل بغيره.

المقالة الثانية

قوله تعالى: ﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾ (٢) فان المفسرين أطبقوا احسب

(١) سورة نوح آية ١٦.

(٢) سورة عم آية ١٣.

المنقول على ان المراد من هذه السراج هو الشمس .

وقال الثعلبي المفسر بعد مافسر السراج بالشمس : الوهاج هو الحار الوقاد

وقال مقاتل المفسر : الوهج يجمع النور والحر .

وفى القاموس : وهج النور اتقدت .

فالاية تشير الى كمال المبالغة فى وقود الشمس واشتعالها - كما عليه المتأخرون

المقالة الثالثة

فى روضة الكافى والخصال والعلل والبحار ومناقب ابن شهراشوب فى باب علوم الباقر عليه السلام وغيرها بالأسانيد القوية الى محمد بن مسلم عن الامام الخامس ابى جعفر الباقر عليه السلام وفى نور الثقلين ومجمع البحرين وتفسير القمى والبحار باسنادآخر عن سلام بن المستنير قال : قلت لابى جعفر عليه السلام : لم صارت الشمس أحر من القمر ؟ قال عليه السلام : « ان الله تعالى خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى اذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار ، فمن هنالك صارت أحر من القمر » .

وسوف اذكر الباقى من الخبر فى صفات القمر .

وكأن السائل كان يعلم من سائر المقالات الشرعية ان الشمس مثار الحرارة الحقيقية ولكنه طلب العلم بعلة ذلك ، فشرح له الامام علته بطريق اللم (١)

(١) طريقة الاستدلال فى المنطق والفلسفة ينقسم الى قسمين:

الأول - طريقة الـ (لمّ) أى معرفة المعلول بواسطة العلة كأن نقول : « ان الشمس فيها أجزاء نارية فاذن هى محرقة » .

الثانى - طريقة الـ (إنّ) أى معرفة العلة بواسطة المعلول كأن نقول : « ان الشمس محرقة فاذن فيها أجزاء نارية » - (ف) .

وذكر جيولوجى الشمس وجغرافيتها الطبيعية .

وظاهر الخبر يرشدنا نحو عدة من الكشفيات الحديثة المخالفة للمطالب القديمة :

(احدها) ان جرم الشمس مركب على طبقات - كما شرحه المتأخرون - وليست مثل مازعمه المتقدمون بسيطة جداً لايشوبها نحو تركب أصلا .

(وثانيها) ان الشمس كالأجرام الأرضية مركبة من العنصريات والماديات من نار وماء وبخار وهواء وغير ذلك كما تقرر فى الفلسفة الجديدة، خلافاً للمتقدمين البانين على بساطتها وتقدسها عن الفلسفيات وتنزهها عن العنصريات .

(وثالثها) كون الشمس بنفسها ذات حرارة ونارية وفاقاً للمتأخرين وخلافاًللقدماء وقد مر القول فى آرائهم تفصيلا .

(ورابعها) ان جرم القمر ايضاً ذو حرارة ولكنها خفيفة ، وسأشرح القول فيه فى احوال القمر .

(وخامسها) ان العمدة فى وجه حرارة الشمس ان الله تعالى ألبسها لباساً من النار يحيط على طبقاتها المودعة فيها حسب منطوق الخبر ، وبذلك قال المتأخرون ايضاً .

فنى ارواء الظماء لكرنيلكوس فانديك : ان قوة اشعاع الشموس منحصرة فى غلاف من مادة نيرة تحيط بالجرم سميت ا(فوتوسفير) وكل قوة نواة الجرم منصرفة فى ابقاء تلك الكرة على فعلها من اشعاع النور والحرارة ، فكون الجرم ذا كرة محيطة نيرة مشعة شرط لازم لاعتبار ذلك الجرم شمساً بين شموس الفضاء ، وتلك الكرة النيرة لا تتكون الا من مادة مشتعلة تؤثر فى النور المشع من النواة وهذه المسألة لايحلها الا آلة السبكترسكوب

اعنى المنظار الطيفى بحلها النور الى ألوانه الأصلية - انتهى .

قلت : فما لا يحله شيء غير السبكترسكوب كيف يمكن ان يشرحه حامل الوحى والالهام لأهل عصره ازيد مما قال ؟ وليت شعرى كيف تلفظ بهذا القدر وكيف تحمله السائل والسامعون وصدقوه حيث لا رأى يعاضده ولا اداة تساعده .

ولعمرى ان تصديقهم لأقواله والحالة تلك كاشف عن منتهى ثقة الناس بهم بسبب ما شهد الناس من اهل هـذا البيت القدسى من الصدق والصفا والامتيازات العلمية والعملية عن سائر الناس .

والأعجب من الجميع وصولهم الى دقائق هـذه الحقائق الخفية ، من دون طريق على ولا عملى وصولا لا محمل له غير جهـة الولاية والاحاطة الغيبية بجميع ما فى الكون .

وأيم الله تعالى انه ربما تعرضنا عند العثور على امثال هذه المقالات الشرعية دهشة ليست بأقل من دهشة الحاضر بين يدى صاحب الشريعـة الطاهرة الناظرة الى معاجزه الباهرة .

المقالة الرابعة

فى الكافى والبحار بالاسناد القوى الى الأصبغ بن نباتة صاحب على(ع) انـه قال : قال امير المؤمنين على (ع) فى حديث طويل : «ان الشمس لو كان وجهها لأهل الأرض لأحرقت الأرض ومن عليها من شدة حرها» .

وظاهر هذا الخبر الشريف ناطق بكون الشمس بنفسها ذات حرارة

شديدة فائقة النهاية .

* * *

فان قلت : ان الشمس جرم كروى دوار على نفسه فلا يكون له وجه احر من وجه ، ولو فرض ايضاً فانه يرينا جميع صفاحه عند الدوران ، فلا تبقى صفحة لا تواجهنا ابد الدهر .

قلت : قد ادعى القوم فى ارصادهم الجديدة - كما فى تقويم سنة ١٢٢٣ ﻫ لنجم الملك الطهرانى - ان الشمس بعض وجوهها احر من بعض ، وان صفاحها الأستوائية لو خلت عن كاف هى احر من اطرافها التى تجاوز عرض ثلاثين درجة على نسبة ١٧ مع ١٦ ، فاندفع قولك : « لا يكون له وجه احر من وجه » .

ثم انهم ادعوا أيضاً - كما فى التقويم المذكور - ان الصفحة الشمالية للشمس احر من صفحتها الجنوبية ، وقد سبقهم الاستاذ هرشل فى دعوى كون النصف من وجه الشمس احر من النصف الآخر ، فاذا كانت الصفحة الشمالية احر من الصفحة الجنوبية اندفع قولك : « ولو فرض ايضاً فانه يرينا جميع صفاحه عند الدوران » ، لأن صفاحها القطبية - شمالية كانت او جنوبية - لا تواجه ارضنا ابداً حيث ان الأرض تدور حول الصفاح الأستوائية للشمس ، وقطباها بمعزل عن مواجهة الأرض . فمن كان على الأرض - وان رأى قطبى الشمس بالفرض الا انه لا يواجه القطب فى استفادة الأشعة ، فلا تتجه اشعة قطب الشمس نحو الأرض مثل اتجاه اشعة اوساط الشمس . ويظهر حق الأمر بأدنى تأمل فى المسألة .

* * *

اذا عرفت ذلك جاز ان تراد الوجهة الشمالية من لفظ الوجه المذكور

فى الخبر : « لو كان وجهها الى الأرض لا حرقت » ، ولا شك فى ان الوجه الشمالية ليست مواجهة لأرضنا بالمعنى المتقدم ، فلو كانت مواجهة لأحرقت حيث ان الوجهة الشمالية احر وجوه الشمس بشهادة الراصدين ، فلا يبعد ان تكون تلك الوجهة من الحرارة بمثابة لو كانت أشعتها مواجهة للأرض كمواجهة الأشعة الأستوائية كانت محرقة لأرضنا ولمن عليهاو مفسدة لمزاجها

وايضاً نجيب عن الاعتراض بأن الوجه قد يكون بمعنى التوجه ، فعليه يكون قول على عليه السلام : « لو كان وجهها لأهل الأرض » بمعنى لو كان توجيهها لأهل الأرض خاصة لأحرقت الأرض ومن عليها . وهذا معنى صحيح يعترف به المتأخرون ايضاً ، فقد قال بعضهم : ان الحرارات التى تتلف من شمسنا فى اليوم الواحد لو اجتمعت فى ارضنا لكانت كافية لذوب مقدار من الجليد دفعة ، والحالة انه يغطى كل وجه الأرض وسمكه احد عشر ميلا .

وقال فانديك مـــا خلاصته : ان الحرارة التى تصل من الشمس الى خصوص الأرض فى السنة لو اعطيت اليها دفعة وقد اكتست بجليد قطره خمسون ذراعاً لذاب الجليد من حينه ـ انتهى .

فكيف اذا توجهت نحو الأرض اعواما ؟ فهلا تصهر اصلب معادنها وتجعلها مع ما فيها وما عليها بخاراً بل هباءاً فى الهواء ، كما اشعر به هـــذا الخبر ـ فتبصر .

المقالة الخامسة

فى تفسير القمى ومجمع البحرين والبحار ونور الثقلين بالاســـناد الى الامام الثامن على الرضا عليه السلام انه قال : « الشمس والقمر آيتان » الى ان قال عليه السلام « وضوؤهما من نور عرشه وحرهما من النار جهنم ، فاذا كانت القيامة عاد

الى العرش نورهما وعاد الى النار حرهما ، فلا يكون شمس ولا قمر » .

ويدل هذا الخبر على امور :

(منها) ان جرم الشمس ذو حرارية ونارية ، وهو مطلوبنا فى هذه المسألة .

(ومنها) ان القمر له ضوء من نفسه لا من الشمس ، كما سنشرحه فى الأمر الثالث من مسألة احوال القمر .

(ومنها) ان جرم القمر ايضا ذو حرارة ونارية ، وسيأتى شرحه فى آخر احوال القمر .

(ومنها) ان الفناء بانعدام الصور وتلاشى المواد لا بانعدام المادة . والى هذه النكتة تنظر بقية المقالات الشرعية فى فناء الأجسام ـ والله العلام

المقالة السادسة

فى الكافى والبحار وجملة من كتب الأخبار مسنداً عن جابر انه سمع الامام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام يقول فى حديث له : « ان للشمس ملكا ينضحها بالماء ، ولو لا ذلك لاشتعلت الأرض » .

ودلالة هذا الكلام على كون الشمس بنفسها ذات حرارة ونارية واضحة ولكن البحث يتوجه الى كشف الماء الذى ينضح به الشمس .

ولى فى هذا المقام ثلاثة اوجه :

(الأول) ان اكتشاف الأسرار العظيمة من كلمات شريعتنا القويمة يعدنا باتضاح هذه المشاكل وظهور مهام الحقائق منها فى الدور المستقبل .

(الثانى) يجوز ان ينظر ظاهر الخبر الى بث الله تعالى ذرات مائية ورطوبات رشية فى كرتنا الهوائية لتنقيص حر الأشعة الشمسية الساطعة علي

ارضنا ، سواء کانت الرطوبات من تبخیر البحار او من نفس کرة البخار ، ولولا ذلك لاحترقت الأرض واهلها - کما مر فی المقالة الرابعة .

(الثالث) احتمل ایضاً ان یکون ذلك اشارة الی الأمطار الشمسیة التی ادعوها فی دورنا الجدید ، ونقـــل عنهم الفلکی نجم الملك الطهرانی فی تقویم سنة ١٣١٦ ﻫ ما خلاصة معناه :

« ان من الحوادث الشمسیة امطارها ، وقد وجدوا فی ناحیة من الصوب الغربی للشمس فی سعة ثلاثین درجة زائدة سحابیة الشکل متشعبة قد اختلط بعض اقواسها العالیة والتی علی ناحیة ال (کرومسفر) منها کان علی شکل السهام والشعل علیه بقع سحابیة نیرة کما تری فی شکل (٩) وعلی طرفها



(ش ٩) بقع الشمس کما رؤیت فی ٢٥ یونیو الساعة ٤ والدقیقـة ١٩ سنة ١٩٠٥ م

الشمالى شبه خيوط رقيقة وخطوط دقيقة او كصيب من السماء تصوب نحو السفل ، وفى مركز القرص سحابة كثيفة طريفة الشكل نيرة يمتد منها الى السفل مثل العروق الكثير تشبه نزول الغيث ، وينزل عن يمينها الى ناحية القرص مثل شدات الخيوط النيرة كالمطر المورب فى نزوله بسبب اختلاف الريح ».

« وقد حسبوا سرعة نزوله فى كل ثانية مائة وخمسين فرسخا ، وظهر فى ذلك التاريخ حسب الاتفاق فى اروبا شفق عظيم جداً ، وشاهدوا بعد ذلك امطاراً كثيرة شمسية ورأوا بعد شهرين سحاباً كثيفاً منيراً على الشمس ومن اسفله شبه خطوط وعروق كالخيوط المنحنية » ـ انتهى .

والحكم منهم بكون ذلك مطراً فى الحقيقة حدسى ولم يبلغ بعد مبلغ الجزم به ، الا انه لو صح وثبت انطبق عليه فى الظاهر قوله (ع) : « ان للشمس ملكا ينضحها بالماء » اذ المطر الحقيقى الحامل لرطوبة وماء كاسر قطعا لسورة نيران الأشعة المنبعثة والحرارات المنبثة ، ولو كان ذلك المطر ناشئا من نفس الشمس وابخرتها التى ادعوا تصاعدها منها والغازات المتوفرة فى ذلك الجحيم .

فاتضح ولله الحمد من هذه المقالات ان النبى (ص) واوصياءه القدسيين نطقوا بهذه الآراء المستحدثة فى هذا المقام ايضا كسائر المقامات . فحققوا يااخوتى نظر الاعتبار فى كلمات هؤلاء القديسين الأخيار لعلكم تفوزون بالفوائد العظيمة انفعها لكم الايمان بالشريعة القويمة .

المبحث الثاني

(فى قطر الشمس وكمية جسامتها)

قد اختلف الأقدمون فى قطر الشمس وكمية جسامتها. فزعم (هير قلس) الفيلسوف ان جرم الشمس لا يزيد عما نشاهده بالأبصار، وزعم (انكسفوراس) ان جرمها اكبر من بلاد المورة.

كذا فى هامش مشهد الكائنات ص ٨٣ ، وفيه ايضاً ان (طاليس) الفيلسوف زعم ان جرم الشمس مضىء بنفسه وقدره مثل جرم القمر مائة وعشرين مرة - انتهى.

والمعلوم باليقين لدى كل عاقل مرتبط بالعلوم الفلكية هو ان الشمس اكبر جرماً من ارضنا بكثير.

واما تحديد ذلك الكثير تحقيقاً فلا يستريح من شكوك ونقوض كتحديد سائر الأجرام السماوية ، ولكن المعروف من مذهب بطلميوس واتباعه ان جرم الشمس اكبر من جرم الأرض بمائة وستين مرة . وذهب الفيلسوف غياث الدين الكاشانى الى ان الشمس اكبر من ارضنا بثلاثمائة مرة.

والأرض تحديدها موضع وفاق بين المحققين ، ولم يذكر احد قط معشار العشر مما ذهب اليه المتأخرون عن الألف الهجرى ، لاتفاقهم ظاهراً على ان شمسنا هذه اكبر من أرضنا بأكثر من ألف ألف مرة ، حتى ان بعضهم

دقق النظر فقال: انها اكبر من ارضنا ١٤٠٤٠٩٠ مرة، فأين الثريا واين الثرى، والتفاوت بين هذا الرأى ورأى بطلميوس كالتفاوت بين رأيه ورأى هيرقلس

* * *

وأما الديانة الاسلامية فقد ظهرت فى عصر ومصر مظلمين لايحس ابناؤهما بنور علم ولا بكشف حقيقة ولم يروا بل ولم يشعروا بآلة فلكية، ومع ذلك اعلنت هذه الديانة المقدسة رأياً فى قدر جرم الشمس يوافق رأى المتأخرين أشد الموافقة، فان علياً وصى نبينا الأمى ﷺ عندما سأله الشامى عن طول الشمس وعرضها قال ؑ: «تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ».

وهذا الخبر الشريف رواه جمع من أعاظم المحدثين كالشيخ الصدوق فى العلل والعيون والعلامة المجلسى فى البحار والسيد الداماد فى بعض كتبه.

وفى تاريخ علم الفلك للسنيور الطليانى: حكى المطهر بن الطاهر المقدسى من علماء القرن الرابع فى كتاب البدء والتاريخ وارويه بحروفه قال: روى أبو حذيفة عن عطائه قال: بلغنى انه قال: الشمس والقمر طولهما وعرضهما تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ. قال الضحاك: فحسبناه فوجدناه تسعة آلاف فرسخ والشمس أعظم من القمر - انتهى.

أقول: فى آخر مقاله شاهد على ماسأقوله من ان هذا التحديد ينطبق على الشمس بكيفية وعلى القمر بكيفية اخرى حتى يصح قوله أخيراً: «والشمس أعظم من القمر».

وقال السنيور فى هامشه مالفظه: «مافهم معنى قول الضحاك هذا، لأن محصول ضرب تسعمائة فى مثلها هى ٨١٠٠٠٠ فالواضح انه ليس له علاقة بما يسبقه».

ثم لايخفى ان الكرة لايفترق طولها عن عرضها لتساوى أبعادها الثلاث

فيكون الطول كالعرض كناية عن القطر ، ويقع الخبر العلوى موقع ان يقال : محيط الشمس تسعمائة فى تسعمائة ، كما هو متضح .

وهذا الكلام يدل بدلالته المطابقية على مقدار محيط الشمس - اعنى نتيجة ضرب تسعمائة فى تسعمائة .

ويدل أيضاً بدلالته الالتزامية على ان كرة الشمس مستديرة تامة على خلاف السيارات التى فى جانبي قطبيها شبه تسطيح ، وانما يستفاد هذا المعنى من الخبر من جهة انه لم يفرق بين الطول وبين العرض فى كرة الشمس أبداً ، بل ذكر قدراً واحداً لطول الشمس ولعرضها .

وهذان الأمران اللذان افادهما ظاهر هذا الخبر يوافقان الآراء الجديدة أى موافقة :

(أما الثانى) فقد قال فانديك فى النقش فى الحجر فى ذكر الشمس : وهى كرة تامة لادليل على تسطيحها من ناحية قطبيها - انتهى (١) .

(وأما الأول) أى كون محيط كرة الشمس تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ

---

(١) لكن جاء فى المقتطف ج٣٩ ص٦١٣ : انه ظهر من رصد الشمس وتصويرها مدة السنوات الخمس الماضية من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٠٩م ان قرصها غير مستدير استدارة تامة ، أى انها ليست كرة متساوية الأقطار ، بل ان قطرها القطبي اطول من قطرها الاستوائى ، والفرق بينهما يتغير من سنة الى اخرى . . . الى ان قال : ويظهر من ذلك ان القطر القطبي كان دائماً أطول من القطر الاستوائى وان زيادته عليه تزايدت رويداً رويداً الى ان بلغت ٣١ بالمائة من الثانية ثم نقصت رويداً رويداً وقد بلغ الفرق سنة ١٩١٠ خمسة فى المائة من الثانية ، فمن المحتمل ان شكل جرم الشمس يتغير ، وان لتغيره هذا علاقة بظهور الكلف .

فقد قال فانديك وغيره ان محيطها ٥٠٠ ٧٨٤ ٢ بالأميال الانجليزية وذلك ٤٧٠ ٩٢٨ أى تسعمائة ألف فرسخ وثمانية وعشرون ألف فرسخ واربعمائة وسبعين فرسخاً تقريباً بالفراسخ الانجليزية .

وهذا التطبيق ينطبق عليه الخبر المتقدم انطباقاً واضحاً ، فان الامام عليه السلام قدر محيط الشمس بنتيجة ضرب تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ ، أى ٨١٠ ٠٠٠ أى ثمانمائة ألف فرسخ وعشرة آلاف فرسخ ، فينقص عن تحديد القوم بمائة ألف فرسخ وشىء ، من جهة ان الفرسخ الواقع فى كلام على عليه السلام هو الفرسخ الاسلامى وهو أكثر من الفرسخ الانجليزى بكثير ، بحيث لو حسبنا زيادته على الانجليزى بدقة وأضفناها على ٨١٠ ٠٠٠ لكان عين تحديد فانديك أو قريباً منه ، ولو حصل تفاوت جزئى جاز التسامح فيه من الامام عليه السلام أومن القوم فان هذه التحديدات منهم تقريبية غير تحقيقية .

ولعمرك ان تحديد جسامة الشمس لو صح فى نفس الأمر - كما يدعيه المعاصرون - لم يبق للمنصف عذر فى ترك الايمان بهذا الوصى المخبر بهذا التحديد قبل اليوم بأكثر من ألف سنة ، حيث لم يكن فى العالم طريق حسى ولا حدسى يتوصل به الى هذه الحقيقة غير الانتساب الى الوحى وارتباط نفسه القدسية بالمبادىء العلوية الذى لا يتفق الا لخاصة أولياء الله تعالى .

ولو كنت فى ريب من الكتب الحافظة لهذه الآثار فعليك لازالة ريبك بمراجعة مانشرته فى المقدمة الأولى من صدر هذا الكتاب مع تدقيق النظر فيه

* * *

فان قلت : قد سأل السائل فى هذا الخبر عن طول الشمس والقمر وعرضهما معاً فى سؤال واحد ، واجاب الوصى عليه السلام عن التحديد معاً بقوله : « تسعمائة فى تسعمائة » ، ويتبادر من ذلك مساوات الشمس والقمر فى الطول والعرض

ولو ازمهما ومن البديهى ان الشمس أعظم من القمر فكيف يستقيم التحديد فيهما بضرب واحد ؟ .

قلت : مضافاً إلى ان بعض النسخ لم تذكر الا الشمس فقط مع ذلك يستقيم التحديد فيهما بالضرب الواحد على المبانى المستحدثة مع ذكر القمر ايضاً .

وبيان ذلك : ان الطول والعرض فى الكرة ـ كما مر ـ كناية عن المحيط فكأنه (ع) قال : محيط الشمس والقمر تسعمائة فى تسعمائة .

ولا يخفى ان لفظ (المحيط) ومعناه يعمان السطح المحيط بالكرة والدائرة المحيطة بها ، فاذا كان المحيط معنى عاماً جامعاً لفرديه جاز ان يطلق الامام لفظ المحيط ويريد معناه العام ـ اعنى ما يحيط بالجسم ـ سواء كان سطحاً محيطا بها او خطاً محيطاً بها كالدائرة ، فيصح قوله (ع) : « محيط الشمس والقمر تسعمائة فى تسعمائة » بناءاً على كون المحيط فى الشمس بمعنى الدائرة المحيطة بها ، وفى القمر بمعنى السطح المحيط به . فيطابق تحديدات القوم .

اما كون محيط الشمس بمعنى الدائرة المحيطة بها فقد تبين انه تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ . واما كون محيط القمر بمعنى السطح المحيط به فيقرب ايضاً من ذلك ، حيث ان قطر القمر عندهم يقرب من ألفى ميل ، فتكون الدائرة المحيطة به ستة آلاف ميل ـ على قانون نسبة القطر إلى المحيط وانها كنسبة السبعة إلى اثنين وعشرين .

واذا كانت المساحة على كل كرة هى مضروب ربع القطر فى الدائرة المحيطة بها يكون سطح القمر ٣٠٠٠٠٠٠ ميلا ، أى ألف ألف فرسخاً انجليزياً وشيئا ، فينقص عنه مضروب تسعمائة فرسخ فى تسعمائة فرسخ اعني ٨١٠٠٠٠ بثلاثمائة ألف فرسخ ، وبعد تتميم نقص الفراسخ

الانجليزية حتى تطابق الفراسخ الاسلامية يتقارب العددان ويتطبق تحديد الوصى (ع) لسطح القمر على تحديد القوم بلا تفاوت كثير ، فحقق النظر حيث ان المقام دقيق .

* * *

ثم اعلم ان هذا كله لا يعارض ما روى فى البحار ومجمع البحرين وتفسير القمى ونور الثقلين ونسخة الفقيه ابى الليث السمر قندى وغيرها مسنداً إلى على امير المؤمنين (ع) انه حينما سألوه عن طول القمر وعرضه قال (ع) : « اربعون فرسخا فى اربعين فرسخ » .

وبيان عدم المعارضة : ان الطول والعرض فى الكرة لما كانا كنايتين عن المحيط وكان المحيط عاما للسطح المحيط وللدائرة المحيطة اخذنا محيط القمر فى كلامه الأول بمعنى السطح المحيط فيكون تسعمائة فى تسعمائة ، واخذنا محيط القمر فى كلامه الثانى بمعنى الدائرة المحيطة فيكون اربعين . فيكون التحديدان معا مطابقين لتحديدات القوم .

اما التحديد الأول فقد مر تطبيقه ، واما التحديد الثانى فلأن نتيجة ضرب الأربعين فى الأربعين ألف وستمائة فرسخ اسلامى ، والدائرة المحيطة بالقمر عندهم تقرب من ألفى فرسخ انجليزى ، وبعد اعتبار فضل الفرسخ الاسلامى على الفرسخ الانجليزى يتطابق العددان أو يتقاربان .

المبحث الثالث

(فى وزن جرم الشمس)

قد فصلنا سابقا اختلاف الحكماء المتقدمين والمتأخرين فى جواز ثبوت

الوزن لكرات الأفلاك وما فيها وعدم جوازه ، وشرحنا ادلة القوم على امتناع ثبوت الوزن لكرات العناصر وكرات الأفلاك والأجرام السماوية المركوزة فيها شرحا كافيا فى الطائفة العاشرة من اخبار مسألة حقيقة السماوات فراجع البتة اذ لا نعيد كلامنا حذر التطويل مع وجوب الاطلاع عليه وتوقف اتضاح هذا المبحث على المراجعة والتدقيق فيه .

ونتيجة ذلك الكلام ان القدماء متفقون ظاهراً على ان الوزن مطلقا - خفة كان او ثقلا - منفى عن الفلكيات ، فلا يعقل كون الفلك أو الشمس او القمر أو النجوم خفيفا أو ثقيلا أو حاراً أو بارداً - كما سبق .

وايضا الوزن مطلقا منفى عن كرات العناصر ، فلا يعقل كون كرة الأرض أو كرة الماء أو كرة الهواء أو كرة النار خفيفة أو ثقيلة . نعم اجزاء هذه الكرات الأربع تقبل الخفة والثقل بالنسبة إلى ميلها نحو مركزها ، واما اصل الكرة ومجموع اجزائها فلا ميل فيه فلاوزن له كما شرحناه .

واما الحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى فقد اذعنوا بما استكشفه الفيلسوف (كبلر) ركن الهيئة الجديدة الألمانى فى القرن السابع عشر المسيحى ، فيعتقدون حصول الخفة والثقل بشدة الانجذاب وضعفه ، فما قوى انجذابه لجسم ثقل وما ضعف خف ، فالحجر اكثف من الماء واشبه بالأرض من حيث الأجزاء فيكون جذب الأرض للحجر اقوى وانجذابه اليه اشد فيكون الحجر اثقل من الماء ، والماء اشبه بالأرض من الهواء واكثف فيكون جذب الأرض للماء اقوى واشد ، فيصير الماء بذلك اقوى من الهواء ، وهكذا يثقل كل جسم بشدة انجذابه لجسم آخر ويخف بضعف انجذابه ، فمنشأ الثقل قوة الانجذاب ومنشأ الخفة ضعفه .

واما منشأ الانجذاب بنفسه فقد يكون كبر الجسم الجاذب حجماويكون

تارة كثافة أو قوة فى جوهره أو غير ذلك .

وعلى هذا المبنى يثبتون لكرة الهواء ثقلا ولكرة الماء ثقلا ولكرة الأرض ثقلا ولكل من الثوابت والأقمار والشمس والنجوم ثقلا ووزنا ، كما مر وزن الكرة البخارية فى مسألة حقيقة السماوات .

وفى تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ هـ : ان الهواء المحيط بالأرض زنته جزء من مليون جزء من الأرض .

واما زنة الشمس ففى التقويم المذكور لسنة ١٣٢٠ : ان جوهر الشمس تعادل جوهر الأرض ٣٢٥٠٠٠ مرة ، وإذا فرضنا كرة فحم حجرى يساوى حجمها حجم الشمس كانت اقل ثقلا من الشمس بقليل، ولو قدرنا وزنها بالخروار الفارسى لكانت الشمس (٦٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) خرواراً .

وفى مجلة الهلال المصرية المجلد الرابع عشر ص ٤٧٨ : ان وزن الشمس ٣٥٤٩٣٦ اضعاف وزن الأرض .

ولهم فى تعيين هذه الدقائق واشتكشاف هذه الحقائق مبانى وموازين لا يبعد صدقها وصحتها .

* * *

واما ظواهر الشريعة الاسلامية فتوافق رأى الحكماء المتأخرين ، وتثبت لكل جسم وزنا ومقداراً يختص به حتى الأرض والسماء والنجوم والهواء والشمس والقمر ، بل تثبت الوزن لأشياء لم تصل اليها افكار الغربيين بعد مثل النور والضوء والظلمة وغيرها مما نخاله عدما محضا لا يقبل الوزن اصلا ، فلا تستبعد استكشاف كونها اموراً وجودية طبقا لبعض ظواهر الشريعة ، فان هذه الشريعة قد أرتنا غرائب لا تصل اليها غرائب الطبيعة .

كان العلماء من الأواخر والقدماء يتلون فى القرآن قوله تعالى : ﴿ هو الذى خلق الموت والحياة ﴾ (١) ولا يبرح خاطرهم ان الموت امر عدمى كيف يتعلق به خلق الله تعالى ؟ حتى اخذت الآراء الجديدة تميل الى انه صفة وجودية كالحياة ، واعتضدوا بأدلة وكشفيات متينة .

ولنذكر مانحفظه عن الامام الرابع على بن الحسين السبط عليه السلام ، فانه قال فى مناجاته وتسبيحه لله تعالى : « سبحانك تعلم وزن السماوات ، سبحانك تعلم وزن الأرضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء ، سبحانك تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة » .

وقد ذكرنا الكتب المنقولة منها هذا الدعاء والتسبيح فى آخر مسألة حقيقة السماوات .

المبحث الرابع

(فى دوام كرة الشمس أو زوالها وفنائها)

قد اختلف الحكماء العظام فى هذا المقام حديثاً وقديماً :

أما المتقدمون فالمعروف من مذهبهم هو ان الأفلاك مع ماحوته من الأجرام وغيرها باقية سرمدية فعالة أبدية ومتحركة دواماً لايكاد يعتريها فتور ولا اختلال ولا يقرب من حماها الفساد فضلا عن الزوال ، وأقوالهم فى هذا الباب لايؤدى نقلها غير الاطناب ، وقد ذكرنا فى غرة مسألة الفلك قول

---

(١) سورة تبارك آية ٢ .

الشيخ الرئيس ابن سينا : « ان الفلك مطلقاً لايقبل خرقاً والتئاماً ولا كوناً ولا فساداً ولا زوالا عن حـــيزه أبداً ولا تغييراً فى صفته ، وكذلك الأجرام المركوزة فيه كالشمس والقمر والنجوم أجسام كروية من جنس جوهر الفلك الذى لايتكون ولا يفسد » .

وقال أيضاً فى الفصل الرابع من كتاب الشفا : « واتفقوا (يعنى الحكماء) على انه ليس عنصر الفلك عنصراً للأجسام الكائنة الفاسدة » .

وقد اتبع الفلاسفة الأقدمين كثير من حـكماء المسلمين كالشيخ الرئيس وغيره ، ولم يزل الجدال على ساق بين هؤلاء وبين علماء الدين من المسلمين ، والنزاع على قدم الى هذا العصر المبارك الذى اعتنق فيه الدين مع العلم الصحيح وجعلا يمشيان كتفاً بكتف على مايراه أرباب العلم الصحيح والدين الخالص الاسلامى .

* * *

وأما الحكماء الغربيون المتأخرون عن الألف الهجرى فمن بعد مارفضوا التقليد فى الفلسفة واجتهدوا فى استكشاف الحقائق الكونية بالأدوات الدقيقة والبراهين الرصينة ذهبوا الى ان الأجرام الكونية بأسرها شمساً كانت أو قمراً نجمة كانت أو أرضاً أو غيرها فهى حادثة بالذات والزمان كائنة وفاسدة ، أى كان زمان لم يكن فيه شمسنا ولا قمرنا ولا أرضنا ولا الأنجم السيارة بل ولا الكواكب الثابتة ، ثم كانت وحدثت بعد ان لم تكن قبل اليوم بملايين ملايين من السنين ، وسيأتى عليها زمان الفناء ، فلا تكون شمسنا ولا اقمارها ولا أنجمها بعد ان كانت ـ فراجع رأيهم فى باب السدامات ومبدأ الخلقة ـ فهم وان اختلفوا فى كيفية مبدأ الخلقة على أوجه كثيرة لكنهم لم يختلفوا فى أصل حدوث هذه الأجرام وتكونها بعد العدم ، ولا فى أصل زوالها وفنائها بعد الكون

خلافاً للمتقدمين .

جاء فى المقتطف سنة ١٩٠٥ م ص ٧٠٥ فى خلاصة أفكار الفلاسفة فى القرن التاسع عشر : « أما الشمس فجسم من غاز حام ، وسبب حرارتها تقلصها بفعل الجاذبية ، وهى تشع الحرارة على مقدار معلوم محدود ، ولما كان حجمها ومقدار مادتها معروفين فقد قدروا ان حرارتها تنفذ بعد عشرة ملايين سنة ، فتظلم حينئذ كأنها لم تكن مشرقة وتبرد كأنها لم تكن اتون نار آكلة ، مالم يطرأ عليها طارىء يجدد حرارتها ويبعث فيها قوة شبابها الماضى ويزيد حجمها فتعيد تاريخها الأول » .

ثم ذكر اصطدام الكواكب وقال : « ولا يبعد ان ينال النظام الشمسى مثل ذلك ، ولكن مما يحمل على الاطمئنان وسكون البال انه لو قدر اصطدامنا بأقرب جار لنظامنا وبقيت سرعتنا على ماهى عليه الآن - اعنى ١٢ ميلا فى الثانية - لاقتضى لنا خمسون ألف سنة قبل الوصول اليه » .

وفيه ص ٣١٢ سنة ٨٩٠ : « ان الشمس قد بلغت درجة من البرد زال فيها اكثر الهيدروجين من جوها وبقى فيها الكلسيوم والألومنيوم والحديد المنغنيس والنيكل ، وسيأتى وقت يزيد الكربون فى جوها ويمتص نورها وحرها فتظلم وتبرد كالأرض » .

وقد استخرج هؤلاء المتأخرون من آثار الأرض ورسوم أطباقها اكثر احوالها الماضية والآتية ، وأوان خلقها وانعقادها وزمان كونها وفسادها وانقباضها وتقلصها وانبساطها وتملصها ، وكشفوا عن حال كل قطعة من أرضنا وبقعة متى كانت معمورة ، وعينوا اعمار الجبال وما اعتراها من الأحوال ، وشرحوا النبات مم كان ومتى استبان ومتى تكون الحيوان ومتى تولد الانسان ، واليك علوم الجيولوجيا والبيولوجيا وغيرهما (١) .

---

(١) وقد أثبتوا أن جوف الأرض مائع ملتهب كما ورد فى أحاديث كثيرة -

واستعملوا من موازين الحرارة والنور وتفاوت حر الشمس ونورها بحسب الدهور بل بحسب الأعوام والشهور واحوال الشمس وعصر خمود نارها ونفوذ نورها وغير ذلك مما سبق ويأتى .

فالحدس وان كان له الدخل الكامل فى استخراج هذه المسائل ولكن الحدس ـ كما لا يخفى عليك ـ لا يقصر عن الوجدان اذا اقترن بالشواهد الظاهرة والمقربات الوافرة .

* * *

واما الشريعة الاسلامية فقد طبق الآفاق نداؤها وتصريحها بحدوث العالم ووجود جميع اجزائه بعد العدم وفاقاً للمتأخرين وان الشمس والقمر لا يبقى نورهما ولا حرهما ولا شكلهما بل ولا حقيقتهما ، وكذلك الأرض والنجوم تنفش وتنفطر وتنسف وتنفجر وتنطمس وتنكدر وتنكشط وتنتثر ويعتريها الزوال والانتقال والفساد والاضمحلال ـ كما كانت اول مرة معدومة باطلة فاسدة متلاشية .

قال الله تعالى عند بيان اهوال يوم القيامة : ﴿ اذا الشمس كورت ﴾ اى ذهب نورها وحرها ﴿ واذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال سيرت . واذا العشار عطلت . وإذا الوحوش حشرت . وإذا البحار سجرت ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت واخرت ﴾ (٢)

ـ عن النبي ﷺ انه قال : « ان اسفل الأرضين السبع سجين ، ويعذب فيها أرواح المنافقين » .

(١) سورة التكوير آية ١ ـ ٦ .

(٢) سورة الانفطار آية ١ ـ ٥ .

وقال تعالى : ﴿ وإذا الأرض مدت . وألقت ما فيها وتخلت ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يوم تمور السماء مورا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وإذا السماء انشقت . واذنت لربها وحقت ﴾ (٨) .

وهكذا غيرها من الآيات البينات من لدن حكيم عليم .

اما الأخبار المنقولة عن النبي واوصيائه الأطهار - عليهم السلام - فتواترة فى ان العالم بجميع اجزائه من شمس وقمر ونجم وحجر حادث بعد العدم واجنبي عن مقام القدم ومنعدم بعد الايجاد وفاسد بعد الكون كما كان بعد الفساد ، وان الله تعالى قد كان إذلم يكن شيء ويكون كما كان حين لا كون لشيء .

---

(١) سورة الانشقاق آية ٣ - ٤ .

(٢) سورة القارعة آية ٥ .

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٤ .

(٤) سورة الطور آية ٩ .

(٥) سور القمر آية ١ .

(٦) سورة الحاقة آية ١٦ .

(٧) سورة المعارج آية ٨ .

(٨) سورة الانشقاق آية ١ - ٢

وكم نادت اخبار مبدأ الخلقة ان الله تعالى فعل كذا حين لا شمس مضيئة ولا قمر منير ولا سماء ولا ارض ولا كذا ولا كذا ، وكم قرع الأسماع ما ورد فى شرح القيامة ويوم المعاد والميعاد . ومن شاء التفصيل فليراجع كتاب البحار والكافى ونهج البلاغة وغيرها .

ولا تزعم اختصاص هـــذه الأحوال والأهوال بالأرض والسماء والأنجم والنيرين ، بل تعرض للكواكب الثابتة والأنجم السائرة والكرات بأسرها لعموم قوله تعالى : ﴿ وإذا النجوم انكدرت . وإذا الكواكب انتثرت ﴾ وهكذا بقية الآيات التى مر ذكرها .

وهذه الأحكام من شريعتنا المقدسة موافقة لتصريحات الفلكيين فى هذا الدور الجديد :

قال فانديك المحقق الأمريكى فى باب السدام من كتاب النقش فى الحجر كغيره : وكل جرم مضىء لابد من نفود حرارته ونوره على مرور الزمان ان كان نار فحمة أو شمساً أو نجماً فى قبة السماء .

وقال ايضاً فى ارواء الظماء : وإذا قل نور نجم بحيث تظهر فى طيفه اشعة منفصلة (اى انفصل بين ألوانه بفسحات مظلمة قيل ان طيفه متقطع) فلا يعداذ ذاك شمساً ، وربمـــا كان اقرب الى كونه سديما ، والنجوم على درجات متفاوتة من هذا القبيل ، اعنى ان بعضها على اشد قوتها ونورهـــا وحرارتها وبعضها اخذ فى التبرد وبعضها صار فى حالة الهرم والشيخوخة .

ثم قال بعد ذكر ما هو من القسم الأول كالشعرى اليمانيـــة : القسم الثانى الذى نجومه تشبه شمسنا التى قـــد جاوزت عز عمرها واخذت نحو الانحطاط والشيخوخة والهرم مثل العيوق والدب الأكبر . الى ان قال : والبعض كالشعرى الشامية ونسر الطائر ونجم القطب متوسطة بين القسمين ـ انتهى

وقد لاح من هذا الكلام ان شمسنا هذه قد انقرض عصر شبابها واقترب زوالها ونهوض قيامتها واختلال نظامها كما قال الله تعالى: ﴿ واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾ (١).

المبحث الخامس

(فى وحدة الشمس وتعددها)

يقول مؤلف هذا الكتاب هبة الدين الحسينى الشهرستانى: لم يختلف من المتقدمين فاضلان بل ولا جاهلان فى ان الشمس واحدة متفردة فى عالم الوجود، حتى اذا شاؤا التمثيل بأمر كلى ينحصر بفرده فى الوجود ذكروا الشمس مثالا له، فان كليها - اعنى الكوكب المضىء الذى ينسخ طلوعه وجود الليل - منحصر المصداق لدى خارج الأذهان فى شمسنا هذه، ولم نعهد احداً جوز وجود شمس اخرى غير هذه الشمس، فان الطريق الى ادراكه اما الحس او العقل:

(اما الحس) فكليل غير قابل، اذ البصر لا يبصر غير الأنجم والكواكب من غير تفرقة بين ما هو نوره من ذاته وما يكتسب الضوء من غيره، ولا يحس ايضا بكرات تدور حول الكواكب والنجوم ولا بعوالم ونظامات غير نظامنا وعالمنا، فادراك عالم آخر او شمس اخرى امر تقوم به العقول وتعجز عنه الأبصار المجردة والحواس العارية.

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٧.

(وأما العقل) فلم يكن عندهم مقتضياً لوجود شمس أخرى اوعالم آخر بل كان مانعاً عن اعتقاده عالم آخر بنظام آخر في دائرة الوجود الخارجي ، فكان العالم لديهم أيضاً كلياً منحصراً بفرده المشهود - اعنى الكرة الواحدة - مركزها مقعر الأرض ومحيطها محدب فلك الأفلاك .

غاية الأمر ان هذه الكرة الواحدة كانت تنقسم لديهم الى ثلاث عشر كرة منضدة شبيهة بطبقات البصل ، تسعة منها أفلاك وأربعة منها كرات العناصر الأربع وكل كرة من المجموع يحيط بالسفلى من كل جهة كما مضى في الشكل الأول في الصفحة ٤٣ ، كما انه مر هذا الكلام في صدر المقدمة السادسة من صدر الكتاب وسيأتي أيضاً .

وكانوا يعتقدون دخول الثوابت بأجمعها في عالمنا وفي نظام شمسنا وانها بتمامها دائرة حول أرضنا في كل أربعة وعشرين ساعة مرة ، كما يدور قمرنا حول الأرض في كل شهر مرة .

وكانوا يعتقدون احاطة الفلك الأطلسي بفلك الثوابت وانه المدير للجميع في اليوم دورة يحصل منها الليل والنهار . وان ثخن الفلك الاطلسي مستوعب لتمام عالم الوجود ، وما كانوا يقنعون بالسكوت عما بعد الاطلسي والتترس بكلمة (لاندرى) بل كانوا يمنعون وجود عالم غير عالمنا ، كما صرحوا بذلك في مباحث المعاد من كتب الحكمة .

والخلاصة انهم ماجوزوا وجود عالم آخر حتى يجوزوا فيه وجود شمس غير شمسنا أو قمر غير قمرنا أو بشر غيرنا ، حتى انهم كانوا يعتقدون استضاءة الثوابت والسيارات بأسرها من نور شمسنا هذه والافهي مظلمة بذواتها وشمسنا المفيضة عليها انوارها .

نعم ظن الشيخ الرئيس ابن سينا ان الكواكب الثابتة منيرة بأنفسها

ولكن لابعنوان كونها شموساً ، فان مجرد كونها منيرة بذاتها لايثبت لها فى العرف والاصطلاح عنوان الشمسية بل يتوقف ذلك على كونها عظيمة الجسم ذات نظام خاص وعالم مخصوص وسيارات وأقمار كما فى عالم شمسنا .

والشيخ الرئيس كان ممن يعتقد رسوخ الثوابت فى ثخن فلك البروج وان ليس لاحدها نظام أو عالم ، بل هى بأسرها تابعة وخاضعة لعالم أرضنا وشمسنا فهو أيضاً كان ممن يجزم بوحدة الشمس وانفرادها فى عالم الوجود ، غاية الامر انه ظن اضاءة الثوابت بأنفسها كما كان يعتقد ذلك فى الشهب أيضاً .

بل كان ظن الشيخ وكثير ممن تلاه ان السيارات أيضاً منيرة بأنفسها غير مستفيدة من الشمس كالقمر ، ومجرد ذلك لايثبت عنوان الشمسية لها والا كان ماسوى الارض والقمر من الاجرام كلها شموساً لديه ، حتى السيارات والشهب ولا ريب فى بطلانه .

والحاصل ان المتقدمين مطلقاً لم يذهب منهم ذاهب الى تعدد الشمس ولا الى جواز كثرتها الى هذه العصور الاخيرة التى تكاملت فيه الهيئة المستحدثة واستكشف علماؤها كثرة الشموس من طرق قويمة حادثة من أدوات حل النور والنظارات ونحوها ، بل اكتشفوا درجات أنوار الثوابت ومافيها من الاجزاء المنيرة والعناصر المثيرة للنور وقاسوا أبعادها ومقادير كراتها .

فأنتجت آراؤهم ان الكواكب الثابتة هى بأسرها شموس منيرة بذاتها حامية بنفسها سابحة فى أعماق الفضاء الواسع سبحاً ولا نحده من كثرة البعد الشاسع وليس شىء منها منوطاً بعالمنا ولا مربوطاً بنظام شمسنا ، ولكل واحد منها نظام خاص وعالم مخصوص مؤلف من أراض سيارة وأقمار دوارة ، وهى فى مركز نظامها كشمسنا فى عالمنا ، ولازالت هذه الآراء فى نمو وانتشار حتى أصبح اليوم تعدد الشموس كالشمس فى وسط النهار .

واما الشريعة الاسلامية فقد سبقت المتأخرين طراً فى اظهار هــذا الرأى الجليل بأ كثر من ألف سنة ، فأظهرت فى موارد عديدة تعدد الشموس والأقمار فى عالم الوجود بالتلويح تارة وبالتصريح اخرى ، كما سيتلى عليك .

ولكن هذا السبق من امناء الدين الحنيف إذكان حاصلا بأقوال مجردة عن البراهين والأدلة الحسية المشاهدة ، وكانت براهين ادلة المسائل والفنون والمبانى المسلمة فى تلك القرون مخالفة لظواهر اقواله الحقة لاجرم اخذالعلماء والحكماء من مسلمى تلك العصور يؤلون مقالات الشريعة ، ويظهرون للناس ان المقصود من هذه الظواهر والأقوال معان خفية غير المعنى الحقيقية ، فصرفوا بتأويلاتهم البعيدة وجه الكلام عن مرامه ومرماه وبدلوا حقائقه تبديلا ، ونشكر الله تعالى إذ أظهر الحقائق ونشر العلوم الصحيحة فى عصرنا هـذافأمكننا استفادة المعانى الحقيقية من ظواهر مقالات شريعتنا القدسية :

(منها) ما رواه الشيخ الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ فى كتاب بصائر الدرجات والمفيد فى منتخب البصائر وفى روضة الوافى وفى المجلد السابع والرابع عشر من كتاب البحار للمجلسى المتوفى سنة ١١١١ ه بسند قوى إلى الامام السادس ابى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « أن من وراء عين شمسكم هذه اربعين عين شمس فيها خلق كثير ، وان من وراء عين قمركم هذا اربعين قمراً فيها خلق كثير لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم ام لم يخلقه » (١) .

(١) وروى فى بصائر الدرجات ايضاً بسنده عن الامام الباقر (ع) انه قال : « ان من وراء شمسكم هـذه اربعين عين شمس ما بين شمس إلى شمس اربعون عاماً فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ام لم يخلقه ، وان من وراء قمركم هذا أربعين قمراً ما بين قمر الى قمر مسيرة اربعين يوماًفيهاخلق ـ

وهـذا الخبر الشريف كما تراه صريح فى وجود شموس حسية خارج عالمنا ومن وراء نظام شمسنا كما يراه المتأخرون . ولا ينقضى عجبى من علمائنا المتقدمين اذ كانوا يؤلون هذه الشموس الى معان وهمية فى عالم الخيال .

مع ان الوصى (ع) قد اكد كلامه بما لا ينبغى معه التأويل من اشارته إلى الجرم المحسوس واضافته إلى المخاطبين وتكرير لفظ عين فقال : « من وراء عين شمسكم هذه » فكيف يسوغ التأويل ؟

نعم نعذر القدماء بأن ما ذهبوا اليه كان مبلغ علمهم فى تلك الأعصار فما يصنع من لم يشم نفحة من الآراء الحديثة ولم يحوز كثيراً من مبانى الفلسفة الجديدة .

ولو تركوا شرح هذه الأخبار وفرضوا إظهـار اسرارها المظيمة إلى اواخر العصور لـكان ذلك احوط لأمرهم وأولى .

وقوله ﷺ : « اربعين عين شمس » احتمل فى هذا التعداد وجوهـا من القول :

(احدها) أن لفظة الأربعة والأربعين والسبعة والسبعين والمائة وخمسمائة والألف ونحوها من الأعداد الشائعة كثيراً ما تأتى بها العرب لبيان الـكثرة فقط والمبالغة فى التعدد لا لتعيين المعدود وتشخيص كميته ، فـلا ينافى تجاوز الشموس حد الألوف فى الواقع ، مع توصيفها بالأربعين ونحوه فى هذا الخبر .

(وثانيها) وجود المانع عند الخطاب من الترقى فى العدد مثل كون المخاطب فاقد التحمل والطاقة لاستماع اكثر من ذلك ، ولذلك قد ورد فى

ـ كثير لا يدرون أن الله تعالى خلق آدم ام لم يخلقه » .

اقول : التعبير عن فاصلة ما بين الشمس بالعام اشارة إلى اكثرية بعدها .

مورد آخر عدد الشموس اثنى عشر شمسا ، وورد من دون تشخيص العدد في مورد ثالث . ونفصل هذا الوجه في مسألة تعدد العوالم .

(وثالثها) ان الشموس عند بعض المتأخرين في مبدأ حالها مثل كتلة عظيمة وغازات حامية مجتمعة ، ثم يحدث فيها مبدأ انقباض وتقلص بسبب التبرد ومبدأ انبساط وتمدد بسبب الاشعاع ، فيحدث فيها من هذين المبدأين دوار على نفسها ، ويشتد بمضي دهور عليه حتى تصير الكتلة بالدوران الوضعي كرة ، ثم يحدث عليها من تبردها بمرور الدهور قشرة ثم تتصلب بمرور ملايين من السنين ، ثم تنفصل القشرة بمر الدهور الطوال ويتكون المنفصل كرة حامية تحوم حول امها في الدوار ويطرأ عليها ما طرأ على امها بكرور الأعصار ، وهكذا يمر عليها دهور لا يحصيها غير الرب جل وعلا الى ان تصلح ظهور الكرات المنفصلة للتعيش والحياة وتكون الجماد والنبات فتكون الكتلة السدامية الأولى عند ذلك شمسا ذات نظام وعالم وحيوان وكيان .

وعلى هذه الآراء يصح ان تكون الثوابت مع كثرتها لا يتصف شيء منها بصفة كونه شمسا ذات عالم ونظام وخلق واناس غير جملة معدودة تبلغ الأربعين مثلا .

في الشمس والقمر كائنات حية

واما قوله ﷺ : « ان في الشمس والقمر خلق كثير » فظاهره يخالف ما اشتهر عند اواخر المتأخرين من ان الشمس والقمر يفقدان لوازم العيش

من وجود الهواء واعتدال الحر والمياه القابلة ونحوها ، فكيف يوجد الحي فيهما ويبقى ؟

الا ان يراد بقوله ﷺ : « في الشمس » عالم الشمس بالمجاز وبحذف المضاف أي وفي عالم كل شمس خلق كثير (١).

نعم ذهب الاستاذان (هرشل) كاشف نجمة ارانوس و (اراغو) وجماعة ممن تأخر عنهما الى ان الأجرام بأسرها مكونة وحاملة للخلق حتى الاقمار والشموس ، غاية الامر ان الكائن في كل جرم خلقه الله تعالى على حسب استعداد موطنه مثل كائنات حية تعيش في النار كـ (السندل) على مانقل (٢)

---

(١) هذا التوجيه جيد وصحيح في بادىء النظر ، ولكن ماذا نصنع مع الخبر المذكور اذ شارك القمر في هذا الحكم ولا يمكننا اطراد هذا التوجيه فيه وتقدير مضاف محذوف فيه بأن يقال : « في عالم كل قمر خلق كثير » لان القمر ليس له عالم ونظام خاص به وانما هو كرة واحدة برأسها وعلى كل حال الاحسن ان نأخذ بظاهر الخبر على ماهو عليه ونتبع فيه رأي هرشل وتابعيه ونقول : ان في كل كرة من الكرات ـ شمساً كانت أم قمراً أم غيرهما ـ كائنات حية لكنها تختلف حسب اختلاف الاستعداد والموطن . وجاء في خبر آخر « ان في النجوم مدائن كمدائنكم » وطبيعي ان وجود المدائن في النجوم متفرع على وجود كائنات حية ذات شعور وعقل حتى تحدث تلك المدائن وتصنعها ـ (ف)

(٢) ولنعم ماقيل في هذه المناسبة :

أتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

نعم ان الهيكل الانساني عالم صغير ، وكلما يوجد في العالم الكبير ـ واعني به الدنيا ـ يوجد نموذج منه في العالم الصغير ، وهكذا يمكن ان يقال : ان الدنيا عالم صغير اذا قيست الى مجموع الكرات الكونية ، فما يوجد في تلك ـ

وظنى فى المقام ان الظاهر من الخبر المتصدر اثبات المخلوق فى الشمس

— الكرات والعوالم يوجد منه أيضا فى أرضنا هذه .

فمثلا كما انه يوجد فى كل كرت حيوانات وكائنات حية لاتتمكن من البقاء والحياة فى كرات اخرى ، كحيوانات الكرة الشمسية التى لاتتمكن من الحياة فى القمر وبالعكس فى القمر حيوانات لاتتكن من الحياة فى الشمس كذلك فى كل قطعة من الارض حيوانات لاتتمكن من الحياة فى قطعة اخرى ، كالكائنات الحية التى تعيش فى الماء ولا تعيش على وجه الارض أو تعيش فيها ولاتعيش فى النار .

وعلى هذا يمكن ان يقال : كما ان فى الأرض حيوانات لها حياتين تعيش فى الماء والارض على السواء كالبط أو تعيش فى النار والأرض كالسمندل كذلك يمكن وجود أحياء تعيش فى كرتين أو اكثر على السواء ، ومع قطع النظر عما يعتقده المتشرعون فى أوليائهم ربما يأتى يوم يتزاور أهل أرضنا وكرتنا مع اولئك الاحياء الذين يعيشون فى الكرات الاخرى نتيجة للتقدم العلمى الذى ساد العالم وطبق الآفاق والذى ننتظر ازدياده فى كل يوم وفى كل ساعة وحينذاك تنفتح أبواب الذهاب والاياب والسفرات المنظمة بين الارض وسائر العوالم الاخرى وتسهل الاقامة فى الكرات لسهولة تهيئة الاسباب واللوازم المناسبة للكرة التى نريد الاقامة فيها .

فى ذلك اليوم يصبح العالم غير عالمنا فى هذا اليوم ، فان كل مدينة تكون حينذاك كبيت وكل مملكة كمدينة وكل بقعة من بقاع الكرات كاواء من الالوية وكل كرة بأسرها كمملكة كاملة ، وربما ترتبط الكرات مع بعضهن اكثر مما قلنا ويكون الامر الالهى شاملا لها على السواء ينهجون كلهم شرعا واحداً ولا يختلفون في شيء أبداً .

من دون بيان حقيقته ولا اشارة الى انه حي أو عاقل او نبات او سائل فيكفينا اذاً وجود الكائنات الغازية والعناصر السائلة فى الشمس لانها من المخلوقات ايضاً ، فلا ينافى ظاهر الخبر رأى المتأخرين .

وأما القمر فظاهر الخبر يهدى الى وجود كائنات فيه حية ناطقة كالبشر لان الامام عليه‌السلام نفى العلم والدراية عنهم حيث قال : « لايدرون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلق » ونفى العلم بشيء خاص مشعر بأن مانفيت عنه قابل لاصل العلم والدراية لكنه فقد علماً خاصاً ودراية بأمر جزئى ، فلم يقل الوصى عليه‌السلام انهم لايدرون شيئاً حتى يكون نفياً لمطلق العلم بل قال عليه‌السلام : « لايدرون خلق آدم »(١) ، فعلم من نفى العلم الخاص عنهم كونهم قابلين لاصل العلم ، فيثبت كونهم احياء ناطقين ، فيتردد الامر بين كونهم من نوع البشر أومن الملائكة المجردين

وقد نقل لى بعض الفضلاء المعتمدين رواية عن أمير المؤمنين على بن طالب عليه‌السلام انه قال : « ان فى قمركم هذا لخلقاً كادوا يحرثون » ، لكننى لم أظفر به فى كتاب كلما تفحصت عنه .

وزبدة الكلام ان الظواهر الشرعية لو نطقت بوجود كائنات حية فى القمر فلا ينبغى استبعاده بمعارضته للمشهور ، فان جمعاً من عظماء الفلاسفة المتأخرين خالفوا المشهور وذهبوا الى وجود الحيوان فى خصوص قمرنا ، مثل هوك وهرشل وغوك وكاسنى واراغو ـ على مافى حدائق النجوم ـ وكمستوك

ـ وانى لآسف جداً ان هذه المواضيع خارجة عما نحن بصدده واخشى ان يقال : انك خرجت عن موضوع الكتاب ، والا فهذا أوان الكتابة وهنا يليق بنا ان نكتب ـ (ف) .

(١) لايخفى ان هذا الوصف يمكن ان يشمل الشمس أيضا ولا يختص بالقمر فقط ـ (ف) .

وبيكرين وفلاماريون (١) وغيرهم، ولهم شواهد وأدلة ربما ننقلها فى مبحث القمر.

ولو صح التنبؤ به فى الشريعة انتظرنا استكمال الأدوات وارتقاء الافكار فى المستقبل لكشف هذه الحقيقة، كما كشف استكمال أسباب هؤلاء كثيراً من الحقائق الخفية عند المتقدمين والغـرائب التى تنبأ بها نبى الاسلام ﷺ وأوصياؤه - عليهم الصلاة والسلام.

(ومنها) ماوجدته فى بعض أخبار البحار والدر المنثور للسيوطى من أبناء القرن التاسع الهجرى: «ان الله تعالى استوى على العرش فى يوم الجمعة فى ثلاث ساعات، فخلق فى ساعة منها الشموس...»

وهذا الاثر أيضاً صريح فى تعدد الشموس فى عالم الوجود، وان كان الباقى من مضامين هذا الخبر وجمله مجملا ومتشابها لايفيدنا مدلولا متضحا؛ وسيرفع العلم الصحيح حجاب اجماله فى المستقبل ويحل رموزه كما حل كثيراً من الرموز وأظهر وافراً من الكنوز.

(ومنها) مارواه الطبرسى من أبناء القرن السادس الهجرى فى كتاب الاحتجاج والصفار فى البصائر والمفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ فى كتاب منتخب الاختصاص والمجلسى فى السابع والرابع عشر من البحار بالأسانيد القوية عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى حديث له مـع العالم اليمنى، فقال عليه السلام فى وصف الشمس: «انها اذا أمرت تقطع اثنى عشر شمسا واثنى عشر قمراً واثنى عشر مشرقاً واثنى عشر مغرباً واثنى عشر بحراً واثنى عشر عالما».

(١) فى المقتطف المجلد التاسع ص ٢٦٤: ان فلاماريون يعتقد مسكونية القمر، وحاول ان يصنع نظارة كاسرة نفقتها مليون فرنك ليرى بها سكان القمر، ودعى محبي المعارف ان يمده بالمال فخبط مسعاه.

وظاهر كون هذا الخبر صريحا فى وجود شموس متعددة وعوالم متكثرة وأقمار غير هذا القمر ومشارق ومغارب لاتحوم شمسنا حولها ولا تقرب منها ، حيث لم يأمرها مديرها ومدبرها الحقيق ، فلو أمرت حدث فيها حدود تلك الشموس والعوالم تجووز مدار هاتيك الأقمار والبحار وتمر بتلك المشارق والمغارب .

ولا ينافى عقد الأثنى عشر ما ورد سابقاً بلفظ الأربعين ، حيث ذكرنا ان اختلاف اطوار البيان قد يكون بسبب اختلاف احوال السامعين ،فبعضهم لايتحمل استماع تعدد الشموس اصلا ومنهم من يحتمل ويتحمل استماع تعددها إلى الثلاثة وبعضهم الى العشرة ونحوها وبعضهم الى الأربعين وبعضهم الى اكثر حسب اختلاف مقادير القلوب ، كما نرى مثل ذلك فيمن نخاطبهم فلا ريب فى اختلاف احوالهم وعقولهم بالنظر الى استماع الغرائب .

وطريقة الكاملين من العقلاء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم - كما امر به الدين الاسلامى الحنيف .

لطيفة

اذا كان العالم كناية عن نظام شمسى - كما هو المصطلح بين القدماء والمتأخرين - وكان المشرق والمغرب ايضاً كناية عنه قرب المجموع من الأربعين .

فكأن الامام عليه السلام اراد بقوله : « اثنى عشر شمسا واثنى عشر قمراً واثنى عشر عالما » ستة وثلاثين نظاما شمسيا - والعلم عند الله تعالى .

تنبيه

يجوز ان يكون المراد من قول الامام ﷺ : « ان الشمس غير مأمورة اليوم لكنها اذا أمرت قطعت كذا وكذا » الاشارة الى ما يعرض الشمس عند هلاكها وبوارها - على ما زعمه كثير من حكماء العصر - وهو : ان الشمس إذا نفد نورها ونارها فى قيامتها واختل نظامها وانتقى صفاتها وخواصها ولت هائمة فى الفضاء وتخلى عنها اراضيها وسياراتها وطلبت مركزاً لنفسها بعد ان كانت مركزاً بنفسها .

وربما انقلبت ارضا لاحدى الثوابت ، فهى بعد تخليها عن المركزية والتجرد فى السير والسياحة فى بيداء الفضاء قد تمر بالعوالم الكثيرة والنظامات الشمسية الوافرة ، فلا تتخذ منها موطنا الا العالم الذى قد اتصل جذبه بها والنظام الذى يدعوها بقوة الجذب الى موائد داره والاستفادة من نوره وناره ، فتخضع هذه البائرة السائرة لضيائه ومراضيه وتنخرط فى سلك اراضيه

(ومنها) قوله تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا ﴾ (١)

اقول : قرأ المشهور السراج فى هذه الآية الشريفة مفردة ، اى ﴿ سراجا ﴾ بمعنى المصباح ، فيكون اشارة الى الشمس المبصرة . وقد نقل المفسرون قراءتها بضم السين والراء ايضا ، فيكون بمعنى المصابيح .

وبناءاً على هذا يجوز ان تكون اشارة الى الشموس التى اعتقدها

---

(١) سورة الفرقان آية ٦١ .

المتأخرون ، حيث ان السراج جسم يشع من نفسه النور والنار معا . وكذلك الشموس عند هؤلاء - على ما تقدم - فكأنه تعالى قال : جعل فى السماء شموسا.

وقد مر مراراً عن اللغويين ان « كلما علاك فهو سماؤك » ، وان شرعنا الأقدس يطلق كلمة السماء بنحو الاشتراك على نفس الكرات السيارة السامية وعلى نفس الفضاء ايضا - كما فى هذه الآية المباركة .

فكأنه تعالى قال : جعل فى الفضاء السامى بروجا وشموسا مسرجة .

(ومنها) ما رواه السيد نعمة الله الجزائرى المتوفى سنة ١١١٢ هـ فى النور الأرضى من كتاب الأنوار النعمانية وفى البرهان فى تفسير سورة الفاتحة عن جابر الجعفى عن الامام الخامس محمد بن على الباقر (ع) انه قال : « ان من وراء شمسكم هذه اربعون عين شمس ما بين عين شمس الى عين شمس اخرى اربعون عالما فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم او لم يخلقه وان من وراء قمركم هذا اربعين قرصا ما بين القرص الى القرص الآخر أربعون عالما فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ام لم يخلقه .

وصريح هذا الخبر ايضا يعطى كثرة الشموس ، وألفاظه ومضامينه موافقة للخبر الأول لكنه يزداد عليه بأمور :

(احدها) قوله (ع) : « ما بين عين شمس الى عين شمس اخرى اربعون عالما » و « ما بين القرص الى القرص الآخر اربعون عالما » . وفى بعض النسخ « اربعون عاما » بدل « عالما » وهو من تصحيف الناسخين » .

وعلى كلا التقديرين لا يظهر تحقيقه الموافقة لمسائل الهيئتين معا ، فنذره فى سنبله ونستودعه الى ظهور اهله .

(وثانيها) التعبير عن القمر بالقرص ، ومعلوم انه اعم فيشمل الشمس والقمر وغيرهما .

(وثالثها) قوله (ع) فى صفة المخلوقين فى الشمس : « ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ام لم يخلقه » .

وقد مر فى شرح الخبر الاول تجويز وجود الكائنات فى الشمس ـ كما ذهب اليه هرشل واراغو وغيرهما ـ وجواز التجوز فى تعبير الخبر ، واحتمال ارادة الملائكة منهم وغير ذلك .

والنتيجة ان هـذا الخبر الشريف ايضا مصرح بكثرة الشموس وكثرة العوالم والآدميين فى الكون المحسوس ـ كما هو مختار المتأخرين .

فهذه يااخوانى ناصية الأرض قد ابيضت وشابت بكرور الأعصار حتى استولدت مبادىء ومبانى وادوات انتجت هذه الأفكار الأبكار واصبحت ملل الغرب تفتخر بكشفها ، واضحى ابناء الشرق يفتخرون بأخذها ونشرها .

فانظروا الى أوصياء النبى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كيف فاهوا بها وذكروها فى غابر الدهور وماضى العصور ، حيث لا عين ولا اثر من هـذه المبانى ولا خطر على قلب بشر بعض هذه المعانى .

ومع هذا كله لم يمنحوا (ع) هذه الأسرار اهمية ولا اورثت فيهم إعجابا ، بل كانوا يهتمون ويستعظمون المعارف الآلهية ورعاية النواميس الشرعية ، ويحرضون الناس على اصلاح مملكة النفس وتكميل كمالا تهاو ملكاتها والعمل لما بعد الموت ، فانه مفترس كل نفس باليقين . فالفوز لمن استيقظ عقله واكتسب النعيم الدائم .

«المسألة العاشرة»

(فيما يتعلق بالقمر)

قد ادعى الفلكيون فى هذه القرون اثبات اوصاف وامور لجرم القمر ما كنا نسمع أو نعقل شيئاً منها ، ونجد اليوم كثيراً من آرائهم مخالفاً لمبانى الهيئة القديمة ومناقضاً لمسلماتهم ، فهل جاء فى هذا المقام عن شارع الاسلام حكم أو بيان أو سكت عنه هذا الدين كسائر الأديان ؟

(الجواب)

قد اضطربت افكار الحكماء من المتأخرين والقدماء فى جرم القمر وصفاته وحالاته ، وما صفى امره لديهم مع قرب جواره وانكشاف عذاره فقيل مسطح وقيل مفرطح وقيل صغير وقيل كبير وقيل بسيط لطيف وقيل مركب كثيف وقيل نورانى وقيل ظلمانى وقيل منفرد وقيل متعدد ، الى غير ذلك من الاختلافات المستندة إلى شواهد وبينات نصطفى من بينها الأمور المهمة الآتية :

الأمر الأول

(فى محل القمر من الأنجم ونسبة فلكه الى افلاكها)

قد ذهب الأقدمون طراً إلى ان جرم القمر مركز فى ثخن فلك جسم

محيط بكرات العناصر ويحيط بهذا الفلك فلك جسيم آخر مركوز فى ثخنه عطارد ويحيط بفلك عطارد فلك مثل سابقه للزهرة ويحيط بفلك زهرة فلك عظيم وفى ثخنه قرص الشمس ويحيط بفلك الشمس فلك فى ثخنه المريخ . . . وهكذا.

واما اصحاب الهيئة الجديدة فمتفقون على ان محـــل القمر فوق هواء الأرض باثنين وستين ألف فرسخ تقريباً ، فهو بنفسه دوار فى مداره حول الأرض غير مركوز فى جسم ، ثم انه مع الأرض يدوران فى مدار واحد سنوى .

ولما كان مدار الأرض وفلكها متوسطاً بين افلاك السيارات يكون موضع القمر وسطاً بين السيارات ، فان كلا من زهرة وعطارد امام الأرض نظراً الى الشمس ، والمريخ وما بعده خلف الأرض ، فيتوسط القمر بين الأنجم عند قاطبة المتأخرين ، ويكون تحتها طراً عند القدماء .

ولقد ظفرت فى شريعتنا القدسية على ظواهر تهدى نحو الرأى الأخير وتوافق النظام الحادث الشهير :

(منها) قوله تعالى فى القرآن الكريم : ﴿ الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ (١) .

فظاهر قوله تعالى : ﴿ وجعل القمر فيهن نوراً ﴾ يدل على انه متوسط فى السماوات وان مجموعها كالظرف للقمر ، فلم يقل تعالى : « وجعل القمر فى سماء » او « فى السماء » حتى يناسب قول القدماء ، بل قال تعالى : ﴿ جعل القمر فيهن نوراً ﴾ فينطبق على مختار المتأخرين ، سواء فسرنا السماوات كالقدماء بالأفلاك فيكون القمر بينها ، أو فسرناها بالكرات السامية كما تقدم فالقمر ايضاً بينها ، أو فسرناها بالكرات البخارية المحيطة بالكرات السامية كما حققته فى مسألة حقيقة السماوات فالقمر ايضاً بينها .

(١) سورة نوح آية ١١ .

وعلى كل تقدير جائز عند المتأخرين يتفق القمر وسطاً فى السماوات .

ويؤيد هذا المعنى ان الله تعالى لم يقل : « وجعل الشمس فيهن سراجاً» حتى يستوى حال الشمس والقمر فى هذه الجهة ، مع ان ذلك عند القدماء اولى بالشمس من القمر ، بل اكتفى فى الشمس بصفة كونه سراجاً ، لأن الشمس شأنها عند الأواخر غير شأن القمر ، اذ هى المركز لحركات الكرات السامية حولها وليست متحركة بينهن كالقمر - فتدبر .

واما كون السماوات طباقاً فلسنا على يقين فى ان معناه كون السماوات طبقات كطبقات البصل يحيط العالى بما يليه مثلما زعمه المتقدمون ، اذ يجوز ان يراد كونها طبقات كطبقات البيت والغرف كل منها فوق الأخرى أوتحتها - كما اختاره السيد الجزائرى ويراه المتأخرون ايضاً .

واما الكلام فى نصب ﴿ نوراً ﴾ فنحيله الى محل آخر مناسب لمثل هذه المباحث .

(ومنها)ما وجدته فى فرج المهموم فى النجوم للسيد رضى الدين على بن طاوس المتوفى سنة ٦٦٤ ﻫ وفى بحار المجلسى وغير مسنداً عن امير المؤمنين على عليه السلام فى خبر احتجاجه على الدهقان (سرسفيل) المنجم الفارسى انه عليه السلام قال : « اظنك حكمت على اقتران المشترى وزحل لما استنارا لك فى الغسق وظهر تلألؤ المريخ وتشريقه فى السحر وقد سار واتصل جرمه بجرم تربيع القمر . . . » .

ويدل بظاهره على ان المريخ قد يقرب ويشتد اقترابه من قمرنا ، وهذا المعنى لا يتحقق الا على النظام الجديد ، فان النظام القديم - كما سبق - يثبت سيارات وافلاكا جسيمة الثخن عظيمة المسافة بين فلك القمر وفلك المريخ ، فكيف يتقاربان مع دوام انفصالها بفلك عطارد والزهرة والشمس؟ .

وأما النظام الجديد فيبرهن على ان فلك المريخ محيط بفلك الأرض ليس يفصل بينهما فلك ولا سيار ، والقمر أيضاً يدور حول الأرض ، فبعد كون أفلاك هذه الثلاثة بيضوية مستطيلة اذا فرضنا الأرض فى القطر الأقصر من فلكها والقمر فى القطر الأطول من فلكه والمريخ فى القطر القصير من فلكه عند الأرض حصل من اقرب بين القمر وبين المريخ مايوهم اتصالها هكذا . وكثيراً مايتفق فى القرون هذا الاتفاق .

قال فانديك فى باب المريخ من كتابه النقش فى الحجر : « وأما فلكه فمتطاول جداً اهليلجيته كثيرة ، فتارة يقرب الينا كثيراً واخرى يبعد عنا كثيراً فهو حينئذ أقرب فى موقع حسن للرصد » .

وفى ترجمة كتاب فيلكس ورنه مامعناه : « وكلما قرب المريخ من مقابلة الشمس كبر جرمه فى النظر ، فانه عند ذلك قريب الاتصال من أرضنا ، ويقع هذا الاقتراب فى كل سنتين وخمسين يوماً » .

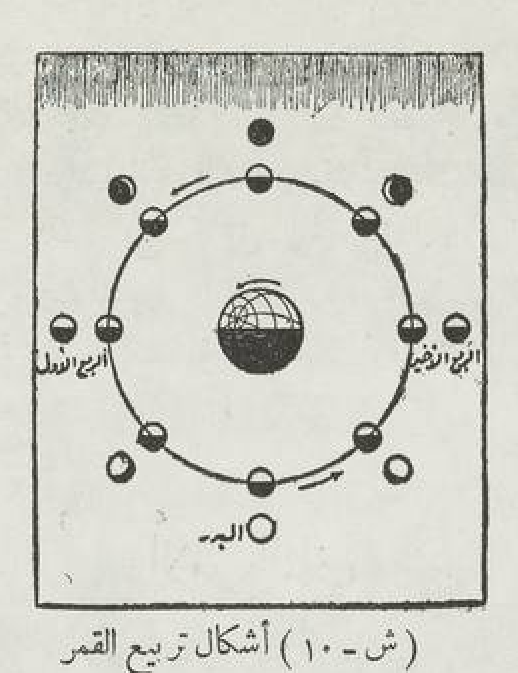
فاستبان لك جواز قرب المريخ من القمر اقتراباً يوهم الاتصال ، وانه عند ذلك يظهر لنا تلألؤ المريخ وبهجته لكمال قربه منا وكبره فى نظرنا .

قال فى حدائق النجوم : « ان المريخ فى بعده الاقرب منا يكبر فى نظرنا خمسة وعشرين كبره فى بعده الابعد » .

فانظر الى سلامة هذا الخبر الشريف بناءاً على النظام الجديد ، وموافقة الفلسفة مع قوله ﷺ : « وظهر تلألؤ المريخ وتشريقه فى السحر » .

أقول : ولا يبعد ان يقع ذلك الاقتراب وقت سحرنا وعند تربيع القمر فى عصر هذا الخطاب ، انظر شكل (١٠) .

وقوله ﷺ فى المشترى وزحل : « لما استنارا فى الغسق » اشارة الى ان اجرام السيارات مظلمة بالذات كالقمر ، وانما تستنير وتستضىء من قرص



(ش ـ ١٠) أشكال تربيع القمر

الشمس ـ كما ثبت فى الهيئة العصرية ـ وليست بجرم الشمس نيرة بالذات كما ثبت فى الهيئة القديمة .

وسوف أشرح هذه المسألة فى المقالة الثانية من خاتمة الكتاب ، واذكر موافقة شرعنا مع الفلسفة الحاضرة .

(ومنها) ماوجدته فى كتاب الدر المنثور والبحار ج ١٤ : « ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا » .

وهذا أيضاً ظاهر الموافقه مع النظام المختار عندنا دون نظام القدماء فانه بناءاً على كون السماء الدنيا هى الكرة البخارية الارضية - كما حققته فى مسألة حقيقة السماوات - يكون القمر فوق السماء الدنيا ، وكذلك النجوم والرجوم على الاغلب فى الأخير .

وأما اذا كانت السماء الدنيا فلك القمر - كما اشتهر عند المحققين المتقدمين - أوكانت كناية عن فلك البروج - كما قيل - لزم ان يقول : « ان القمر فى السماء الدنيا » بناءاً على مذهب المشهور ، أو يقول : « هو تحت السماء الدنيا » بناءاً على القول النادر ، فما اخترناه بحمد الله تعالى هو الأوفق بظواهر الدين وبالحق المبين .

الامر الثاني

(فى وحدة القرص أو تعدده)

قد شرحت القول فى المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس . وذكرت ان القدماء جميعاً الى القرن الحادى عشر بل الثانى عشر من الهجرة لم يتفطن أحدهم بتعدد القمر فى عالم الوجود .

وأول قمر اكتشفوه غير قمرنا المبصر قمر للمشترى اكتشفه غاليله سنة ١٦١٠م بأول نظارة صنعها سنة ١٦٠٩ ، ثم تتابعت اكتشافات الاقمار الخفية حتى بلغ القدر المسلم منها فى عصرنا الحاضر ثمانية وعشرون قمراً : واحد لأرضنا واثنان للمريخ ، وثمانية للمشترى ، وتسعة لزحل ، وثمانية لأرانوس ، وواحد لنبتون - كما سبق فى المقدمة السادسة .

ويزداد على ذلك باضافة قمر واحد لزهرة كما ادعى رؤيته كاسني ومونتاين وغيرهما ـ على ما فى دائرة المعارف .

وقال ميخائيل فى هامش مشهد الكائنات : « ان كثيراً من مشاهد الفلكيين اثبتوا لزهرة قمراً مثل قمرنا ، حتى ان بعضهم رآه اربع مرات ، وحسب بعضهم قطر قمر الزهرة ألفين ميلا ، وان بعده عن جرم زهرة كبعد قمرنا عن ارضنا تقريباً » .

وباضافة قمر آخر لأرضنا على ما ادعى ، ففى آيات البينات وفى باب المذنبات من اصول هيئة فانديك : « زعم البعض ان واحداً من هذه الأجرام (المذنبات) صار تابعاً للأرض ـ اى قمراً لها ـ يدور حولها فى ثلاث ساعات وعشرين دقيقة على بعد معدله خمسة آلاف ميل » .

اقول : ويبعد صحته امور بعضها عدم ظهوره للنظارات بعد ترقياتها الباهرة مع ظهور ما هو اخفى منه وأبعد .

* * *

واما اوصياء النبي ـ عليهم افضل الصلوات والتسليمات ـ فقد ذكروا وجود اقمار اخرى غير هـذا القمر المحسوس قبل ان يحدث فى العالم رأى بتعدد الأقمار اكثر من ألف سنة ، فهم السابقون فى هذا الرأى الجليل وما كان من هذا القبيل على جميع العلماء طراً .

وقد فصلنا الأخبار المتضمنة لتعدد الأقمار فى المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس .

ففى بعضها تصريح بوجود اربعين قمراً من وراء عين قمرنا هذا ، وفى بعضها تصريح بوجود اثنى عشر قمراً . وقد شرحنا المطالب هناك من كل جهة ـ فراجع .

وقد وجدت فى روضة الوافى خبراً عن امير المؤمنين على (ع) يشعر بوجود قمر غير هذا القمر ، مثل قوله (ع) : « قمرنا أم قمرهم » فانه ظاهر في ان لنا قمراً ولغيرنا ايضاً قمر - والعلم عند الله تعالى بارىء الكون .

الأمر الثالث

(فى برودة القمر وحرارته)

لم يكن احد من العالمين يشك فى ان نور القمر بارد بالطبع لا حر فيه اصلا ، وان الجرم منه مقدس عن العنصريات لا تشو به نارية ابداً ، حتى اخترع المتأخرون ادوات دقيقة فكشفوا غطاء الجهل عن هذه الحقيقة واعتقدوا أن القمر يصحب نوره حرارة خفيفة خفية وليس بارداً رطباً فقط كما زعمه المتقدمون .

قال فانديك فى اصول الهيئة : القمر يرسل حرارته نحو الأرض على طريقتين : (الأولى) بالانعكاس اى ينعكس عنه شعاع الشمس . (الثانية) بالاشعاع اى يحمى القمر تحت حرارة الشمس ثم تشع منه حرارة كما تشع من جرم آخر .

اقول : يعنى كما ان الأجرام العنصرية الأرضية تحمى تحت حرارة الشمس فتجود بأجزاء نارية مكونة فى باطنها ، ولو لم يكن فيها عناصر نارية لم تشع حراً ولم تتصف بالاحتماء ، ولذلك تختلف الأجزاء الأرضية فى الاحتماء بالشمس مع تساويها فى اكتساب الأشعة .

وفي ترجمة هيئة فيلكس ورنه ما معناه : ان ضوء القمر تصحبه حرارة

خفيفة ، وكان الحكماء السالفون ينكرونها لنور القمر ، ولكن المتأخرون استنبطوها بالتجارب الكاملة من الآلات الفاضلة واستقر رأيهم على ان قمرنا يرسل الينا حرارة مصحوبة مع نوره .

اقول : وقد سبق المتأخرين طراً فى اثبات الحرارة لنور القمر واعتقاد النارية والتركيب لجرمه اثنان :

(الأول) هو الامام الخامس محمد بن على الباقر عليه السلام حيث سأله سائل عن القمر لم صارت الشمس احر منه ؟ فقال عليه السلام : « ان الله خلق القمر من ضوء (١) نور النار وصفو الماء طبقا من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة اطباق ألبسها لباساً من ماء (٢) فمن هنالك صار القمر ابرد من الشمس » .

وقد ذكرت اسانيد هذا الخبر الجليل وتمامه مشروحاً فى المقالة الثالثة من المبحث الأول من مسألة صفات الشمس .

وقد استفدت من ظاهر هذا الحديث مطالب :

(احدها) تركب جرم القمر من طبقات عنصرية كما ثبت فى هـذه العصور ، وانه ليس بسيطاً ومنزهاً عن العنصريات كما اعتقده القدماء .

(وثانيها) ان القمر تابع للشمس ومتأخر عنه فى الخلقة ، لأن الامام عليه السلام قال فى تشريح الشمس : « ان الله تعالى خلق الشمس من نور النار » وقال فى تشريح القمر : « ان الله تعالى خلقه من ضوء نور النار » ، فيستفاد من هذا التعبير تبعية القمر للشمس كما اختاره المتأخرون ، وقالوا بتبعية القمر لها فى النور كما هو واضح ، وفى الحركة حيث ان الشمس تحرك الأرض وهى تحرك القمر ، وفى الخلقة حيث ان القمر عندهم منفصل عن جرم

---

(١) فيه دلالة على ان نور القمر مستفاد من الشمس .

(٢) هذا مشير إلى وجود الماء والبحار فى كرة القمر .

الأرض فى مبدأ التكوين ، والأرض منفصلة عن الشمس (١) ، واستشهد لهم البعض بقوله تعالى : ﴿ نأتى الأرض ننقصها من اطرافها ﴾ (٢) واسم التوابع عند هؤلاء لا يطلق الا على الأقمار .

(وثالثها) ان القمر يصحب نوره حرارة خفيفة ، لقوله (ع) فى صدر الخبر : « فمن هنالك صارت الشمس احر من القمر » فأفضلية الشمس على القمر وزيادتها عليه فى الحرارة يستلزم ان يكون القمر ذا حرارة ولو قليلة ، حتى يصدق ان الشمس احر منه .

وقد ذكرنا لك مختار الأواخر فى حرارة نور القمر (٣) .

(ورابعها) ان للقمر طبقات نارية منطوية فيها ومخفية فى جرمه ، لقول

---

(١) يعتقد بعض الفلاسفة المتأخرين ان الكرة الأرضية متوجهة إلى الفناء والدمار وتنفصل عنها دائماً ذرات واجزاء تسبح فى الفضاء الوسيع ، وعلى هذا تنطبق الآية الكريمة المذكورة هنا على هذا الرأى احسن انطباق ولا نحتاج إلى تفسيرها بما فسره سماحة المؤلف ، وان كان تفسيره لا يخلو من لطف لأن كلى الانفصال عن الأرض يصدق على انفصال القمر عنها ايضاً ـ (ف)

(٢) سورة الرعد آية ٤١ .

(٣) قاس الاستاذ (بيازى سميث) حرارة القمر فوجدان الشمعة التى بعدها عن آلته قدماً حرارتها الواصلة الى آلته اشد من حرارة القمر الواصلة اليها .

وقاس الاستاذ (لنغلى) حرارة القمر فوجدها جزءاً من مليون جزء من الدرجة .

اقول : النار مهما خفت لا تفقد حسن تأثيرها كالنار الحضانية فى الطيور وعند الكيماويين .

الوصى (ع) : « طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة اطباق ».

اقول : ذهب اواخر المتأخرين ايضاً إلى وجود طبقات نارية فى جوف القمر ، كما ذهبوا إلى وجود نار حامية فى بطن ارضنا ، ينفجر القمر عنها احياناً بالبراكين كما تنفجر نار ارضنا بالبراكين - انظر شكل (١١) .

واول من اكتشف عن الجبال النارية والبراكين فى قرص القمر هو الفيلسوف (هوك) على ما نقل فى كتاب حدائق النجوم ، وانه استكشفها فى كسوف ذات الحلقة سنة ١٨٣٦ م وظهر له فى هذه المراقبة الصبح والشفق من كرة القمر ، وكان ضوء نار البركان اوضح عنده من ضوء شفق القمر . وقدر قطر المخرج الأعظم من فوهة هذا البركان بنظارة (هرشل) بقدر الكوكب من القدر الرابع بحيث كان من الممكن ان يراه البصر المجرد ايضاً .

ومن هنا ذهب الفيلسوف هوك الى وجود جو وبخار وهواء فى كرة



(ش - ١١) الجبال النارية والبراكين فى القمر

القمر ورجح وجود الحيوان فيها ، فان الصبح والشفق ونار البركان شواهد قوية على وجود الحيوان فى القمر - كما مر فى المقالة الأولى من مبحث تعدد الشموس .

(الثانى) ممن اثبت الحرارة لنور القمر قبل المتأخرين هو الامام الثامن على بن موسى الرضا (ع) فانه قال : « الشمس والقمر آيتان » الى قوله (ع) : « وضوؤهما من نور عرشه وحرهما من نار جهنم » . وقد نقلنا مقاله مشروحاً فى المقالة الخامسة من المبحث الأول من مسألة صفات الشمس - فراجع .

وقد ذكرنا مراراً أن السبب فى عدول حكماء المسلمين عن اقوال هؤلاء القديسين فى المطالب الفلسفية هو ان اقوال الأوصياء كانت فتاوى من دون ادلة ، معتمدين فيها على انكشاف حقائق الكون لديهم بالوحى ، ومحض ذلك لا يقنع الحكماء اذا وجدوا براهينهم العقلية تناقض اقوال الأوصياء .

ولا ريب فى ان مبانى الفلسفة القديمة كانت كثيرة المخالفة لظواهر اقوال شرعنا الأقدس ، ولذلك كان بعض علماء الدين يوافقون ويؤلفون بين ظواهر الدين وبين مسلمات الفلسفة القديمة ، بتأويل الظواهر وتوجيهها الى معنى آخر .

وظاهر هذا الخبر يومى الى كون القمر ذا نور من نفسه غير ما يكتسبه من الشمس ، ولم يذهب الى هذا الرأى غير جماعة من الأواخر .

بل قال الأستاذ هرشل - على ما فى حدائق النجوم - : ان للأجرام المظلمة بأسرها نور خفيف ذاتى لها .

وأيد بعضهم ذلك بأمرين :

(الأول) رؤيتنا كثيراً للقمر نهاراً وهو فى المحاق .

(الثانى) رؤيتنا له دائما حالة الكسوف او الخسوف الكليين وهو نورانى

بنور ضعيف يميل الى حمرة قوية .

وهذان الأمران لا يتمان الا بكون القمر نورانيا بذاته ولو بالقليل جداً ولا تستبعد ان يكون للقمر نور ذاتي خفيف مستهلك فى نوره العظيم المستفاد من الشمس .

* * *

فاستعملوا الفكرة واستعينوا ياأصفياء السريرة بنور البصيرة فيما اظهره النبي الأمى واوصيائه القديسون قبل اكتشافات المتأخرين بأكثر من عشرة قرون .

انظروا إلى اولياء الله تعالى كيف فتح الله عليهم ابواب العلم بالحقائق الكونية وكشف لهم اسراره الغيبية ، فأخبروا عما عجزت وقصرت عنه عقول الناس فضلا عن الحواس .

لا تحمل ذلك الا على شدة الاتصال بعالم القدس والارتباط بالملكوت واللاهوت وغاية القرب من المبدأ الأعلى والوحى والالهام من الملك العلام ، إذ لا يجوز عليهم غيرها .

والعجب كل العجب من الذين يرون هذه الآيات الباهرة والمعاجز الظاهرة ويصرون على مكابرتهم وعنادهم ولا يعترفون للحق الصراح ويلزمون جانب الأهواء ، ف(اولئك هم الكفرة الفجرة) .

اننا لا نعجب من اولئك الجاهليين الذين آذوا النبي ﷺ وناوؤه لأنهم كانوا بعيدين من العلوم والمعارف والثقافة متوغلين فى الهمجية الصارخة ، اننا لا نعجب من اولئك وانما نعجب اشد العجب من ابناء عصرنا الحاضر - عصر الذرة والنور - كيف يسوغ لهم العلم والثقافة عدم ايمانهم لذلك النبي الأمى

واهل بيته المعصومين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الذين طبقوا العالم بعلومهم وأيقضوا البشر من سباتهم العميق ، انهم اخبروا فى ذلك العصر المظلم ـ الذى لا توجد فيه آلة ولم تتهيأ لديهم وسائل الكشف ـ عن اشياء لم يوفق العلماء بكشفها بآلاتهم الرصينة الا بعد مضى قرون طويلة وعناء وتعب مضنيين .

هذه هى المعجزة الحقة وهذه هى آية الصدق فى الدعوة الرشيدة .

«المسألة الحادية عشر»

(فى عدد السيارات)

الظاهر من المتقدمين انهم كانوا يعتقدون بوجود سيارات سبعة فقط وهى : القمر ، عطارد ، زهرة ، الشمس ، المريخ ، المشترى ، زحل . ولكن الفلاسفة المتأخرون اضافوا على هذه السبعة سيارتين اخرى وجعلوا السيارات للنظام الشمسى تسعة ، فهل ان الشريعة الاسلامية المقدسة ساكتة فى هذا المقام أم لها رأى خاص ؟

(الجواب)

لاريب فى ان القدماء من الحكماء كانوا يعدون الانجم السيارة سبعة ولا يذكرون سواها ، وهى عندهم : النيران ـ اعنى الشمس والقمر ـ والخمسة المتحيرة وهى : زهرة . عطارد . المريخ . المشترى . زحل .

نعم حكى عن ذيمقراطيس وارشميدر من قبل الميلاد مذهب عدم تناهى عدد السيارات وظنى انهما قصدا بذلك مطلق مايسير فى الفضاء أعم من الثوابت ومن السيارات فى اصطلاحنا .

وقد أظهرا هذا الرأى مخالفة لزعم ارسطو ونحوه من المتقدمين ان الثوابت غير متحركة ، فقصدا بالحقيقة اختيار الحركة لجميع أجرام العالم ولا شىء منها بثابت حقيقى ، ولم يقصدا عدم انتهاء سيارات عالم شمسنا .

ومقصودنا الأهم انما هو اظهار كون النظام البطلميوسى الشائع قبل الاسلام وبعده لايثبت غير السيارات السبعة .

وأما النظام الكوبرنيكى المختار عند المتأخرين فما برح يتقلب فى عدد سيارات شمسنا من رأى الى رأى ، وهاك الموجز من تقلباته :

زعم أصحاب هذا النظام الجديد حصر السيارات فى ستة عند ابتداء أمرهم ، وهى أرضنا والخمسة المتحيرة ، وأما النيران فقد كانا خارجين لديهم عن عداد السيارات .

ولما أشاع الحكيم (تى تى يوس) ميزانه فى أبعاد السيارات المعروف بـ (سلسلة البعد) احتملوا وجود سيارة بين المريخ والمشترى ، فان تى تيوس يرى انه لو فرض بعد الأرض عن الشمس عشرة من المقادير مطلقاً كان بعد عطارد أربعة منها وبعد زهرة سبعة منها وبعد المريخ ستة عشر منها .

وميزان ذلك لديه ان تضم لكل سيارة عدد الأربعة مما اعطيت الأرض منه عشرة ثم تضيف الى زهرة ثلاثة من جنس تلك العشرة والى مابعد زهرة ستة ، وهكذا تضيف لكل سيارة ضعف ماأضفته للسابقة ، واستثن الأرض منها حيث اعطيتها العشرة من ابتداء الأمر فيكون النظام هكذا :

عطارد أربعة ، زهرة سبعة ، الأرض عشرة ، المريخ ستة عشر ، مابعده ثمانية وعشرون ، المشترى اثنان وخمسون ، زحل مائة ، ارانوس مائة وستة وتسعون ، نبتون مائتان وثمانية وثمانون ـ وكل ذلك بنحو التقريب (١) .

---

(١) قال الطنطاوى : ان علماءنا قالوا : اذا قدرنا قطر الأرض ثمانية كان قطر الهواء تسعاً وقطر فلك القمر اثنى عشر وقطر فلك عطارد ثلاثة عشر وقطر فلك زهرة ستة عشر وقطر فلك الشمس ثمانية عشر وقطر فلك المريخ واحد وعشرون ونصف وقطر فلك المشترى أربعة وعشرون وقطر فلك زحل ثمانية ـ

ثم من بعد اكتشاف هرشل نجمة ارانوس اعتقد الفلكيون كون السيارات سبعة ، اذ كان ميزان تي تي يوس يقتضي في حد (١٩٦) مداراً لو كان بعد زحل سيار آخر ، ومن بعد اكتشاف ارانوس وجدوها في حد (١٩٢) غير بعيد عن ميزان تي تي يوس قوى ظنهم بوجود سيارة بين المريخ والمشتري على حد (٢٨) فأضحت نظاراتهم تتوجه اليه وتراقب عليه حتى اكتشف الحكيم (بيازى) سنة ١٢١٥ هج نجمة (سرس) بين المريخ والمشتري ، وذكروا تي تي يوس بكل خير ، وكمل عندهم ميزانه وحسبوا السيارات يومئذ ثمانية وصار سرس من السيارات المعظمة المعتد بشأنها .

ولكن هذا الفرح والاطمئنان مابقيا لهم كما لايبقيان لشخص ولا لنوع ، فلم تمض عليهم سنة الا وكشفوا نجمة أخرى بجنب تلك اسمها (بلس) ،

ـ وعشرون الاربع ، وقالوا : ان هناك نسبة شريفة بين الأرض والقمر ـ أي الثلثان ـ وكذا بينهما وبين الهواء والزهرة والشمس والمشتري . . . الى ان قال : أما الثلاثة الباقية ـ وهي عطارد والمريخ والزحل ـ فليست نسبتها محمودة ، اذ المحمود مثل النصف والربع والثمن .

وقال أيضاً : ذكر العلامة اللورد افبرى في كتابه جمال الطبيعة عن الاستاذ بود قانوناً سماه (قانون بود) ولم تكمل تجربته فلا يزال محل نظر ، وهو ان كل كوكب يبعد عن الشمس ضعف ماقبله مع زيادة ثابتة ماعدا الأول وايضاحه : انا اذا فرضنا عطارد بعده عن الشمس أربعة فبعد الزهرة سبعة والأرض عشرة والمريخ ستة عشر ، وفي بعد ثمانية وعشرين متسع عظيم ومنطقة مشغولة بكواكب اخرى يعبرون عنها (زون) تبلغ نحو ثلاثمائة كأنها ذرات لاتكاد تتميز ، اكتشفها (بيزى) في أول يناير سنة ١٨٠١ م . . . ثم قال : وبعد ذلك المشتري ٥٢ وزحل ١٠٠ ، هذا هو القانون الذي رسمه بود وأكمله بيزى .

ثم اكتشفوا فى ذلك الحد نجمة باسم (جون ووستا) فى تلك السنين ، فزال الفرح والاطمئنان بميزان تى تى يوس وصاروا يعدون السيارات احدى عشر على أبعاد غير منظمة .

وانغلق عليهم باب اكتشاف الانجم السيارة عشرات من السنين .فظلوا على ذلك الاعتقاد ، وكتب على ذلك النظام كتب كثيرة منها كتاب (حدائق النجوم) وغيره .

ولما كان الفرج بعد الشدة والضياء بعد الظلمة من النواميس المعنوية التى سنها الله تعالى فى الكون انفجرت عيون الاكتشافات على الراصدين من سنة ١٢٦٠هج ، وانكشفت سيارات كثيرة فى حد (٢٨) ، حتى انهم كشفوا فى شهر واحد ثمانية عشر نجمة .

فاستقر رأيهم على انهذه النجوم المتوسطة بين مدارى المريخ والمشترى ليست بسيارات مستقلة كالبقية بل هى بأسرها أجزاء سيارة عظيمة كانت بين المدارين على حد (٢٨) تسير منفردة كباقى السيارات (١) ثم انفطرت فى الدهور الماضية وانفلقت وتفسخت بسبب من الأسباب الكونية لايعلمها غير خالقها ، فظلت أجزاؤها وقطعها المنفصلة تدور على وضع أمها و نظام أصلها الأول .

وتأيد رأيهم هذا بتشابه دورانها زماناً وصفة ووضعاً وشدة اقتراب مداراتها ، كما اشرت اليه فى المقالة الخامسة من مسألة تعدد الأرضين .

ومن بعد مااعتقدوا وحدة هذه النجوم فى الأصل وكونها مشتقة جميعاً من كرة واحدة منفلقة الى هذه النجيمات الصغار رجعوا أيضاً الى اعتقاد صحة

---

(١) خالف الفيلسوف (نيوكم) الامريكى هذا الرأى حيث انه ذهب الى ان كلا من هذه النجيمات سيارة مستقلة حسبما حسب من حركاتها فى أدوار متقدمة وعدم اجتماعها فى بقعة يوماً ما حتى تكون بنات أم واحدة .

ميزان (تى تى بوس) والى ان السيارات سبعة .

ثم لما اكتشف لورية الفلكى الفرنسى الشهير نجمة نبتون خلف أرانوس ونجمة فلكان قبل عطارد سنة ١٢٦٤ هج شاعت السيارات تسعة فى العدد بالنظر اليهما ، والثمانية أشهر لصعوبة رصد فلكان ، فلا يفوز بلقائه الا القليل .

* * *

وما قصصته عليك هو بعض ماجرى على الفلكيين فى حصر السيارات وتقلباتهم فى اعداد النجوم الدائرة فى عالم شمسنا المبصرة

وأما الشريعة الاسلامية فظواهرها طائفتان :

الطائفة الأولى

ظواهر تدل على ان السيارات سبعة لكنها مسوقة على نحو يلائم النظام الجديد لا القديم .

وعندى ان هذه الظواهر ناظرة الى المبصر من السيارات لا مطلق السيارات الحقيقية لشمسنا .

وقد مر ان المتكلم ينبغى له ان يذكر الحكم لموضوع قابل للحس والادراك فى خطاباته العرفية العمومية ولا شك ان سبعة من السيارات كانت أبداً قابلة للاحساس والإدراك ، وان لم يعرف المخاطبون بعضها لتقصير منهم لا لقصور فى الموضوع .

وأما ماتعذر ادراكه بالحس المجرد عن الأدوات فلا يستحسن العقلاء توجيه المتكلم احكامه عليه عند العرف ويصفه بين الناس عموماً ، خصوصاً من يجب عليه حفظ وجاهته فى العرف ، وان لا يوحش الجمهور فيختل انفاذ وظيفته واقامة ماهو مبعوث لاجله .

نعم يجوز التكلم عن مثله لمثله نادراً على سبيل بث الاسرار وايداعه فى صدور الأحرار وبمحضر من أصحاب الكمال.

وقد تكلمنا عن هذا الأمر فى المسألة الرابعة فراجع حتى تنتفع وتعرف ان السيارات المبصرة هى ارضنا وزهرة وعطارد ومريخ، والمشترى وزحل وارانوس فان ارانوس يبصر كنجم من القدر الخامس مما يراه الناس.

وما عدا هذه النجوم حيث لم يكن احد يبصره فى تلك العصور لم ينصرف اليه وجه الخطاب والكلام العمومى، وانما ألقى ذكره على خواص الصحابة - كما سيذكر.

الطائفة الثانية

تدل على ان السيارات احدى عشر، وهذه الظواهر ناظرة إلى تعداد جميع سيارات شمسنا ما يبصر منها وما لا يبصر، ما عرف فى الماضى وما سيعرف فى المستقبل، ما اكتشف حتى الآن أو لم ينكشف بعد:

(منها) قوله تعالى: ﴿ انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴾(١).

هذه النجوم التى رآها يوسف عليه السلام فى المنام كانت نجوماً فى المنام قطعاً غاية الأمر انها فسرت واولت فى اليقظة باخوته الأحد عشر، لأنه عليه السلام نبي معصوم عن الكذب، وأنه لو رأى اخوته بأعيانهم فى المنام لما احتاج الطيف إلى تفسير وتأويل، فهو عليه السلام قد رأى نجوماً بهذا العدد والصفة فى المنام.

ثم ان هذه النجوم المشتركة فى صفة السجود له لو كانت من جملة الثوابت لكان ترجيح تخصيصها من غير مرجح، لزيادتها على آلاف الألوف

(١) سورة يوسف آية ٥.

وتساويهما في الجنس والصفة ، بخلاف ما لو اخذت من السيارات كان لها وجه اختصاص ومناسبة في العدد ، فيترجح بالقرينة العقلية ارادة السيارات من هذه الكواكب والنجوم الساجدة التي شاهدها يوسف عليه السلام في المنام . وستأتي الشواهد على هذا الكلام عن قريب انشاء الله تعالى (١) .

(ومنها) في تفسير النيسابوري والكشاف للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ وكانت النسخة بخط عبد العزيز بن محمد بن يعقوب الترمذي في جمعة عاشر شوال سنة ٧٢٥ ، وفي بعض كتب اخرى مسنداً عن جابر ان يهودياً سأل النبي الأمي صلى الله عليه وآله عن النجوم التي شاهدها يوسف عليه السلام في المنام ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « جريان ، وطارق ، وذبال ، وقابس ، وعمودان ، وفليق ، ومصبح ، وضروح وفرع ، ووثاب ، وذو الكتفين » فأسلم اليهودي .

وروى هذه الرواية الشيخ الصدوق ابن بابويه في الخصال عن جابر

---

(١) يمكن ان يتم هذا التطبيق العلمي بتوجيه آخر منا بأن نقول : ان رؤيا الأنبياء - وعلى الخصوص الرؤيا المنقولة في كتاب مثل القرآن الكريم - لم تكن كرؤيا بقية الناس التي ليس لها الا تعبير صوري ينطبق مع بعض الوقائع الصورية ، بل يجب ان يكون لها حقيقة مرئية في المنام كما ان لها صورة تعبيرية في اليقظة .

في مقامنا هذا نقول : ان الكواكب الأحد عشر التي رآها يوسف عليه السلام في المنام كان تعبيرها باخوته الأحد عشر صحيحاً لأن يوسف اصبح اخيراً عزيز مصر وسجد له اخوته ، وتفسيرها بالسيارات الاحدى عشر ايضاً صحيح لأن يوسف - اضافة على انه كان عزيزاً لمصر - كان نبياً من الأنبياء ، حينذاك خضعت له سيارات نظام شمسنا لأنه كان قطب دائرة الامكان وواسطة فيض الواجب جل وعلا - (ف) .

بطريقين بينهما اختلاف يسير .

ورواها الحافظ القمي عن جابر فى تفسير قوله تعالى : ﴿ انى رأيت احد عشر كوكباً ﴾ ثم سمى تلك النجوم بتغيير يسير ، ثم قال بعد ذلك : « وكل هذه النجوم محاطة بالسماء » وفى نسخ كثيرة « محيطة بالسماء » .

وظنى ان هذا الاشتباه نشأ من رسم الخط العثمانى القديم ، فكان يكتب عثمان عثمن ولقمان لقمن وسليمان سليمن وجاء هاجئها ومحاطة محيطة ، فقرأ البعض محاطة على الأصل وقرأ اخر محيطة .

وخلاصة الكلام المنظور فى هذا المقام : ان اختصاص هذه النجوم من بين نجوم السماء لابد وان يكون بصفة مختصة بهذا العدد اليسير لاشتراك لسائر النجوم فيها ، ولا نرى صفة كهذه غير صفة السيارة حول الشمس - كما تقدم آنفاً .

ويؤيد ذلك قوله ﷺ : « وكل منها محاطة بالسماء » فان هذه الصفة ايضاً تختص بالسيارات على النظام الجديد وتحقيق الكرة البخارية - كما سبق فى المسألة السادسة وسنشرحه فى المسألة اللاحقة ونعد الكرات البخارية المحيطة بكل سيارة .

ويؤيده ذكر الشمس والقمر معهن لتكمل عدتهن وانواعهن فى نظامنا الشمسى ، كما يؤيد ذلك ايضاً انطباق كل من هذه الأسامى على سيارات شمسنا فان هذه الأسامى منهم عليهم السلام سمات واقوى الصفات لتلك المسميات ، وهاك الشرح :

١ - (جريان) لأرضنا ، وقد ورد اطلاق الجارية على ارضنا فى غير هذا الخبر - كما مر تفصيله فى المقالة الثالثة عشر من مسألة تعدد الأرضين .

وسميت ارضنا بالجريان لجريانها فى الفضاء ، وجريان حركات اخرى

عليها - كما سبق فى بحث تحرك الأرض . وقـــد لا توجد جملتهن فى سيارة اخرى غير الأرض فاختصت بهذه السمة .

٢ - (الطارق) لزهرة ، فان الطارق كوكب الصبح على ما فى القاموس والعرف لا يقصدون من كوكب الصبح غير زهرة قديماً وحديثاً . وسميت نجمة الصباح كما انه قد تسمى بعطارد نادراً .

٣ - (الذبال) على وزن قطام ، يطلق فى اللغة على النحيف الفاقـــد للطراوة ، وعطارد ايضاً كثير الجفاف فاقد الطراوة لشدة قربه من الشمس .

٤ - (القابس) ويطلق فى اللغة على ما يكتسب الحر الشديد من نـار عظيمة ، ونجمة فلكان ايضا تكتسب الحرارة الشديدة من نار لا نرى اعظم منها لهبا اعنى الشمس ، فان قربها المفرط من فلكان جعلها كجمرة النار ولذلك سميت فلكان بهذا الاسم ، فان فلكان كما مر اسم جبل يثير النار ، ومعربه بركان (١) .

٥ - (العمودان) يحتمل انطباقه على المريخ ، فانه لا ينفك عن قرين تقوم اشعتها عليه كالعمودين والمخروط من الأشعة .

وفى بعض النسخ (عموران) بالراء بدل الدال ، فيكون اشارة الى عمرانها المشهور بين منجمى الأواخر .

٦ - (الفليق) بمعنى المنفلق ، ينطبق على السيارة العظيمة التى حسبوا كونها بعد المريخ وتفسخت الى قطع صغار دوارة، واعنى بها نجيمات المشترى .

---

(١) قال نور الله : فيه اشارة الى ان حرارة فلكان ليس من نفسه بل مأخوذ مكتسب من غيره ، لأن القبس نفس النار والجذوة كما قال تعالى : ﴿ لعلى آتيكم منها بقبس ﴾ والقابس آخذها .

ويؤخذ شرحها من غرة هذه المسألة (١).

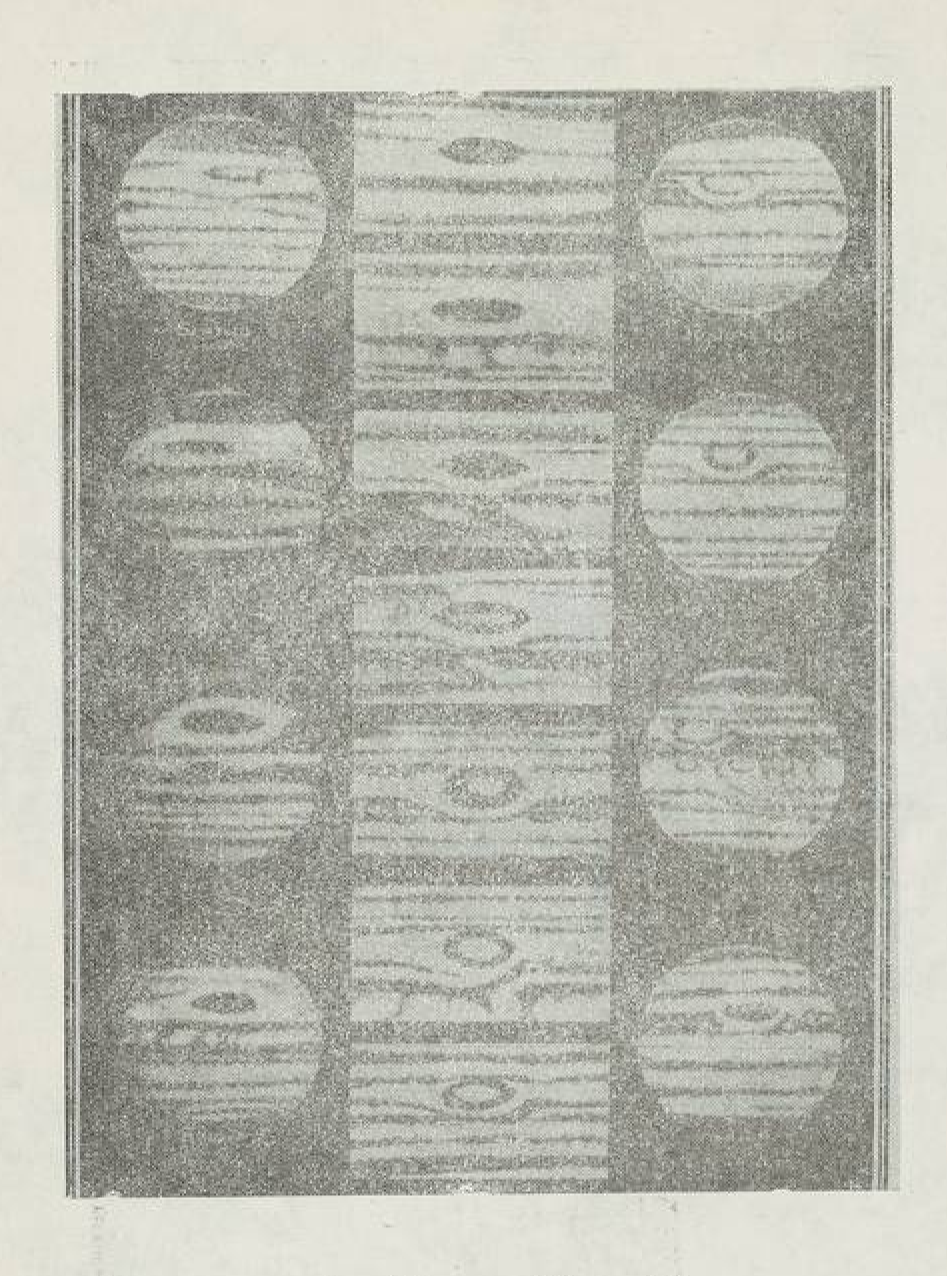
[فاذن هـذه النجيمات متولدة من تلك السيارة العظيمة ، ولا زالت الأطفال تنهج نهج السيارات الأم فى الدوران حول الشمس .

وفى بعض نسخ الحديث ـ كما فى تفسير القمى وغيره ـ جاء (الفيلق) بدلا عن الفليق ، ويطلق الفيلق لغة على قطعة من الجيش المنظم ، وهـذا المعنى فى النجيمات ظاهر ، لأنها تدور فى مدارها كالجيش المنظم .

٧ ـ (مصبح) اسم للمشترى ، وهو يطلق فى اللغة على الجمال وشعلة القنديل وضياء السراج والذى فيه حمرة ، وفى اساس البلاغة للزمخشرى : « المصبح ما لونه كاون الصبح » . كل هـذه المعانى توافق نجمة المشترى لأنها ابرز النجوم فى الجمال والضوء وحمرة اللون ، ولون النهار فيها كاون الصبح فى ارضنا لأن نجمة المشترى بعيدة جداً من الشمس ولون الضياء فيها خافت .

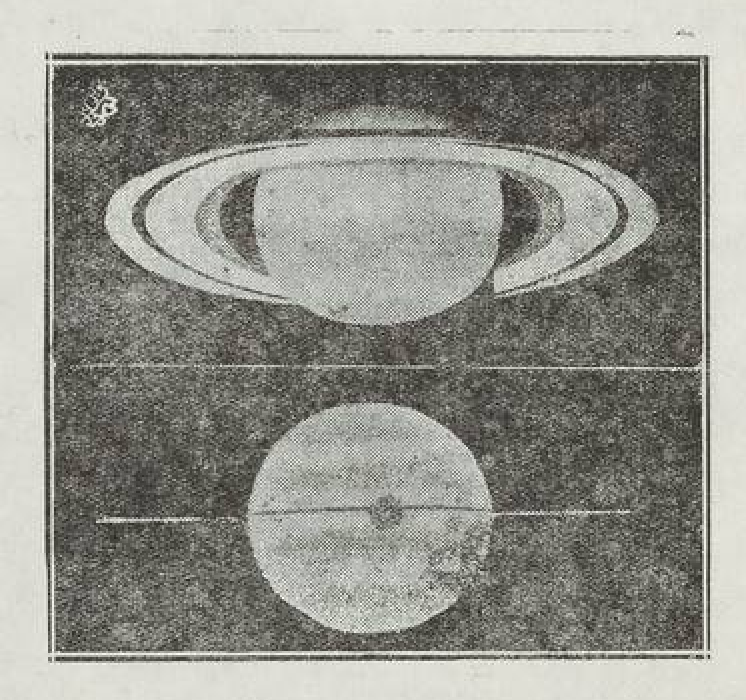
٨ ـ (ذو التكفين) اسم لزحل ، والتكفين فى اللغة تغطية الشيء

(١) تنتهى التعليلات لأسامى سيارات النظام الشمسى فى النسخة العربية المطبوعة سابقاً الى هنا ، وكان سماحة المؤلف قد ترك التعليل لتسمية باقى السيارات ولكن المترجم الفارسى قد طلب ـ حين ترجمته للكتاب ـ من سماحته ان يزوده بتعليل باقى الاسماء حتى يكون الموضوع تاماً كاملا ، فأرسل سماحته الى المترجم المحترم ما طلبه منه فأكمل المترجم الموضوع بترجمته ما ارسله اليه المؤلف ، ونحن نأسف جداً ان لا يساعدنا التوفيق للعثور على الأصل العربى فلجأنا الى ترجمة هذه القطعة القيمة ترجمة لا نعلم انها هل تفى بالمراد ام لا ؟ وعلى كل حال فهذا مجهودنا الضئيل نقدمه إلى العلماء الأعاظم راجين منهم ان يغضوا النظر عن الهفوات الواقعة فى الترجمة ـ (السيد احمد الحسينى) .



(ش ١٢) المشترى ومناطقه وبقعه

يقال : « كفن الجمر بالرماد » اى غطاه به ، وهذا المعنى يناسب كثيراً مع نجمة زحل لأن اكثر قطرها متوار فى الحلقات التى حولهـــا ـ كما تراه فى شكل (١٣) القسم الفوقانى .



(ش ١٣) زحل وحلقاته

وفى بعض نسخ الحديث - كما فى تفسير القمى - جاء (الكتفين) بدل التكفين ، وهذا المعنى ايضا يناسب نجمة زحل لأن الحلقات تبدو حولها كالكتفين حول الرأس - كما ترى فى القسم الثانى من الشكل المذكور .

٩ - (ضروح) اسم لارانوس ، وهو فى اللغة اسم للقصر العالى ، والمضرح : العلو ، وينطبق هذا المعنى على ارانوس تمام الانطباق خاصة وقد صرح الفيروز ابادى فى القاموس بأن الضراح اسم للسماء الرابعة ، واذا عددنا السيارات التى فوقنا لكانت سيارة ارانوس هى الرابعة .

وفى بعض نسخ الحديث جاء (صروح) بالصاد المهملة ، ويقرب هذا ايضا مما ذكرنا سابقا .

١٠ - (وثاب) اسم لنبتون ، والوثاب فى اللغة يطلق على الذى يقفز ويطفر فى المشى أو يمشى سريعا ، وهذان المعنيان ظاهران فى سيارة نبتون لأنها فى سيرها تسرع وتقفز لأن الشمس والسيارات الجاذبة لها تقع على جانب واحد منها وليس على جانبها الآخر غير نجمة بيلاتو وهى بعيدة عنها وضعيفة الجذب لها ، فتسير غير معتدلة لقوة الجذب فى احد جانبيها وضعفه فى الجانب الآخر . فعلى هذا تنجذب الى السيارات السفلى لقوة جذبها وعند ما تبعد تكر راجعة الى الفوق بسرعة شديدة ، وهذا السير اشبه شىء بالقفز والطفرة أو المشى السريع ، ويناسب حينئذ ان يطلق اسم الـ (وثاب) على هذه السيارة .

١١ - (فرع) اسم لبيلاتو ، والفرع جزء من الأصل كالغصن من الشجرة ، وبيلاتو - على ما يدعيه مكتشفه - اول قطعة انفصلت عن الشمس .

وايضا العرب تسمى اول يوم من الجوزاء بالفرع ، وكذلك تسمى اعلا الجبل بالفرع ، وهذان المعنيان ايضا موجودان فى بيلاتو :

(اما الأول) فلأنه اول قطعة انفصلت عن الشمس - كما قلنا .

(واما الثانى) فلأن مقام بيلاتو ارفع المقامات فى نظامنا الشمسى ، فاطلاق هذا الاسم على بيلاتو مناسب جداً من كل الجهات .

يقول المؤلف : ان هذا الخبر الشريف مشتمل على اسرار غامضة فى صفات السيارات وحقائقها التى لم تكن معروفة قبل هذا ، وقد كشف هذه الأسرار وهاتيك الرموز القرآن الكريم والنبي العظيم واهل بيته الميامين - عليهم افضل الصلاة والسلام - قبل ثلاثة عشر قرن ونصف ، وبينوا للعالم هذه المخبآت حتى تبقى آية ساطعة ومعجزة باهرة لهم .

(تنبيه)

ان هذه الوجوه التى ذكرناها فى تأويل هذا الخبر والمناسبات اللغوية والفنية التى استشهدنا بها انما هى غاية ما ندركه نحن فى هذا اليوم ، وهـذا التحقيق مبنى على ان يكون المذنب خارجاً عن عداد السيارات الاحدى عشر وفلكان داخلا فيها ، لاننا نحتمل وجود الكرة البخارية فى فلكان وعدم وجودها فى المذنب .

اما اذا فرضنا عكس هذا - اى نعد المذنب داخلا فى عداد السيارات وفلكان خارجاً منها - فلا بد وان يسمى المذنب طارق والزهرة ذبال وعطارد قابس ، وذلك لأن ذبال فى اللغة يطلق ايضاً على شعلة السراج وتشبه الزهرة شعله السراج فى تلألؤها ، كما ان عطارد لشدة قرب فلكه من الشمس يكتسب من نورها وشعلتها - والله تعالى اعلم بأسرار الكائنات التى خلقها] .

والحاصل ان هذا الخبر القدسى قابل للانطباق على سيارات شمسنا على النظام السابق المبدو من ارضنا ثم الزهرة ، ثم عطارد ، ثم فلكان ، ثم المريخ . . . وهكذا .

وانى احتمل توجيهاً آخر للخبر ، وهو : ان النجوم الأحد عشر هى سيارات نظام شمسنا لكن عشرة منها اسماء للاشخاص وواحد منها اسم نوع وهو الطارق اسم لنوع المذنب ، نظراً الى انه من سيارات عالم شمسنا ، كما احتمل ايضاً ان يكون (وثاب) اسماً نوعياً للشهاب الراجم ، فانه ايضاً من توابع شمسنا .

* * *

فان قلت : ان سيارات شمسنا ليست اكثر من تسعة فلما ذا تعد احدى عشر سيارة ؟

قلت . لسنا على يقين من هذا التطبيق ولكن التسعة بعد زيادة السيارة المنفلقة الى النجيمات تكون عشرة ، ولا يضرنا عدم اندراجها الآن فى عداد السيارات لأنها كانت فى عدادها سابقاً ، وهو كاف فى المقام اذ نظر هذه الظواهر الى ما كان لشمسنا من السيارات بقيت او عدمت عرفت أو جهلت .

واما الحادية عشر فقد جاء ذكرها وكشف الستر عنها فى الأخبار ، كما ت ذلك فى تتمة المسألة الخامسة ، ولم تكشف النظارات وجه تلك السيارة الخفية حتى الآن ، ونحن فى امل عظيم ان تنكشف لنا فى المستقبل عند بلوغ الأدوات كمالها .

وقد ذكرت مجلة الضياء المصرية للشيخ ابراهيم اليازجى مقالة تحت عنوان (السيار الجديد بين الأرض والمريخ) ولفظها : « انه بعد ما اكتشف هذا السيار على احدى الصفائح التصوير الشمسى خطر لبعض علماء الهيئة ان

يتفقد الصفائح التى اخذت فى السنين الماضية للمواضع التى يقدر انه كان فيها من السماء ، فوجد رسمه فى بعض الصفائح التى اخذت سنه ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٤ وسنة ١٩٠٦ فى اثنى عشر موقعا ، لحسب بموجب هذه المواقع ان سنة هذا السيار تكون ٦٤٣ يوما ، وهى أقصر من سنة المريخ ٤٤ يوما ، ومباينة فلكه تبلغ ثلاثة أضعاف مباينة فلك المريخ . ولما كان (المسيو ويت) هو المكتشف لهذا السيار كان له الحق الأول ان يختار له أسما يميزه به ، وقد سماه (ايروس) ، وهو اسم آله الحب (١) » .

(ومنها) ما وجدته فى البحار للمجلسى (ره) والأنوار النعمانية للجزائرى وكتاب النجوم للسيد ابن طاوس قال : روينا باسنادنا عن معاوية بن حكيم فى كتاب أصله عن أبى عبدالله (يعنى الوصى السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام) انه قال : « فى السماء أربعة نجوم مايعلمها الا اهل بيت من العرب ، وأهل بيت من الهند يعرفون منها نجما واحداً ، فبذلك قام حسابهم » .

والظاهر انه عليه السلام قصد من أهل بيت فى العرب أوصياء النبي الامى صلى الله عليه وآله وعترته الذين امتازوا بحفظ أسراره وحمل علومه .

ويؤيده مافى كتاب النجوم أيضا وكتاب دلائل الحميرى بأسانيد صحيحة

---

(١) وقريب من هذا خبر على عليه السلام للشامى فى أسماء السماوات وألوانها فانه قال : « واسم السماء السادسة عروس » . وانما جعلها سادسة لأنك ان حسبت نبتون أولا ونزلت كانت ايروس سادسة .

والعجيب الغريب ان عليا عليه السلام يخبر باسمه مع ان الذى سماه بعد ألف سنة حسب مشتهى نفسه ، وهذا والله علم الغيب الذى لم يوفق اليه الا المقربون الى المبدأ الأعلى ، فكأن عليا عليه السلام لم يكن مالك عين ويت السبكترية وحدها ، بل كان مالك قلبه أيضا .

عن الوصى السادس عليه السلام انه قال فى ضمن خبر له : « ليس يعلم النجوم الا اهل بيت من قريش وأهل بيت من الهند » .

ومعلوم انه لم يكن فى قريش قديما أهل بيت يحملون العلم والفلسفة غير أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله ، فالامام عليه السلام حصر العلم بالنجوم الأربع فى آل محمد صلى الله عليه وآله وخص بعض الهنود بمعرفة واحدة من تلك الأربعة .

والسماء جهة العلو ، كما قال اللغويون : « كل ماعلاك فهو سماؤك » ، وقد مر ان السماء يطلق فى شرعنا بالاشتراك على ثلاثة : الكرة البخارية ، والأجرام السامية ، وجهة العلو - فتدبر .

ثم الظاهر كون المقصود من هذه النجوم هى سيارات شمسنا دون الكواكب الثابتة لقرائن فى الكلام ، مثل تحديدها بالأربعة مع ان الكواكب الثابتة المجهولة فى تلك العصور كانت اكثر من المعلوم منها ، اذ القدماء لم يرصدوا من الثوابت غير ألف ونيف وعشرين ، ولقد بلغ المرصود من الكواكب الثابتة المبصرة فى عصورنا المتأخرة قريبا من ستة آلاف كوكب .

وأيضا تخصيص بعض الهنود بمعرفة الواحدة من الثوابت أمر فى غير محله ، لأن كثير من الثوابت كانت معروفة عند جمع ومجهولة عند آخرين ، اذ لم يكن بين الراصدين وسائط أو روابط ولا مراسلة أو مواصلة ، فلا يطلع أحد من حكماء الفرس أو اليونان أو الهند أومصر أوغيرها على مااستخرجه الآخر إلا بعد قرون متطاولة .

وهذا بخلاف عصرنا الزاهر الذى تبلغ أخبار كل راصد الى البقية فى الساعة ، سواء كان فى أمريكا أوفى فينا أوفى الجرمان أوفى فرنسا أوفى بريطانيا أوفى اليابان أوغيرها .

وأيضا حكم الامام عليه السلام باستقامة حساب أولئك الهنود بسبب معرفة

نجم واحد من تلك الاربعة يناسب كونها من السيارات لامن الثوابت ، اذ الشائع من المحاسبات انما هو للسيارات أولا وارتباط حساب كل واحد منها بالاخرى ثانيا خصوصا على النظام الجديد . فيختل حساب جملة لو جهل حساب البقية ويستقيم بمعرفتها - كما لايخفى على الفلكى ، ودوران الاحكام النجومية على دوران السيارات ثالثاً ، فيحتاج حكم المنجم بشيء ان يعرف زمان دور السيارات ومكانها ومقابلاتها ومقارناتها والاجتماع والتربيع ، الى غير ذلك من الأطوار الحاصلة لها فى الأدوار ، فتعين كون المقصود من هذه الانجم الاربعة سيارات شمسنا .

وأما تطبيق هذه النجوم الاربعة على سيارات شمسنا فواضح فى الجملة ، حيث ان الوصى عليه السلام يخبر عن نجوم سيارة فى عالمناغير معلومة للناس ، والذى كان معلوماً لديهم من السيارات السماوية خمسة ، مع قطع النظر عن أرضنا التى كانوا على ظهرها ، وتلك الخمسة هى : الزهرة ، عطارد ، المريخ ، المشترى ، زحل . والثلاثة التى اختص علمها بهم هى : فلكان ، نبتون ، السيارة الخفية التى لم تنكشف لنا حتى الآن وقد ذكرناها فى تتمة المسألة الرابعة .

وانما اختص علمها بهم - عليهم السلام - اذ لم يتمكن من ادراكها بصر مجرد من الآلات ، وهى لم تكن فى عصرهم عليهم السلام قطعاً وانما اخترعت فى حدود الالف الهجرى ، فالمجموع مع الاراضى تسعة .

وأما الواحدة التى عرفها بعض الهنود فهى (أرانوس) التى كانت ترى كنجم من القدر الخامس بين النجوم ، فيجوز ان يكون بعض الحكماء الهند (وحدة أبصارهم معروفة) قد راقبها ورصدها حينما كان علم الفلك بين الهنود راقياً ذا أهمية ، فعرف كونها من السيارات وقوم حسابها .

وعدم شيوع تلك المحاسبات بين الناس قد يكون لانقراض ذلك البيت

أو لعروض الحوادث التی تعرض علی اکثر العائلات .

وبعض الاخبار - کما سیأتی فی صدر الخاتمة - یشعر بکون أرانوس مرصوداً عند بعض الحکماء من غیر العرب ، حیث یستعظم الوصی علیه السلام انکار السائل لنجمة ارانوس ویقول : «أفأسقطتم نجماً برأسه» ، فبضمیمة ارانوس یکون المجموع عشرة ، وباضافة الفلیق - اعنی السیارة المتفسخة بین المریخ والمشتری - یکون المجموع احد عشر - کما أفادته الآیة السابقة والخبر المتقدم .

وانما لم یذکر الوصی علیه السلام نجمة الفلیق فی هذا الخبر لانه لم یکن فی صدد بیان جمیع سیارات شمسنا ما کان منها وما هو کائن . بل کان علیه السلام فی صدد ذکر الموجود من السیارات الخفیة والنجوم التی لا یعرفها أصحابه علیه السلام ، وعندئذ لا یکون علیه ان یذکر الفلیق لانه فی زمان نطق الوصی علیه السلام لم یکن نجماً لشمسنا ، بل کان منحلا الی نجیمات ومتفسخا قطعا ، ولا علیه ان یذکر غیر الانجم المعروفة .

«المسألة الثانية عشر»

(فى وجود جنس الحيوان فى السيارات)

نسمع بعض الحكماء المتأخرين يقصون علينا أعاجيب عن الكرات السماوية ، من قبيل ان كل واحدة منها كأرضنا هذه ذات جبال وبحار وهواء وبخار وليل ونهار ومخلوقات حية من جنس الحيوانات الارضية ، فهل يوافقهم شرع الاسلام على هذه العقائد والمقالات أو يخالفهم كالمتقدمين أو هو ساكت عن مطلق النفى والاثبات لمصالح خفية كسكوت باقى الديانات ؟.

(الجواب)

قد اعتقد السالفون من الفلاسفة وغيرهم انفراد جرم الأرض ـ كما ذكرته مراراً ـ وان الطبائع المتفاعلة والعناصر المتقابلة تختص بعالم الأرض ، وهذا الاختصاص ينتج بتاً اختصاص وجود الحيوان الكائن الفاسد النامى المتحرك المغتذى بهذه الأرض ، فان وجوده كبقائه مشروط بهذه الأمور ولا توجد فى غير أرضنا ، فيختص وجود الحى المغتذى بها قطعاً .

وكذلك سائر العنصريات ولوازم المعيشة لاتكاد توجد فى غير أرضنا ضرورة انها مشروطة جميعاً بتفاعل العناصر الأربعة والكون والفساد .

فاذا اختصت الشروط بأرضنا يختص المشروط بها أيضاً ، وتكون

النتيجة حينئذ ان لايكون غير أرضنا أرضا ولا غير ماهو حول أرضنا من الماء والهواء والبخار والبحار والحيوان والنبات شيء من أمثالها .

نعم ، كان المليون منهم يثبتون مخلوقات جوهرية كاملة كالملائكة من غير جنس الحيوان والبشر ، لاعتقادهم تجرد أولئك الجواهر من الطبائع والعناصر وعلى أى حال لم يذكر احدهم هذا المعنى المذكور فى السؤال .

* * *

وأما الحكماء الغرب فقد اتفقوا ظاهراً فى ان الكرات السيارات حول شمسنا أراض كأرضنا ذات رمال وجبال وهواء وبخار وليل ونهار وفصول وأقمار ، كما فصلته فى غرة المسألة الثالثة ، وذكرت المقالات الوافرة المتواترة عن نبي الاسلام وأوصيائه ـ عليهم السلام ـ المصرحة بهذا الرأى الجديد .

وذكرت هناك أيضاً ان وجود هـــذه الامور المسلمة لديهم لو صح فى السيارات لكان اطلاق اسم الأرض عليها صحيحاً بالحقيقة لا بالتجوز .

وأما وجود الحيوان والكائنات النامية المغتذية المدركة فلم يستند فيه أحد حتى الآن الى حسه المسلح بأكمل النظارات فضلا عن الحس المجرد .

نعم ، حكم الحدس من جماعة من الأواخر بوجود الكائنات الحية فى الأجرام السماوية ولم يحصل عليه الاتفاق ، بل لم يزل النزاع فيهم على ساق ، وانما حدست تلك الجماعة من وجهين وجيهين وأيدتهم بعد حدسهم شواهد قوية :

الوجه الأول

هو انا نقطع بوجود الجبال فى تلك الكرات ، فان الجبال وأشباهها تظهر فى النظارات ، ولا تتكون الجبال الا من صخور ورمال ـ كما نطقت به مبانى علم الجيولوجيا ـ فيتعين كون أراضى السيارات مثل أرضنا ذات جبال

ورمال تصلح للغرس والزرع ونمو النبات .

وأيضاً نقطع بوجود الكرة البخارية لكل سيارة من البراهين والأدلة القوية ، كانكسار النور وشهود الشفق والظواهر الجوية وغيرها ، وكيف تكون الكرة البخارية والظواهر الجوية والسحب والهواء واختلاف الفصول ونحوها من دون الأمطار والثلوج وهبوب الرياح ، فان نظام الكون لا يختل والطبيعة لا تخرق نواميسها ، والمعلول لا يتخلف عن علته ، فلا محيص من هطلان الأمطار بتردد السحب حول البحار بهبوب الرياح بتغير الفصول ، وحصول المد والجزر هنالك اكثر من أرضنا لكثرة الأقمار وسرعة دورانها وشدة اقترابها ، وهذه الامور بأسرها لا تنفك عن تكون النباتات المختلفة فى هاتيك البقاع القابلة للأسباب المذكورة .

ثم ان الشجر والخضر متفرقة أومجتمعة فى الآجام والسواحل لا تنفك عن الحيوانات الخلقية التكوينية كالحشرات والهوام ، وهى لا تنفك عن الحيوانات النسلية برية وبحرية ، لاسيما على مذهب النشؤ وارتقاء الانواع وانتخاب الطبيعة

الوجه الثانى

هو ما اعتمد عليه فى موافقة أصحاب هذا الحدس بعد اعتمادى على مقالات هداتى المعصومين ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وذلك ان الامور الخمسة المسلمة عند الفلكيين المتأخرين اذا تمت وزال عن افقها الريب فلا يبقى هنالك مانع حسب القوانين العلمية يمنع عن وجود المخلوقات الحيوية ، وتكون موادها وماهيتها فى تمام القابلية والصلاحية ، وعندئذ يستحيل قصور فيض الوجود عنها ، اذ المبدأ للوجودات عندنا فى غاية الجود والسخاء يفيض بالوجود على كل ماهية بلغت حد قبول الوجود ، فيوجد كل

شيء حسب قابليته ، ولا يبخل عن الفيض أبداً تعالى شأنه .

ومع ماقدمت كيف يجوز على المبدأ الفياض على الاطلاق ان يهيء في موطن كل المعدات وجميع لوازم العيش والحياة ثم لا يوجد من يستعملها وينتفع بها من الحيوان والنبات ، ولا يخلق ثمة من يعرفه ويعبده ويستكمل بفيوضاته ومواهبه مع قابليته للوجود وصلاحيته للخلق - جل شأن الحكيم عن ذلك .

أقوال الحكماء في مسكونية السيارات

والأحرى بمقامنا هذا أن نذكر آراء المتأخرين ومرئياتهم في السيارات ثم نفصل الآيات والروايات الموافقة لهم ، فنقول :

قال العلامة فانديك في أصول هيئته في الزهرة : ان من من نقصان النور بالتدريج نحو الخط الفاصل وبعض الكلف ظهرت لها كرة هوائية وبخارية . وقد حسب علو بعض جبالها ٢٧ ميلا ، غير ان ذلك تحت الشك من صعوبة رصد هذا السيار لشدة لمعانه . . .

وقال في المريخ ان حول قطبيه مساحة بيضاء تزيد في الشتاء وتصغر في الصيف يزعم انه الثلوج القطبية ، والسبكترسكوب أيضاً يدل على بخار ماء فيه ، والأقسام المصفرة اللون محسوبة براً والمخضرة بحراً ، والبر فيه اكثر من البحر عكس مافي الأرض ، ولم يكشف عن تسطيح قطبي هذا السيار ، وليس لهذا السيار قمر معروف ، فلا نعرف مادته الا تقريباً .

يقول المؤلف هبة الدين الحسيني : استكشف الأستاذ (اساف هال) قمرين للمريخ سنة ١٢٩٤ هـ بعد طبع اصول هيئة فانديك ، ولأجل ذلك ذكرهما فانديك فى سائر كتبه المتأخرة .

وقال فانديك فى المشترى : وبواسطة نظارة قوية يرى على وجهها مناطق توازى خطه الاستوائى مختلفة العرض ، والألوان غير ثابتة على هيئة واحدة وتارة تتغير تحت نظر الراصد . . . الى ان قال : ذكر (صوت) بقعة طولها بالأقل ٢٢٠٠٠ ميل تلاشت فى نحو ثلاثين دقيقة ، وذلك دليل على حدوث ظواهر وتغيرات على سطحه من قبل مياه وغيوم وأمطار وأبخرة وهواء وما يشبه ذلك .

وقد زعم بعضهم ان هذه الظواهر ليست من فعل الشمس به بل من حرارته الذاتية والتغييرات الحادثة على سطحه فى أبخرته كثيرة جداً ، حتى انه شوهد قمر من أقماره يختفى وراؤه ثم يظهر عند المحل الذى اختفى فيه ، وذلك من قبل تمدد الكرة الهوائية أو البخارية المحيطة بالسيارة ثم تقلصه .

أما نواحى خطه الاستوائى فغالباً أنور من باقى سطحه وقد يرى على سطحه حلقات غير ثابتة وحدود المناطق المشار اليها غير واضحة ، وهى مزرقة اللون تمتاز بسهولة عن لون جرم السيار . . .

وقد قال فى زحل : وزعم هرشل وجود كرة هوائية فى زحل ، وان فصوله تشبه فصول المريخ . . .

وقال أيضاً فى أبواب طيف السيارات : ومن رصود (سكى) و (جانس) ترجح وجود البخار المائى فى المشترى وزحل كليهما .

وقال فى النقش فى الحجر فى المريخ : وحول كل قطب من قطبيه قطعة بيضاء تضيق مساحتها فى صيفه وتتسع فى شتائه ، واذا صغرت الواحدة تتسع

الأخرى ، مثل الثلوج حول قطبي الأرض .

وقال : المناطق والمعالم على سطح المشترى تدل على انه محاط بالسحب والمناطق اثلام فى سحبه يرى فيها جرم السيار نفسه ، وتلك المعالم غير ثابتة على حال بل سريعة التمدد والتجمع والتقلص والانفصال والاتصال ، وذلك برهان كونه سحباً عائمة فوقه .

وقال فى زحل : والظاهر من المناطق والمعالم على سطحه انه شبيه بالمشترى فى كونه محاطاً بالسحب والبخار .

وقال فى كتاب ارواء الظماء فى عطارد : وقد حكم بأن له كرة هوائية كثيفة تجعل الحد بين القسم المنور والقسم المظلم منه غير واضح ، وزعم بعضهم بوجود جبال فيه .

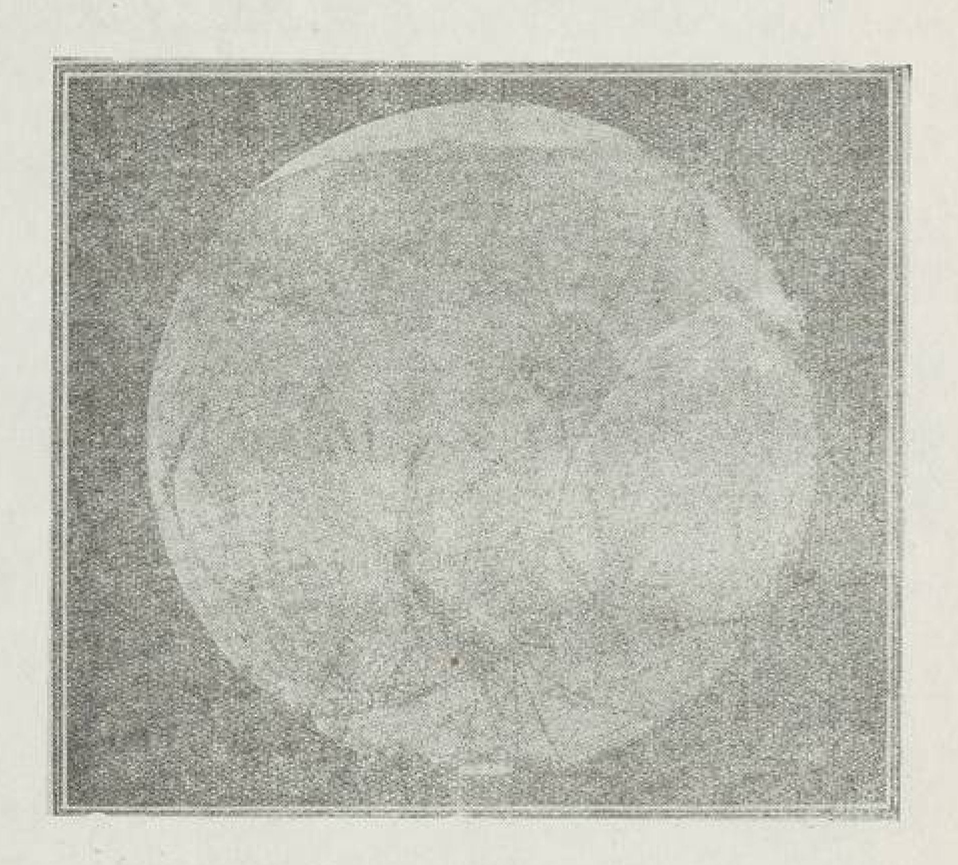
وقال فى المريخ : وقد صنع بعضهم خارطة سطح المريخ ، وعينوا الأقسام اليابسة والمياه أسماءاً ، مثل قارة ميدلر وقارة سكى وجزيرة لوكيره وبحر كنو بل وخليج برتن وبوغاز داوس وبحيرة سكيا برلى وبوغاز اراكو وغيرها . . الى ان قال : وان وجود مياه وجليد فى المريخ يستلزم وجود كرة هوائية . ثم قال : وظهر بواسطة السبكترسكوب ان الكرة البخارية للمريخ شبيهة بما للأرض .

أقول : ان الذى صنع الخارطة الخيالية للمريخ هو الفلكى الشهير الاستاذ (لول) كما تراها فى شكل (١٤) .

وقال فى المشترى بعد ذكر ظواهره الجوية : وكل هذه المناظر دالة على كرة هوائية وبخارية . . .

وقال فلامريون الفلكى الفرنسى الشهير فى كتابه ما معناه : ان جبال عطارد أعظم من جبال أرضنا وارفع ، واكثر أحجارها معدنية ، وان كرة زهرة مثل الأرض الا انها أخف من الأرض بقليل واكثر أحجارها معدنية

وان الغيم ينقص حر الشمس فى هواجر صيفنا ، وقـد وجدنا الغيوم كثيرة التراكم فى هواء اتمسفر عطارد دائماً ، فيجوز ان يكون ذلك لاعتدال الحر فيه



(ش - ١٤)

صورة المريخ كما رسمها الاستاذ لول وتظهر فيها ترعه المختلفة

وعليها سلاسل جبال ممتدة ومبسوطة ، والغيوم قد تتراكم فى هوائها الأكمسفر وهى من جميع الجهات صالحة للسكنى والحياة . واحتمل ان يكون سكانها اناسا متمدنين وفيهم فلكيون يرصدون ارضنا كما نرصد ارضهم او تكون لهم ادوات اكمل من ادواتنا .

وقال فى المريخ ان فيها اناسا متمدنين كاملين فى الصنائع عرف تمدنهم من استخراج ترع وكانالات عظيمة عرضها مائة ألف متر وطولها خمسة ملايين امتار فى مواضع مفيدة لدفع فساد مياه البحار عند المد .

وفى دائرة المعارف فى الزهرة : قد تحقق ان لها كرة هوائية محيطة بها ، كثافتها مثل كثافة الكرة الهوائية للأرض ، وبعضهم حكم بأن قوتها على تكسير النور اقل من تلك القوة لهواء الأرض ، وحكم بعضهم بأنه اكثر ، وزعم بعضهم بأنه رأى ثلجا على قطبي الزهرة كما يظهر فى المريخ .

وقال ميخائيل فى مشهد الكائنات فى المريخ : وفى جو هذا السيار غيوم وضباب من ابخرة ماء كما شوهد ذلك بالمنظر الطيفى ، ومن هذا استنتج الجوابه ان فى المريخ انهرا تجرى فيها المياه المتساقطة من هذا البخار واودية وجبالا ومجارى هوائية ، فيكون جوها كجونا مركبا من مواد واحدة ، وبره كبرنا آهلا بخلائق تتمشى على سنن خلائق ارضنا .

وقال فى هامشه : فاكتشفوا على كثير من بقاعه وخططوا قاراته ورسموا بحاره وبحيراته وسموها بأسماء خاصة ، اما لونه الأحمر فقد ذهب الأكثرون إلى انه خاص بتربته .

ثم قال فى المشترى : وفى المشترى حلقات موازية لخط استوائه ، منها نيرة ساطعة ومنها مظلمة كالحة سريعة التنقل ، لأن جو هذا السيار كثيف كثير الأنوار وكثافته تضارع كثافة الماء .

وفى حدائق النجوم قال فى عطارد : واطول جباله احد عشر ميلا بريطانياً ، وقد يعرض على وجه عطارد شبه الكلف والشامة من ظلال جباله وحدوث السحب فى جوه .

وقال : جزم هرشل والحكيم دن وغيرهما بوجود كرة بخارية لزهرة ارتفاعها خمسون ميلا جغرافياً ، والميل الجغرافى ٢٩٨٢ ذراع بريطانى .

ونقل عن كتاب ميكرين المؤلف سنة ١٧٩٢ م ان (شراطر) رصد بنظارة هرشل جبلا فى كرة زهرة علوه خمسة اميال ، وقد ثبت ان طول جبال زهرة ٢٢ ميلا بريطانياً .

واما المشترى فعلى سطوحه الأستوائية كاف وشامات تتغير وتنعدم بأسرع من الشامات القريبة من نواحى قطبيها فهى سحبها والغيوم التى يغيرها افراط الحرارة فى الحدود الأستوائية من سرعة حركته الوضعية ، ودوام محاذات الشمس بسمت الرأس من تلك السحب .

وقال ايضاً : وارتفاع الكرة البخارية فى زحل يقرب من ألف ميل .

وفى مجلة الهلال المصرية المجلد الحادى عشر ص ٨٧ : ان الاستاذ (هوف) الأمريكائى ألقى خطاباً من عهد قريب فى اعتقاده ان المريخ والزهرة وعطارد آهلة بالناس وسائر الأحياء ، وان سكانها ارقى من سكان الأرض بدناً وعقلا .

قال : ولما كان المريخ اكبر سنا من الأرض وقد جمد وبرد قبل الأرض بأزمان فالانسان وجد فيه قبل وجوده فى الأرض وارتقى اكثر من ارتقائه فيها .

وفى تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩ ه لمحرره الفاضل محمد مسعود افندى ماخلاصته : « ان الحكماء اختلفوا فى مسكونية الكواكب ، والمشهور عدمها

وذهب هرشل واراغو من اكابرهم الى مسكونية الجميع حتى الشمس بذاتها ومرجع المشهور في عدم المسكونية هو الرصد واستبعاد العقل ، اللهم اذا كان بعض شروط الحياة وافرة في بعض النجوم فالأمر تحت الشك . والقمر خلو من الجو والماء وعناصر الحياة وشروط المعيشة ، ولكنهم يحتملون السكنى في المريخ اذ الجوفيه متشبع ببخار الماء وسائر شروط الحياة كافية فيه ، ولو اختلف سكانها مع سكان الأرض فانما هو في الشكل » .

« المقرر الآن ان زهرة وعطارد نظراً لحداثة عهد وجودهما بالنسبة الى ارضنا غير قابلتين للسكنى ، ولو وجد فيهما فهم كسكان الأرض قبل خلق الانسان » .

« اما المشتري فجوه مشحون بالسحب واغلب سطحه سائل ، فلو كان مسكوناً فسكانه من الحيوانات البحرية » .

« واما زحل واورانوس ونبتون فلا يحكم عليها بشيء ، لبعدها المانع عن الرصد وضعف النور والحر فيها ، اذ هما فيه كجزء من ٩٠٠ جزء مما في الأرض وطول مدة الفصول . ورأى الحكماء في المريخ خطوطا فزعموا أنها ترع وبحار وقالوا : ان الثقل في المريخ ثلث ما على الأرض فيختص سكانها بالخفة والرشاقة » .

وقال الكاتب (برناردن دوسان بيتير) ان سكان الزهرة يشبهون سكان الأرض وبعض رعاة الأغنام والماشية على قمم الجبال والبعض الآخر يقيمون على ضفاف الأنهار ، اذ يقضون اوقاتهم في الرقص ومد الموائد والتغني والتسابق في السباحة .

وقال فونتنل عن سكان عطارد : انهم يسكنون اصغر المنازل لصغر اجسامهم ، وانهم لشدة حر الشمس مصابون بالجنون .

وقال آخر فى كتابه المطبوع سنة ١٧٥٠ بعنوان (سياحة عطارد) ان العطارد بين كالملائكة لهم اجنحة يطيرون بها فى الجو وان جسومهم اصغر من جسومنا .

وقال السير همفرى دلفى : ان سكان زحل يتنقلون فى الفضاء بواسطة ستة اغشية رقيقة ، وان ألوان جلودهم اما سنجابية واما وردية ، وان غذاءهم العناصر الغازية ، وهم كبار الجسم يتوغلون فى الفضاء ويحلون حول السحب كالمناطيد الجوية اذا حلقت فى السماء .

وقال الفلكى الألمانى (وولف) ان المشترى أو ما بعده لا يصلها من نور الشمس كثير ، فلا بد ان تكون اعين سكانها كبيرة لا ستيفاء حاجتهم من النظر .

وقال : ان سكان المشترى يبلغ ارتفاع الواحد منهم خمسة امتار ، وسكان نبتون سبعة عشر متراً .

وذكر الكاتب (نيقولا كليميوس) عجائب فى هذا الباب فى رواياته عن الانسان النباتى . .

اقول : وبعض هذه المنقولات مناسب لما ورد فى اخبارنا الشارحة لأحوال الملائكة وسكان السماوات (١)

وقال المحرر المذكور ايضاً فى عطارد : ان جباله مرتفعة وجوه سحابى وقال فى الزهرة بمشاهدة اراض وبحار على سطحها وجو كثيف وجبال شاهقة والانتقال بها من فصل الى فصل دفعى لا تدريجى ، وفى المريخ ان به بحار وانهار وجزر وثلوج وجو كجو الأرض ، وفى نبتون ان جوه غازى يختلف عن جو الأرض . . .

---

(١) لا يظن احد مما جاء فى هذه المسألة وسائر مسائل هذا الكتاب -

وفي المقتطف صفحة ٨٣ من المجلد الثاني بعد شرح المشتري قال : فقد

— اننا نريد تصحيح الآثار الاسلامية المقدسة بعرضها على آثار الفلاسفة العصريين وعلماء العصر الحاضر وبالنتيجة تثبت حقانية الشريعة الاسلامية الغراء بواسطة الاستمداد من عقائد هؤلاء ومكتشفاتهم الحديثة ، لأننا اذا صنعنا هذا نكون كمن يريد اثبات وجود الشمس المضيئة المتلألئة في كبد السماء بوجود نجمة خافية لم ترها العين بل لم يثبت وجودها خارجاً بعد .

نحن نؤمن ايماناً قوياً لا يشوبه شك ولا ريب بديننا القويم ، ونقطع بأن الأخبار والآثار الصادرة حقاً عن النبي والأئمة عليهم السلام كلها مطابقة للواقع ومبينة للحقيقة .

وعلى هذا ليس لنا ان نزيل يقيننا بما يقوله فيلسوف لا نعرف شخصيته ولا حقيقته ، بل ولم تثبت وجوده الخارجي ، ولم نعلم - على فرض وجوده - مبلغ حظه من العلم ومقدار تنزهه عن الكذب والافتراء وتشويه الحقائق .

ان أبعد غرضنا من نشر هذه المعلومات انما هو تحرير أفكار اولئك السذج الذين يتبعون آثار القدماء خطوة خطوة ويقلدون الفلاسفة المتقدمين تقليداً أعمى .

اننا نريد ان تتحرر أفكار هؤلاء فيتعمقوا أكثر من ذي قبل في الأخبار والآثار الاسلامية وينظروا اليها بنظر استقلالي لا اتكالي حتى يستفيدوا منها الحقائق الحقة بلا تشويه أو تبديل .

نريد ان لا يكون هؤلاء كالمتقدمين مقيدين محدودين ، والذين حاولوا بما أوتوا من حول وقوة ان يوفقـــوا بين ما أتى به الشرع الاسلامي الحنيف ومعتقدات الفلاسفة الأقدمين ، فكأنما الشارع الاسلامي المقدس كان مبعوثاً من جانب بطلميوس وأصحابه الآخرين .

—

ظهر مما ذكر ان هذا النجم الذى تراه العين صغيراً هو عالم كبير فيه هواء وماء

— وبعكس هؤلاء جماعة من المتحمسين للفلسفة الغربية المعاصرة ، حيث انهم اتبعوا آثار الغربيين اشد اتباع وتركوا كل ماهنالك من التراث القديم واستسلموا للفلسفة الجديدة استسلام العبيد للسادة ، فطفقوا يخطون خطاهم طابق النعل بالنعل ، انهم يجدون ويجتهدون بكل امكانياتهم ان يوفقوا بين الآثار الاسلامية وآراء الغربيين ، ويجعلوا الشارع الاسلامى المقدس رهيناً لما يتفوه به هرشل وكبلر وغاليله وغيره .

وعلى ماذهب اليه اتباع الفلسفة القديمة ومايرتئيه أصحاب الفلسفة الجديدة فليس للاسلام فلسفة ومبدأ يخصه ، بل انه يتبع الآراء ويميل مع الأهواء ويوافق الفرضيات الخيالية بأى شكل يفرضه الناس .

حاشاوكلا : إن هذا أخذ جانب الافراط وذاك اتبع جانب التفريط ، وكلاهما مال عن طريق الهداية وسبيل الحق والحقيقة وانحرف عن الصراط المستقيم ، وليس هذا الامن نتائج عدم الاستقلال فى النظر وسلب حرية الفكر والا فليس للشارع الاسلامى وآرائه اتكال على مايقوله بطلميوس وكوبرنيك وغيرهما .

يجب على الرجل الذى له الاستقامة فى عقله والحرية فى فكره ان يتدبر فى كل كلام يرد عليه غاية التدبر بلا اتكاء ولا اتكال على كلام غيره حتى يظفر على حقيقة الموضوع وواقعه ويجد ضالته المنشودة .

وغرضنا من هذه التعليقة الطويلة ان نقول للقارىء الكريم : ان المقصود من نشر هذه المعلومات ليس الا تقوية النظر الاستقلالى فى محبي العلم والحقيقة ، واخراج الاثار والأخبار الاسلامية من تحت ضغط النظريات الاتكالية التى سبقت وان وقعت تحت ضغطها . —

وغيوم وأمطار . . . الى ان قال : من يفكر فى كبر المشترى وفى خلق أربعة أقمار له (١) ويتدبر حكمة خالقه الظاهرة فى كثير من تفاصيله قلما يشك فى كونه مسكوناً بخلائق حية كأرضنا هذه الصغيرة بالنظر اليه ، بل لو حاول غيره ان يبرهن له خلوه من المخلوقات لضحك منه ، اذ المرء يستغرب ان يرى فى الكون عالماً كبيراً كالمشترى مخلوقاً عبثاً ، وهو يعلم ان البارى سبحانه لم يخلق شيئاً فى هذه الأرض الا لقصد ومنفعة .

وفى المقتطف أيضاً صفحة ٥١٥ من المجلد الرابع والثلاثين وضع الأستاذ (لول) الأمريكى كتاباً عن المريخ وترعه سنة ١٩٠٦م بعد ان بحث فيه بحثاً علمياً دقيقا واستنتج انه مسكون بمخلوقات عاقلة ، فخالف بذلك الدكتور ولس الذى كتب سنة ١٩٠٣ مرجحا ان الأرض هى الجرم الوحيد المؤهل لسكنى الانسان ثم كتب ولس مبينا ان المريخ لايصلح للسكنى لأنه خال من الماء ، لكن المستر سيلفر أثبت بالبحث السبكترسكوبى وجود بخار الماء فى المريخ ، فاذا كان فيه ماء فليس مايمنع وجود الحياة فيه . وقد وضع الاستاذ لول كتابا آخر الآن عن المريخ كمقر للحياة اقام فيه الأدلة على انه مسكون بمخلوقات بالغة درجة

— ان هذه التطبيقات غير جائزة الا فى حقيقة ظهرت كالشمس فى رائعة النهار وجاء حديث اسلامى مطابق لتلك الحقيقة ، فهنالك تظهر المعجزة النبوية وتزيد فى نشاط المسلمين واطمئنانهم وتنبه المخالفين وترشدهم الى الصراط المستقيم - (ف) .

(١) ذكر ذلك قبل اكتشاف بقية أقماره ، فكيف به لو كان يعلم بأن حول المشترى تسعة أقمار او اكثر .

عالية جداً من الارتقاء العقلي والصناعي (١) .

أقول : وعمدة استبعاد الحكماء وجود الحيوان فى الكرات القريبة من الشمس كعطارد وفلكان وبعيدة عنها كزحل وارانوس ونبتون انما هو من جهة افراط الحر فى الأولى من كثرة الاقتراب من الشمس وافراط البرد فى الثانية من كثرة البعد عنها . وترى نسبة قرب السيارات وبعدها عن الشمس فى شكل (١٤) .

ولرفع هذا الاستبعاد عندى وجوه من القول :

(الوجه الأول) ان ذلك ينافى حياة حيوان فيها يماثلنا فى الطبع والمزاج ولا ينافى وجود حيوانات فيها توافقنا فى الحقيقة والحياة وتخالفنا فى الطبع والمزاج وبعض الشكل ، كما ان الله تعالى خلق فى أرضنا بشراً فى نواحى الخط الاستوائى قوى الجسم غليظ الجلد يتحمل من الحر مالا نتحمله ، وخلق فى أرضنا بشراً فى حدود القطبين على خلاف الخلق الأول ويتحملون من البرد مالا نتحمله ،ولو

---

(١) نشر كتاب الاستاذ لول المذكور هنا فى المقتطف يناير سنة ١٩٠٨ ص ١٢ وقد جاء فيه بتسع وثلاثين شاهد على وجود الحياة فى المريخ ، وهاك أصنافها :

(منها) تشابهه مع أرضنا فى اليوم وميل محوره .

(ومنها) ثلوج قطبيه التى تتغير حسب فصوله ومداره قلة وكثرة .

(ومنها) كرته البخارية المحيطة بجوه وتغيراتها حسب فصوله وأحواله .

(ومنها) وجود الشفق والنور والعناصر فى جوه .

(ومنها) التغيرات الشبيهة بالغيوم والكلف والغبار فى جوه .

(ومنها) شواهد النبات والبحار والجبال فيه .

ولو استشهد بالأقمار أيضا لكمل أربعون شاهداً .



(ش - ١٥) نسبة بعد السيارات عن الشمس

بقى الخلق الأول فى مكان الخلق الثانى يوماً لهلك من شدة البرد ، كما ان الخلق الثانى لو بقى فى مكان الخلق الأول يوماً لهلك من شدة الحر ، وهذا التفاوت العظيم نجده فى باقى الحيوانات الموجودة فى أرضنا أيضاً .

وحسبك المنقول عن السمندل وتعيشه فى النار من دون ان يحترق ، وكذا بعض الدود الذى يتولد فى الثلوج العتيقة ويموت بأدنى حرارة يمسه .

(الوجه الثانى) ان مجرد القرب والبعد عن الشمس لا يكون دليلا قاطعاً

على شدة الحر أو البرد ، اذ قد يقترن القرب المفرط من الشمس بأمور تستوجب البرد ، وكذلك البعد المفرط عنها قد يقترن بما يستوجب الحر من لطافة الهواء أو كثافتها ، كما نرى فى أرضنا ان جبال هملايا مع ارتفاعها المفرط وكونها فى أواسط المنطقة الحارة لاتنفك رؤوسها أبداً عن الثلوج المتراكمة فيها ، ولا يطاق البرد هنالك ، مع كونها أقرب نطاق الأرض الى الشمس .

وأما أوهاد تلك الجبال وسواحل البحار وحصباء العرب وقفار الهند فلا يطاق حرها مع كثرة بعدها عن الشمس ، فأسباب الحر والبرد غير محصورة فى مجرد القرب أو البعد عنها .

فلم لايجوز اقتران قرب عطارد ونحوه بسرعة تبدل الفصول وبمياه جارية واهوية مساعدة وخواص اخرى ، كما سمعت عن فلامريون الفرنسى آنفاً . فيضعف الحر فيه أو خلق طبائع أهله وامزجتهم على نحو يتحمل ذلك

وكذلك بعد زحل ونحوه فانه قد ينجبر بشدة حرارة مادة أرضه وكثافة جوه وكثرة أقماره وصقالة بطحائه واستعداد أهله .

(الوجه الثالث) ان افراط القرب يقوى تأثير الحر فى الحدود الاستوائية لافى الحدود القطبية ، وافراط البعد بعكس ذلك .

فلم لايجوز سكنى سكنة عطارد ونحوه فى حدوده القطبية الضعيفة فيها حر الشمس وسكنى سكنة زحل ونحوه فى حدوده الاستوائية المجتمع فيها الحرارات .

(الوجه الرابع) ان الأغذية المفرطة فى البرودة وكذلك الأغذية المفرطة فى الحرارة قد يجبران الحر والبرد الشديدين ، فيجوز على سكنة عطارد ونحوه المعالجة بواقيات الحر مأكلا وملبسا ومسكناً ، وكذلك على سكنة زحل ونحوه ان يعالجوا البرد بالدوافع وما يقى عنه فى الأكل والملبس والمسكن . فتفطن

ولنطوى اكناف المقال اذ قرب الخروج من وضع الكتاب ، ولقد ذكرنا لك خلاصة مذهب القدماء وآراء المتاخرين وأقوالهم المستغربة ، ورفعنا استبعادها بوجوه صحيحة . فالواجب علينا الآن نقل الظواهر الشرعية التى نحسبها موافقة لاراء المتأخرين ، فنقول :

أما الظواهر الشرعية الاسلامية فى هذه المسألة فكثيرة جداً ، ذكرنا جملة منها فى مسألة تعدد الأرضين كالمقالة الرابعة والعاشرة والحادية عشر والرابعة عشر والخامسة عشر والسادسة عشر - فراجعها وخذ البقية ههنا :

١ - قال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض ومابث فيهما من دابة ﴾ (١) وهذه الآية ظاهرة فى وجود الخلق والدواب فى السماوات مثل مافى الأرض ، لأنه لم يفرق بين الأرض والسماوات ، اذ قال تعالى : ﴿ بث فيهما من دابه ﴾ .

والدابة ظاهرة عرفاً ولغة فيما يدب على وجه الأرض ويمشى عليها حتى الانسان ، كما قال تعالى فى آية أخرى : ﴿ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ﴾ (٢) والمراد بـ ﴿ الذين لايعقلون ﴾ هم المشركون ، ويؤيده الموصول المخصوص لذوى العقول ، واتفق المفسرون أيضاً - كاللغويين - على ان الدابة كل مايدب ويمشى على وجه الأرض من انسان وحيوان غير الطيور ، كما قال سبحانه : ﴿ ومامن دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم ﴾ (٣) .

وقد ذكرنا فيما سبق أيضاً أن السماء اسم لكل جوهر علوى ، وان كل

(١) سورة الشورى آية ٢٩ .
(٢) سورة الأنفال آية ٢٢ .
(٣) سورة الأنعام آية ٣٨ .

ماعلاك فهو سماؤك ، حسبما اتفق عليه اللغويون .

ومن الايات المؤيدة لفحوى هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ ولله يسجد مافى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة ﴾ (١) وعطف الملائكة يدل على ان تلك الدواب هى غير الملائكة ، ويحتمل ان يكون الكلام قد جرى على ترتيب اللف والنشر المشوش ، بأن تكون الملائكة هى مافى السماوات والدابة هى مافى الأرض .

فاذا أورد فى الشرع كلمتا الأرض والسماء معا مفردين كان الظاهر من الأرض أرضنا ومن السماء مطلق ماعلاها من الاجرام والهواء والفضاء ،واذا ورد لفظ الارض مفرداً مع لفظ السماوات مجموعة كان الظاهر من الارض أرضنا ومن السماوات الاجرام العالية والكرات السامية كما فى هذه الآية ، واذا ورد لفظ الارضين مع لفظ السماوات مجموعتين كان الظاهر من الارضين الاراضى السبع السيارة الشاملة لارضنا والسماوات كراتها البخارية المحيط بكل من تلك الارضين وهذه القاعدة قليلة التخلف فى ظواهر شرعنا الاقدس ، وعليك بالاستقراء .

وبناءاً عليها يكون المقصود من السماوات فى هذه الآية الكرات السامية والدواب فيها اشارة الى مايدعيه المتأخرون من وجود الكائنات الحية فيها . وقد ورد هذا المعنى فى اكثر الاخبار صريحا كما ستتلى عليك .

والمفسرون اذ لم يتعقلوا وجود الدواب فيما عدا الارض تأولوا فى الآية بما وسعه علمهم وصرفوا ألفاظ الآية عما كانت ظاهرة فيه ، ولكنهم مع ذلك اعترفوا بظهور الآية فى وجود الحيوان فى الكرات السامية ، ونقى الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما استبعاد ان يخلق فى السماوات حيوانات يمشون فيها مشى الاناس على الارض ، وقالوا : سبحان الذى خلق مانعلم ومالا نعلم من

(١) سورة النحل آية ٤٩ .

من اصناف الخلق - انتهى .

فلو صحت الآراء الأخيرة اخذنا بظاهر الآية وفاقاً للمتأخرين ، ولو ظهر بطلانها واستحالتها وافقنا القدماء فى تأويل هذه الظواهر وصرف وجوهها إلى معان مناسبة .

٢ - قوله سبحانه : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً ﴾ (١) فان جمعاً من المفسرين اخذوا البروج فى هذه الآية بمعناه اللغوى - اعنى القصر والبناء الرفيع - لا بمعناه الاصطلاحى الحادث بعد النبى (ص) ، اعنى به منزل الشمس من فضاء النجوم المعدودة اثنى عشر . وقال الرازى : « البروج هى القصور العالية » .

فعلى هذا يجوز ان يكون اشارة إلى الآراء الحديثة من وجود الأهالى والأبنية والقصور والمدن فى الكرات السامية .

وتنكير البروج فى الآية مؤيد لعدم كونها اشارة الى منازل الشمس المعروفة الاثنى عشر ، اذ لو كان لفظ البروج اشارة اليها لكان الأنسب تعريفها حسب كونها معهودة بين الناس .

٣ - فى البحار والكافى للكلينى والوافى للعلامة محمد محسن الفيض وبصائر الدرجات والأنوار النعمانية وغيرها بالأسانيد إلى عجلان بن ابى صالح قال : دخل رجل على ابى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال له جعلت فداك هذه قبة آدم عليه السلام ؟ قال : « نعم ، ولله قباب كثيرة ، ان خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً ، ارضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنوره (هاخ ل) لم يعصوا الله تعالى طرفة عين ، ما يدرون خلق آدم عليه السلام ام لم يخلق » .

---

(١) سورة الفرقان آية ٦١ .

اقول : كأن هذا السائل كان مسبوقاً بخبر القباب الذى شاع عن محمد الباقر عليه السلام والد جعفر الصادق عليه السلام فقصد سماعه من الصادق ايضا ، وسنروى خبر القباب فى باب تعدد العوالم وانه عليه السلام نظر الى السماء وقال : هذه قبة ابينا آدم عليه السلام ولله سواها كذا وكذا قبة .

وقوله عليه السلام : «ارضاً بيضاء» ظاهر فى كونه بياناً للمغرب ، فيكون الغرض - والعلم عند الله - بيان كثرة الأراضى فى الفضاء وامتلاء الكل خلقاً كما يراه جملة من المتأخرين . والضمير فى بنوره راجع الى الله ، ونور الشمس ايضا نور الله تعالى وفيضه المقدس الاشراقى .

والسر فى تنزيه اولئك المخلوقين عن المعصية نذكره فى اجوبتنا عن المسائل المتفرقة .

وفى كتاب (فلك السعادة) للفاضل اعتضاد السلطنة ابن الخاقان فتح على شاه القاجار قال ما معناه : انى عرضت هذا الخبر على بعض حكماء اوربا فقال - بعد استغرابه - : لو كنت على يقين من صدور هذا الكلام من وصى نبيكم لآمنت به واسلمت .

اقول : وانما عجز الفاضل المذكور من توضيح صحة اسناد هذا الخبر لأجل انه لم يكن ذا حيطة بأسانيد الأخبار ، ولا كان كثير الاطلاع على الكتب . وحسبك ان هذا الخبر المستفيض نقل فى كتب الحفاظ - كما ذكرنا بعضاً منها - ولم ينقله هذا الفاضل الامن كتاب غير معروف ، اذ صرح فى فلك السعادة بأنى وجدت هذا الخبر فى كتاب نظام الدين احمد الكيلانى تلميذ سيد الحكماء محمد باقر الداماد .

فلو اطلع على وجود هذا الخبر فى الكافى فقط لكفاه فى اتمام الحجة على من اراد ، لتواتر كتاب الكافى بين المسلمين ووفور نسخه العتيقة جداً .

واما نحن فبفضل من الله تعالى ورحمته ننقل اكثر هذه الأخبار من الكتب الشهيرة والنسخ المتقدم تاريخها على الأعصار الأخيرة ، ومن شاء الثقة وتكميل الحجة فليراجعنا وله الفضل .

٤ ـ فى ينابيع المودة ص ١٦ من طبع بمبىء عن احمد بن حنبل وعن ابنه وعن الحموينى فى فرائد السمطين وعن الحاكم وعن الصواعق وعن نوادر الأصول ، وهؤلاء الستة بأسانيدهم عن على عليه السلام وعن ابن عباس وعن انس وعن جابر وعن ابى سعيد الخدرى وعن سلمة بن الأكوع وعن ابى موسى الأشعرى ، وهؤلاء السبعة عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : « النجوم امان لأهل السماء ، فاذا ذهبت النجوم ذهب اهل السماء ، واهل بيتى امان لأهل الأرض ، فاذا ذهب اهل بيتى ذهب اهل الأرض » .

وهذا الخبر دليل على وجود الأحياء العاقلة بل على البشر فى الكرات السامية ، بقرينة وحدة السياق فى اهل السماء وفى اهل بيته صلى الله عليه وآله ، وبقرينة ان المراد من اهل السماء لو كانوا هم الملائك الذين سموهم الفلاسفة ارواحاً مجردة لزم الكذب ، لأن النجوم ليست اماناً للملائكة بل الملائك هم امان للنجوم .

وفى هذا الخبر المستفيض بل المتواتر اشعار بالجاذبية العمومية ايضاً بين اجرام السماء كما لا يخفى على من تدبر .

٥ ـ فى البحار للمجلسى والأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائرى وكتاب الفتوحات المكية لشيخ العرفاء محيي الدين المتوفى سنة ٦٣٨ فى الباب الثامن عن عبد الله بن عباس صاحب النبى صلى الله عليه وآله وابن عمه فى حديث الكعبة « انها بيت واحد من اربعة عشر بيتاً وان فى كل من الأرضين السبع خلقاً مثلنا ، حتى ان فيهم ابن عباس مثلى » .

وهذا الخبر صريح فى وجود البشر فى الكرات السامية ، وان لله تعالى امثال هذه الكعبة المشرفة غيرها ، قد جعلها مطافاً لعباده فى سائر الأراضى السيارة ، وليس هذا بمستبعد وليس على الله تعالى بعزيز .

٦ ـ روى الشيخ رجب البرسى فى مناقبه المؤلف سنة ٨٠٠ والشيخ ابراهيم الكفعمى من علمائنا فى القرن العاشر والعلامة المجلسى فى البحار بالأسانيد عن الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ان جبرئيل قال للنبي(ص) والذى بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب ارضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله تعالى يعبدونه ولا يعصونه ، قد تمزقت لحومهم ووجوههم من البكاء . قال امير المؤمنين على عليه السلام : قلت يارسول الله ليس هنالك ابليس او احد من بنى آدم؟ فقال صلى الله عليه وآله : « والذى بعثنى بالحق نبياً ما يعلمون ان الله خلق آدم ولا ابليس ، ولا يحصى عددهم الا الله تعالى » .

اقول : وهذا الخبر الشريف يدل ايضا على وجود الكائن الحى فى غير ارضنا من نوع البشر لاختصاص البكاء بالانسان واللحم بالحيوان والعبادة ونفى العصيان وعدم العلم بشىء خاص بأسرها متفرعة على العقل والقدرة .

وقد ذكرنا مراراً ان اخبار الامامية ومختار جملة من علمائنا المتقدمين يقتضى عدم انحصار مبدأ البشر بآدم عليه السلام بل هو ابونا فقط ،وستأتى الأخبار المصرحة بتعدد امثال آدم فى كل عهد وعالم .

٧ ـ روى الشيخ محمد الحر العاملى فى الصحيفة الثانية السجادية عن الامام السجاد على بن الحسين السبط عليه السلام فى صلاته على آدم انه قال : « فصل عليه انت وملائكتك وسكان سماواتك وارضك » .

فان عطف سكان السماوات على الملائكة ظاهر فى مغايرتهما على ما هو مقتضى العطف ، واذ لا يوجد حي بعد الملائكة غير امثال الكائنات الأرضية

الحية افاد المطلوب ، وهو وجود الحيوان في الكرات السامية .

٨ ـ في بحار الانوار للمجلسي والدر المنثور للسيوطي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ قال : « سبع ارضين في كل ارض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسى » .

وبهذا وأشباهه ندفع كثيراً من الشبهات الدينية المستحدثة ، ولما كان الالتفات اليها خارجاً عن نظام هذا الكتاب ذكرناها في غيره من اجوبتنا للاسئلة التي ترد علينا ورسائلنا الخصوصية .

٩ ـ في معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ مسنداً الى عطاء ابن يسار وفي دائرة المعارف ايضاً ناقلا عن الشيخ سراج الدين في عجائب المخلوقات (١) ايضاً عن عطاء وهو من تبعة اصحاب النبي (ص) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ قال : « وفي كل ارض آدم مثل آدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم » .

١٠ ـ في تفسير سورة الصافات من تفسير القمي وفي المجلد الرابع عشر من البحار بسند صحيح إلى علي امير المؤمنين عليه السلام انه قال : « هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض ، مربوطة كل مدينة بعمود من نور ، طول ذلك العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة » .

وروى هذا الخبر بعينه الشيخ فخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٧ ﻫ في مجمع البحرين في لغة (كوكب) مرسلا عن علي عليه السلام ، الا انه روى في آخر الخبر قوله عليه السلام : « ان كل مدينة منها مربوطة بعمودين من نور » .

وعلى اى تقدير فظاهر الخبر يرشدنا إلى وجود مدن وعمران في الكرات السامية ، وهو مستلزم لوجود الأهالي والسكان المتمدنين ـ كما ظهر

---

(١) الظاهر انها خريدة العجائب كما سيأتي دون عجائب المخلوقات .

ذلك للمتأخرين فى نجمة مريخ ، فتذكر ما قدمناه .

وقوله عليه السلام : « مربوطة بعمود من نور » قد يكون اشارة إلى تأثير جاذبية الشمس فى حفظ نظام السيارات ، واتصال حامل الجاذبية بالنجوم على نحو الخط العمودى ـ كما اتفق عليه الحكماء المتأخرون اجمع .

وقوله عليه السلام فى الرواية الأخرى : « بعمودين من نور » يمكن ان يكون اشارة الى ما تقرر أخيراً ان نظام السيارات تحفظه قوتان من الشمس : احدهما قوة جذب الشمس لها ، والثانية قوة اندفاعها عن الشمس بسبب التحرك الدورى . فلو انفردت الأولى فى التأثير ولم تكافئها الثانية لهوت جملة السيارات فى كورة الشمس ، ولو انفردت الثانية ولم تكافئها الأولى لرميت النجوم الى خارج نظام الشمس من الفضاء الوسيع .

وانما استقرت السيارات فى افلاكها المعينة وانضبط نظامها بواسطة ارتباطها مع الشمس بعمودين وانقيادها بين جاذب ودافع والعلم عند الله تعالى واوليائه عليهم الصلاة والسلام (١) .

١١ ـ فى البحار عن مفاتيح الغيب للرازى محمد فخر الدين المتوفى سنة ٦٠٦ قال . قال رسول الله (ص) : « ليلة اسرى بى الى السماء رأيت فى السماء

(١) هذان تفسيران وجيهان للعمود والعمودين وجالبان للنظر جداً ولكن بقى اشكال فى تحديد على امير المؤمنين عليه السلام طول كل عمود بمسيرة مائتين وخمسين سنة لم ينحل بعد ، ووجه الاشكال من جهتين :

(الأولى) يلزم ان يكون بعد كل سيارة عن الشمس مسيرة مائتين وخمسين سنة ، وهذا التحديد لم يقل به أحد حتى الآن .

(الثانية) مساوات كل السيارات فى بعدها عن الشمس ، مع العلم ان بعد السيارات عن الشمس يختلف كثيراً ـ (ف) .

السابعة ميادين كميادين ارضكم هذه ».

وروى هذا الخبر ايضاً الحافظ الشيخ رجب البرسي من ابناء المائة الثامنة عن الرازي في مفاتيح الغيب انه قال : « في السماء الرابعة » بدل السماء السابعة - فتدبر .

وعلى أي تقدير فظاهر هذا الخبر يدل على مشابهة الكرات السامية لأرضنا ووجود الميادين عليها لجولان كائناتها الحية .

١٢ - في البحار والدر المنثور عن بعض أئمة الكوفة - والظاهر انه الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله في شرح الأرض البيضاء خلف مغربنا الى ان قال صلى الله عليه وآله : « فيها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين » فقيل : يانبي الله أهم من ولد آدم ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « مايدرون خلق آدم أم لم يخلق » قيل : يانبي الله فأين ابليس عنهم ؟ قال صلى الله عليه وآله : « مايدرون خلق ابليس أم لم يخلق » .

وقد ذكرت مايتعلق بهذا الخبر في شرح الخبر الخامس وغيره ، فراجع تنتفع .

١٣ - في كتاب الفقيه أبي الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هجـ وعندي نسخة منه عتيقة جداً عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : « خلق الله تعالى أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة الى ان قال : « محشوة خلقاً من خلق الله لايعلمون ان الله تعالى يعصى طرفة عين » قالوا : يارسول الله أمن ولد آدم هم ؟ قال صلى الله عليه وآله : « لايعلمون ان الله تعالى خلق آدم أم لم يخلق » قالوا : يارسول الله فأين ابليس عنهم ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « ولايعلمون ان الله تعالى خلق إبليس » ثم قرأ صلى الله عليه وآله قوله تعالى : ﴿ ويخلق مالا تعلمون ﴾ .

١٤ - في تفسير الفاضل النيسابوري عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن

الأرس مثلهن ﴾ ناقلا : ان فى كل أرض منها خلق . قال : حتى قالوا إن فى كل منها آدم وحواونوح وابراهيم وهم يشاهدون السماء من جانب أرضهم ويشهدون الضياء منها أو جعل الله تعالى لهم نوراً يستضيؤن به .

وذكر النقاش فى تفسيره فضلا فى خلائق السماوات والأرضين وأشكالهم وأسمائهم أضربنا عن ايرادها لعدم الوثوق بمثل تلك الروايات ـ انتهى .

١٥ ـ الحديث المتواتر عن النبي ﷺ انه قال : « ان النجوم أمان لأهل السماء ، وان أهل بيتى أمان لأهل الأرض » .

وهذا الخبر مشعر بأن السماوات آهلة بالخلائق ، فيكون معنى أمان النجوم لهم انها كالسفينة قرار لهم ومسكن ، ولولاها لساخوا فى بيداء الفضاء أو غاصوا فى أعماق جو بعيد الانتهاء ، كما ان أهل بيت النبوة أمان لنا وسفينة لنجاتنا من الغرق فى بحر الظلمات ، وقد قال ﷺ فى خبر آخر : « مثل أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق » .

أقول : ليس عدم وثوق العلماء بمثل هذه الأخبار من جهة خلل فى اسنادها ، إذ فيها أخبار صحيحة السند قوية النسبة أيضاً ، وانما ضعف وثوقهم بأمثالها من جهة غرابة مضامينها ومخالفتها للقواعد الفلسفية التى كانت مسلمة لديهم فى العصور المتقدمة ـ كما حققناه فى المقدمة الرابعة .

ولقد كان المحققون من علمائنا يستنكفون من نقل هذه الاخبار ويرون نقلها وهناً للدين فى أنظار عقلاء عصرهم .

نعم كان بعض الحفاظ والمحدثين يحدثون بجميع ماوصل اليهم تعبداً بأوامر الشريعة وتجمداً على ظواهر ماجاء منها .

ونسأل الله تعالى ان يجازيهم أحسن الجزاء ، ونحمده جل ذكره حيث

أنعم علينا فى هذه العصور برفع الخجل والفشل عنا من كشف أسرار بعض أخبار حججنا الاطهار بسبب ارتقاء الكمالات والعلوم ونمو فن الهيئة والنجوم فظهرت لنا حقائق الكون ودقائق الطبيعة واضحت المستكشفات الحديثة أحسن ترجمان للقرآن والحديث ، وخير نظارة نبصر بها أسرار شرعنا المقدس ، وأفصح لسان ينطق بصحة الدين والمذهب ـ ولله المنة ولهم الشكر .

«المسألة الثالثة عشر»

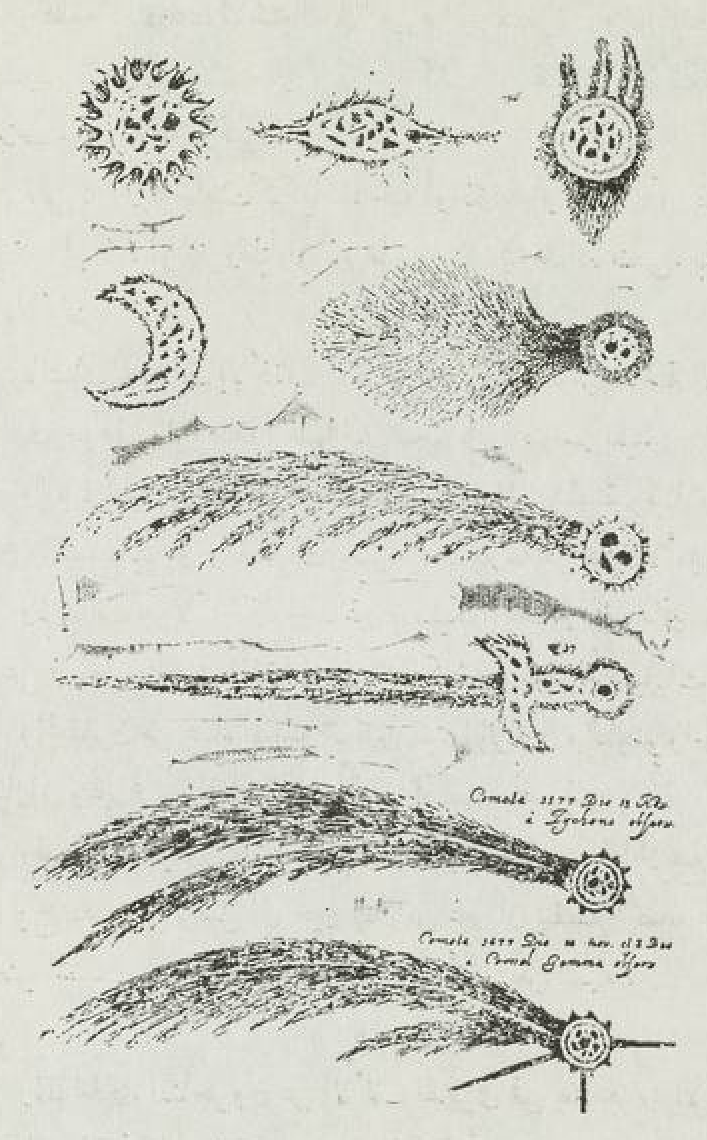
(فى الشهب والمذنبات وأحجار الجو)

قد بدل البحث والتدقيق رأى الحكماء فى حقيقة ذوات الاذناب والرجوم فقد كان القدماء منهم يعتقدون جميعاً ان الرجوم والمذنبات ليست من مقولة الانجم والفلكيات بل هى من حوادث جونا المتكونة من الابخرة والادخنة، وهم اليوم متفقون ظاهرا على ان المذنبات والرجوم بأسرها من مقولة الكواكب والنجوم.

وتحقيق هذه المسألة ـ ولو لم يكن من وظيفة الدين ـ لكننا نحب العلم بأن الشريعة هل وافقت المتأخرين أو القدماء، أو اتخذت كسائر الشرائع سكوتها مغنما؟

(الجواب)

أعلم ان الشعل الحادثة ليلا فى جو السماء المشابهة للشهب والسهام الثاقبة لايرتاب أحدفى وجودها، وانما قام الخلاف بين الحكماء فى مادتها ومنشأ حدوثها فالفلاسفة السالفون كأرسطو وأتباعه وبطلميوس ومن بعده زعموا أن الدخان اللزج الدهنى اذا تصاعد من أرضنا واقترب من الكرة النارية المتصلة بفلك القمر ولم تنقطع مادته عن هواء الارض أخذت النار تشتعل وتسرى فيه الى آخر مادته، فيرى كالخيط المشتعل أو كالشهاب المنفصل. فاذا كانت مادة



(ش - ١٦) صور المذنبات من الكتب القديمة

الدخان لطيفة كانت عند الاشتعال ناراً صرفة غير مبصرة ، وإذا كانت كثيفة بقيت مبصرة بعـــد الاشتعال ، وربما مكثت على غرائب الأشكال على اختلاف مواد الدخان وصوره .

قالو : وربما شابهت كوكباً ذا لحية أو ذؤابة أو قرون أو ذنابه أو شكل تنين أو كرة أو مخروطياً أو غيرها ، وربما تكثر المادة فتضيء باشتعالها وجه الأرض .

فالشهب وذوات الأذناب بأسرها عندهم كائنات من أدخنة الأرض وحوادث جوها ، ولوا طلقوا عليها اسم النجم نادراً فتجوز بعيد .

وانما لم يجوز واعدها من الفلكيات لوجود الميل المستقيم فيها وتطرق الكون والفساد اليها ، والفلكيات بأسرها لدهم منزهة من هذه الأمور .

ولم يخالف هؤلاء الحكماء احد غير (سنيكا) الحكيم الرومانى ، فانه انكر على ارسطو رأيه فى المذنبات واحتمل كونها من مقولة السيارات .

والمحققون من علماء المسلمين ـ كابن سينا والرازى والطوسى والجرجانى والتفتازانى وغيرهم ـ وافقوا الفلاسفة من اذعانهم بأصولهم .

وقد اوجز الرازى كلامه فى مباحثه الشرقية فقال : « اذا ارتفع بخار دخانى لزج دهنى حتى وصل الى حيز النار من غير ان ينقطع اتصاله عن الأرض اشتعلت النار فيه نازلة فيرى كأن تنيناً ينزل من السماء » .

* * *

واما الحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى فمن بعد تحرير الأفكار وارسالها جوالة فى كل مضمار مـــع موافقة الأسباب ومساعدة الأدوات اجمعوا ظاهراً على ان الشهب والمذنبات من مقولة السيارات ، وان مادة الكل واحدة وليس شيء منها ناشئاً عن ادخنة الأرض ، وانما هى اجرام سيارة

فى جو السماء مستقلة كأجرام السيارات العظام مادة ومنشأ .

واول من قاس بعدها عن الأرض هو (جون ملر) الفلكى الألمانى الملقب برجيو منتانوس فى القرن الخامس عشر الميلادى ، فوجد ان زاوية اختلاف المذنب الذى ظهر سنة ١٤٧٢ م نحو ستة درجات .

ويظهر من حدائق النجوم وغيره أن تيخو براهـه الدانيمركى المتوفى سنة ١٦٠١ م هو اول من علم بكون المذنبات سيارة فى خارج فلك القمر بسبب اختلاف منظرها اليومى ، لكنه زعم ان فلكها مستدير .

ثم من بعده اعلن تلميذه الأستاذ (كبلر) الجرمانى القائم سنة ١٦٥٤ بأن المذنبات هى كالحيتان الصغار والكبار تسبح فى بحر الفضاء الوسيع وتسير فى خط مستقيم ، قد نراها من القرب أو الكبر وقد لا نراها من البعد أو الصغر .

ثم تلاه درفل ونيوتون فبرهنا على ان افلاكها بيضية كالأنجم السيارة ذاتاً وفلكا ، ولكنها تتفاوت عن السيارات المصطلحة المعروفة بفروق اربعة :

(الأول) ان السيارات تدور حول الشمس ، والشمس متوسطة فى مداراتها البيضوية أو فى احد الكانونين المحترقين (الفوكزين) واما المذنبات فتدور غالباً والشمس فى ناحية من افلاكها المستطيلة .

(الثانى) ان احد القطرين فى افلاك السيارات لا يقصر غالبا عن القطر الآخر بأكثر من ربعه ، واما المذنبات فيقصر غالبا احد قطرى فلكها عن الآخر بأكثر من ذلك جداً .

(الثالث) ان اجرام السيارات جامدة فعلا غير مذابة متبردة غير حارة ، واما المذنبات فشدة الحر والاحتراق فى جرمها قد جعلتها فى الأكثر مشتعلة ملتهبة ترشح بالغاز والبخار حول نفسها ، قطر الارتفاع منه اثنى عشر مثل قطر الجرم نفسه بل اكثر .

وقدر الأستاذ نيوتون حرارة مذنب سنة ١٦٨٠ اكثر من حرارة الحديدة المحمرة بألفي مرة ، فاستبراد مثل هذا الجرم يقتضى ان يمر عليه ألوف من السنين . ومن هنا زعم البعض - كما فى حدائق النجوم - ان المذنبات جحيم المذنبين والمذنبات .

(الرابع) ان افلاك السيارات مرتبة على نظام متطابق لا يخرق فلك احداهن فلك الأخرى ، واما المذنبات فان افلاكها مرتبة على غير نظام افلاك السيارات ، ولأجل ذلك يخرق كل فلك منها افلاك السيارات بل هى تخرق افلاك انفسها ايضا .

فالمذنب فى سيره يخرق فلك نبتون مثلا عند نزوله ثم يخرق فلك ارانوس ، وهكذا يخرق افلاك السيارات حتى يطوف حول الشمس ثم يصعد راجعاً فيخرق فلكا فلكا حتى يخرج من فلك نبتون .

وهذا الفرق هوا حسن فروق المذنبات عن السيارات وقد ذكره على عليه السلام ، فراجع الدليل الثامن من هذه المسألة .

واكثر فروق الأنجم المذنبة عن الأنجم السيارة وصفى لا جوهرى ولذلك تكون المذنبات من النجوم حقيقة .

° ° °

واما المنشأ لحدوث المذنبات فمختلف فيه الأقوال وملخصها :

١ - انها بقايا شمس تفسخت بعد قيام قيامتها وموتها .

٢ - اجزاء سيارة متفسخة بتأثير بعض علل كونية لا يعلمها غير بارئها تعالى .

٣ - اجرام مستقلة تسبح فى بحر الفضاء كسبح السيارات ، غاية الأمر مع اختلاف فى نظامها .

٤ - هى أقمار سيارة عظيمة أبعد من نبتون بأكثر من بعده عن الشمس بألفى مرة . الى غير ذلك من الآراء .

ولكن المشهور هو القول الثالث ، وان أصل المذنب هو جرمه المتلألىء الكوكبي المسمى (نواة المذنب) ويحيط بها ضباب غازى ينشأ منها عند اقترابها من الشمس ، ويسمى ذلك الضباب ذنباً ، ويكون على أشكال غريبة كاللحية والقرون والذؤابة والذنب وغيرها بحسب أوضاعه من مقابلة الشمس - كما ترى فى شكل (١٧) .

وتقع أشعة الشمس فى ذلك البخار فيضىء فيوهم انه ذنابة أو ذؤابة ، ولذلك تراه مستطيلا دائماً الى خلاف جهة الشمس يطول بالقرب منها ويقصر بالبعد عنها حتى ينعدم .

وجميع المذنبات خاضعة لنواميس الجذب ، فالكبير منها يؤثر فى سير السيارات اذا اقترب منها ، والصغير منها يتأثر بها فى سيره ، وربما ينحرف عن مجراه بسبب انجذابه للسيار .

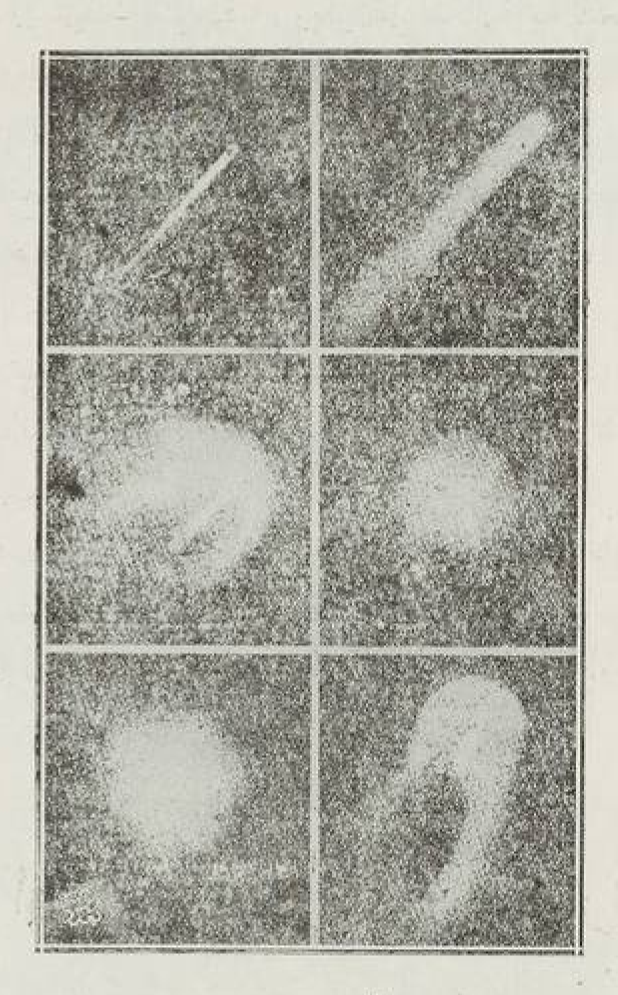
وقد رصد الفلكيون حتى الآن زهاء ١٢٠٠ من المذنبات وضبطوا حركاتها ومداراتها فيخبرون عن ظهورها ثم لايكذبون ، ولا يأمن الحكماء دائما من تصادم أرضنا ببعض المذنبات حال المسير ، فيحدث فى ثراها أو مائها ضرب من التغيير .

أقوال الحكماء في الشهب والنيازك

واذا استفدت شرحا من حقيقة المذنبات ومنشأ حدوثها فاستمع الى

أقوال المتأخرين فى حقيقة الشهب والنيازك ومنشأ حدوثها :

١ - بعض منهم يعتقد انها أحجار وقطع نارية ترميها و تلفظها أفواه براكين كرة القمر ، فتخرج من حدتها عن حيطة جذب القمر وكرسيه فيدخل فى



(ش-١٧) أقسام المذنبات والشهب

حيطة جذب الأرض .

٢ ـ وبعضهم يعتقد انها قطع وأجزاء من سيارة متفسخة منفلقة اندكت ببعض العلل الكونية .

٣ ـ وبعضهم يقول بكونها مستقلة فى الخلق والنظام، فهى توافق السيارات فى الحقيقة والمادة وتفارقها فى الأوصاف والنظام .

٤ ـ ومنهم من يعتقد انها قطع وأجزاء من مذنبات متفسخة انفلقت وتحللت بأسباب طبيعية يعلمها صانعها المتعال .

ففى آيات البينات : والشهب ـ على ماذهب اليه كثير من متأخرى الفلكيين ـ قطع من أذناب النجوم التى تجذبها الأرض عند اقترابها .

وفى المقتطف السنة الثانية ص ٦٧ : ان الحجارة التى تتساقط من الجو هى نيازك دائرة حول الشمس تقترب الأرض اليها أحياناً وتبتعد عنها أخرى فاذا قاربتها بحيث تغلب الشمس فى جذبها اليها ، وان النار الحادثة من التقاء المجارى الكهربائية بمواد فى الجو تلتهب وتسقط الى الأرض ناراً .

وقال فانديك فى باب النيازكات من النقش فى الحجر : الحجارة الجوية والنيازك أجسام دائرة حول الشمس ، وعندما تقرب الى الأرض بحيث تغلب جاذبيتها جاذبية الشمس تنحرف عن أفلاكها وتنجذب نحو مركز الأرض ، ومن سرعة حركتها تولد بمرورها فى الهواء الكروى حرارة كافية لاحتراق الصغار منها تماماً وتحمى الكبار منها الى درجة اللمعان ويحترق بعضها وينتهى الى الأرض قبل مايحترق كلها (١) .

---

(١) وعليه نفسر قوله تعالى فى سورة الرحمن : ﴿ يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس ﴾ والشواظ جمع شظيه بمعنى القطعة المنفصلة من الحديدة المحماة عندما تصير تحت المطرقة ، فما أجود تشبيه الرجوم بشواظ من النار والنحاس الملتهب ـ

وقد أوضح الاستاذ (سكياپرلى) من ميلان ان أفلاك بعض النيازك توافق أفلاك بعض المذنبات .

وفى هامش مشهد الكائنات : ان المسيو بارفيل ذكر أخيراً فى جريدة صباح الأفرنسية ان المسيو سكيابرلى الايطالى قد كشف سر الرجوم ، فعرف (أولا) ان خط مسير بعض المذنبات يوافق الخطوط التى كانت تتبعها بعض الرجوم ،وهذا حمله على القول بأن الرجوم والمذنبات ليست سوى طائفة واحدة وذلك لأن المذنبات هى كواكب تنحل بسهولة من تأثير السيارات التى تمر بجوارها فتفتت النواة وتنقسم الى ألوف من الأجزاء التى تجتمع أو تنفردو تتقارب أو تتباعد على مسافات طويلة تابعة كلها نفس الخط الذى يسلكه المذنب الذى تولدت منه .

وقد استشهد المسيو بارفيل على صحة قوله بمذنب بيال ، فان هذا المذنب البادىء دائماً للعيون فى أيامنا قد تقسم الى مذنبات صغيرة لاعداد لها (١) الى رجوم تسير جميعاً فى خط مسير المذنب الأصلى والخط المذكور يقطع مسير الأرض فى احدى النقط وتمر الأرض فى شهر تشرين الثانى . . . الى ان قال: ولا شك ان تساقط الرجوم الكثيرة فى ليالى تشرين الثانى ماهى الا زيادة وودا[illegible] من الرجوم المتولدة عن مذنب (بيالا) . . . الى ان قال : ولكن كم من هذ[illegible]

ــ ولقد حللوا الشهب المرجمة اليوم فوجدوا فيها النحاس والحديد وأقسام الفلز ،والآية بمناسبة سابقها : ﴿ يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والأرض ﴾ نص فى الشهب المرجمة لشياطين الجن .

(١) هذا صدق لقوله تعالى فى سورة الجن : ﴿ وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴾ ولو كانت الشهب أدخنة أرضنا لم يصح امتلاء السماء منها ــ فافهم .

المذنبات المتوارية قد تحللت وتفككت وعادت فزارتنا بصورة شهب فقط .

وقد حسب المسيو (كالندرو) فلكى مرصد باريس ان المذنبات ذات الدوائر الشلجمية هى التى تتحلل بسهولة ، وعنها ينتج مانراه بعض الليالى من الرجوم الكثيرة .

الرأى الاسلامى في الشهب والمذنبات

وبعد ماتلوت عليك آراء الحكماء جميعاً فى هذا المقام أتلو عليك الأدلة الواردة فى الشريعة الاسلامية الظاهرة فى موافقة المتأخرين ومخالفة الأقدمين:

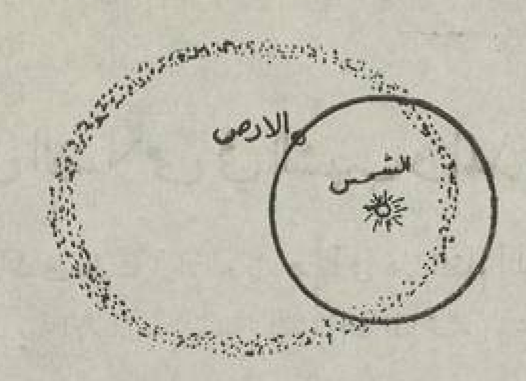
الدليل الأول

قوله تعالى : ﴿ انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد . لايسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحوراً ﴾ (١) فان الظاهر من سياق الآية يعطى ان الكواكب التى بها زين الله السماء الدنيا هى التى بها قد حفظها عن الشياطين المفسدين وبها يرميهم .

ولا يرتاب من استأنس بمقالات الشرع ان الشياطين لايرمون الا بالنيازكات فقط ، ولذلك تسمى شهباً ورجوماً ونيازكا .

وبعد النظر الى هاتين المقدمتين ـ أى كون النيازكات رجوماً للشياطين وكون رجوم الشياطين هى الكواكب المزينة للسماء الدنيا ـ ينتج كون الرجوم الشهبية من مقولة الكواكب والنجوم ، وان المادة فى الجميع واحدة ، وهو رأى المتأخرين فقط

(١) سورة الصافات آية ٦-٩ .



(ش - ١٨) مجموعة من الشهب على فلك اهليلجى وهى مع فلك الأرض

فان قلت : الكواكب التى بها زين الله تعالى السماء هى الأنجم الثابتة والرجوم هى النيازكات .

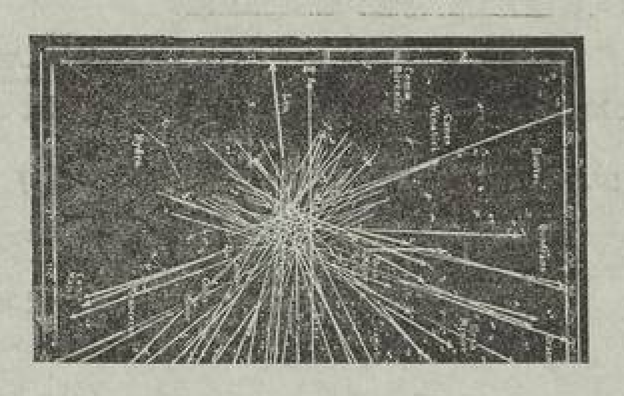
قلت : نعم اعتقاد هذا الأمر هو الذى أوقع قدماء المحققين والمفسرين فى قيل وقال ، فانهم كانوا لايطلقون الكوكب الا على الأجرام الفلكية ،وكانت النيازكات والمذنبات عندهم من الحوادث الأرضيه كما سبق ، ولذلك أضحوا حيارى ، اذ لو فسروا الكوكب بمعناه الظاهر الحقيق وقعوا فى محاذير (ومنها) دخول الشهب والرجوم فى الأجرام الفلكية مع انها حوادث أرضية عندهم . (ومنها) كون الكواكب فى السماء الدنيا مع انها فى السماء العليا عندهم

فالأحرى بنا هو الأخذ بظاهر الآية على رأى المتأخرين والقول بأن النجوم المزينة هى الأنجم الشهبية المرجمة (١) .

وقد عرفت صحة اطلاق النجم والكوكب على الرجم حقيقة .

* * *

فان قلت : الزينة انما تحصل بالكواكب الثابتة لابغيرها .



(ش - ١٩) من مناظر الشهب والنيازك

(١) ولقد وجدت هذا الرأى فى البحار أيضا فانه قال عند تفسيره آيات السماوات من باب أخبار السماوات وكيفيتها من كتاب السماء والعالم من موسوعة بحار الانوار مانصه : (الوجه الرابع) ان يكون المراد بالكواكب فى الآية الكريمة - يعنى آية ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ - الشهب المنقضة قريبا منها ، ولما كانت ترى حسا على سطح السماء فهى زينة لها ، وتؤيده تتمة الآية ... الخ .

قلت : تحصل الزينه بها وبغيرها ، بل الزينة الكاملة هى التى تحصل من الشهب الثاقبة الملتهبة والرجوم المتعاقبة والنيازكات المتقاطعة يمينا وشمالا وذوات الاذناب والذوائب المظهرة فى السماء منظراً جميلا ومشهداً معجبا . كما ترى فى شكل (١٩) .

ولذلك ترى الفرس يعبرون عن هذه الحالة بـ(چراغانى جهانى وآتش بازى آسمانى) . وسنحقق السماء الدنيا عن قريب .

الدليل الثانى

قوله تعالى . ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (١) وكلمة ﴿ حفظاً ﴾ منصوبة بفعل مقدر ، اى وزينا الدنيا بمصابيح وحفظناها بها حفظاً .

وتقريب ظهور الآية فى المطلوب تقدم فى الآية السابعة .

الدليل الثالث

قوله تعالى : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ (٢) وهذه الآية الكريمة صريحة فى ان المصابيح التى بها زين الله تعالى السماء الدنيا هى الشهب التى بها يرجم الله الشياطين - كما حققته فيما سبق .

واما السماء الدنيا التى تظهر زينة الشهب والمذنبات فيها لأبصار العباد فهى الكرة البخارية المحيطة بأرضنا .

وقد قدمت الأدلة الواضحة فى المسألة السادسة على انها هى السماء الأولى

(١) سورة فصلت آية ١٢ .

(٢) سورة الملك آية ٥ .

فراجع البتة .

وقد صرح فانديك الأمريكى وفلامريون الفرنسى وفيلكس ورنه وغيرهم ان الشهب لا تشع ولا تظهر للعيون الا فى مرورها فى كرتنا البخارية.

فظهرت - ولله الحمد - حقائق ما ورد فى القرآن العظيم من كون الرجوم من مادة النجوم ومن كونها فى السماء الدنيا ومن كونها زينة للناظرين . وسأشرح فى غير هذا الكتاب معنى كونها رجوماً للشياطين - وبه نستعين .

الدليل الرابع

فى اواخر مدح البلدان من كتاب البحار ج ١٤ وكتاب الخصائص وكتاب اقاليم البلدان فى ضمن مسائل عبد الله بن سلام اليهودى انه سأل النبي الأمى (ص) عن النجوم كم جزء (قسم) هى ؟ فقال النبي (ص) : « ثلاثة اجزاء : جزء منها بأركان العرش يصل ضوؤها الى السماء السابعة ، والجزء الثانى بسماء الدنيا كأمثال القناديل المعلقة وهى تضيء لسكانها وترمى الشياطين بشررها ، والجزء الثالث معلقة فى الهواء وهى ضوء البحار وما فيها وما عليها » .

اقول : ظاهر الخبر يقسم الأجرام السامية الى ثلاثة اقسام :

(الأول) الكواكب الثابتة الكائنة فى خارج عالم شمسنا ، وقد اشرنا الى ان الشرع يطلق العرش غالباً على محدد نظام الكون بأسره المحيط بالشموس والعوالم ، كما يطلق الكرسى على محدد نظام عالمنا الشمسى ، فالكرسى يسع السماوات والأرضين من عالمنا والعرش يسع الكرسى وعوالم اخرى . فقوله ﷺ : « بأركان العرش » اى فى خارج عالمنا الداخل تحت بواطن العرش.

وقوله (ص) : « يصل ضوؤها الى السماء السابعة » اى لا نرى

ضوءها القوى أو مطلق ضوئها فى ارضنا من شدة بعدها .

نعم نراها بأبصارنا المجردة لو صرنا فى السماء السابعة ـ اعنى كرة زحل ـ او فوقها ونراها فى الأرض بأقوى النظارات .

ولا يخفى عليك ان المبصر من الثوابت اذا قيس بغير المبصر منها كان اقل نسبة من الواحد بالنسبة الى الآف الملايين .

(القسم الثانى) هو النجوم الشهبية والرجوم النيازكية التى تظهر لنا فى السماء الدنيا ـ اى كرتنا البخارية ـ كأمثال القناديل المعلقة (بتخفيف اللام) اى المسرجة ، من اعلقت النار الحطب . فهذه النجوم تضىء سكان الكرة البخارية فقط ، وهم اهل الأرض او مخلوقات جوهم .

(القسم الثالث) النجوم السيارة الممتازة عن القسمين الثوابت والرجوم فى اوصافها لا فى مادتها ، والنجمة السيارة مطلقا معلقة (بتخفيف اللام) اى مسرجة منيرة فى جوف هوائها الكروى ، كما قال (ص) : « الثالثة المعلقة فى الهواء » ، أو بتشديد اللام من التعليق اى مربوطة ومعلقة فى هوائها الكروى كما يراه الأواخر ـ غير مركوزة فى ثخن الفلك كما زعمه المتقدمون .

وجميع ما سمعت من مضامين هذا الخبر الشريف منطبق على الآراء المستحدثة ، لكن ما يناسب هذا المقام انما هو قوله (ص) الجزء الثانى الى قوله الجزء الثالث .

الدليل الخامس

قول على امير المؤمنين عليه السلام فى حديثه الطويل المروى فى البحار ج ١٤ وتفسير الفرات ومن جملته : « وجعل فى كل سماء شهباً معلقة » بتخفيف اللام او تشديدها كما مر آنفاً ، فيدل على وجود الشهب والرجوم فى سماء كل ارض

اى فى كل كرة بخارية محيطة بالأجرام السامية ، وهو الرأى المختار عند المتأخرين ، فانهم لا يخصون سماء ارضنا بالشهب والنيازكات بل يدعون انها اجرام تسبح كالحيتان الصغار فى ابحر الفضاء ، فقد تصادف ارضنا أو سيارة اخرى فتخرق كرتها البخارية بصورة شهاب لامع .

وليت شعرى ما كان يصنع المتقدمون بأمثال هذا الخبر غير الطرح أو التأويل البعيد الذى لا يساعده شاهد ؟

فهذا الخبر يخالف ترتيب القدماء خلافاً واضحاً اشد من وضوح موافقته لنظامنا السديد ؟.

وفى بعض خطب على عليه السلام المروية فى نهج البلاغة كلمات تناسب هذا المقام . مثل قوله عليه السلام فى وصف السماء الدنيا : « ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب » .

وقد تلونا عليك فى هذه المسألة كثيراً مما يؤيد ترتيبنا المذكور فى المسألة السادسة ، فارجع البصر هل ترى من فطور .

الدليل السادس

فى بعض اخبار البحار والدر المنثور : « ان القمر والنجوم والرجوم فوق السماء الدنيا » .

اقول : وظاهره ينافى مبانى القدماء ، لأن السماء الدنيا عندهم فلك القمر ويستحيل لديهم وصول الرجوم اليه فضلا عن النفوذ فيه أو التفوق عليه ، لكون الرجوم من حوادث ارضنا والفلك مطلقا منزه لديهم عن الأرضيات ولكن البانى على مبانى الهيئة الجديدة يمكنه الأخذ بظاهر ذلك ، فان الرجوم سباحة فى الفضاء الوسيع وجمهورها فوق كرتنا البخارية ـ اى السماء الدنيا ـ غاية الأمر انها غير ظاهرة لأبصارنا ، وانما تظهر لنا عند ما تخرق سماءنا

لامعة مشعشعة حتى تخرج من الطرف الآخر أو تمس الأرض فلا تفارقها ، فجميع النيازكات غير الظاهرة فوق السماء الدنيا .

الدليل السابع

فى البحار ج ١٤ باب السماوات والنجوم واعدادهاوكتاب النجوم لابن طاوس مسنداً الى الوصى الثانى الحسن السبط عليه السلام انه قال فى خطبة وصف النجوم : « ثم اجرى فى السماء مصابيح ضوؤها فى مفتتحه وجعل شهابها من نجومها الدرارى المضيئة التى لولا ضوؤها ما انفذت ابصار العباد فى ظلمة الليل » .

اقول : كأن هذا الخبر القدسى يشير الى ما نقلته عن (سكياپرلى) وغيره ان الشهب النيازكية اجزاء المذنبات المنحلة ، وتفصيل ذلك ان المصابيح التى ضوؤها جميعاً فى مفتتح منها انما هى المذنبات بحسب الظاهر اذ هى كمصباح مستطيل ، وعمدة ضوء المذنب فى رأسه ومفتتحه المسمى (نواةالمذنب)

وقوله عليه السلام : « وجعل شهابها من نجومها الدرارى » اى جعل شهب السماء من نجوم تلك المصابيح ، فالمذنب كمصباح مستطيل له رأس - اعنى اصل النجمة - وذيل - اعنى البخار المتصل بتلك النجمة .

والخبر دل على ان الشهب تتكون من نجوم تلك المصابيح ونواتها عند تفتتها وتفككها لامن غير النواة ، وهو الرأى المختار جديداً بعينه .

وقوله عليه السلام : « الدرارى المضيئة » يجوز ان يكون توصيفا لنجوم المصابيح أو لنفس المصابيح . ونحن لا نجزم بهذه التفاسير وان كانت ظاهرة ، لجواز ان يكون هناك تفاسير تفضل عليها

الدليل الثامن

في كتاب العلل لابن بابويه والبحار ج ١٤ وتفسير البرهان والأنوار النعمانية للسيد الجزائري مسنداً عن امير المؤمنين علي (ع) انه سئل عن (الطارق) الذي في القرآن؟ فقال : «هو احسن نجم في السماء وليس يعرفه الناس ، وانما سمي الطارق لأنه يطرق نوره سماءاً سماءاً إلى سبع سماوات ، ثم يطرق راجعا حتى يرجع الى مكانه» . وفي نسخة من علل الشرائع : «ثم يطرق سماءاً سماءاً راجعا حتى يرجع الى مكانه» .

اقول : وهذا الخبر ظاهر في تعريف المذنب من جهات :

(منها) قوله عليه الصلاة والسلام : «احسن نجم في السماء» فان النجوم ثوابتها وسياراتها في مرتبة واحدة في الحسن والشكل لايفوق بعضها على بعض الا في مقدار الضوء ومقدار الجسم لا في حسن الشكل بخلاف المذنب فانه ممتاز من جميع نجوم السماء في حسن الصورة وبهجة المنظر وطرافة الشكل مع ذوائب مرسلة او اذناب مخروطية أو غير ذلك ، فهي لدى الانصاف اذا قيست بأنجم السماء كانت احسنها من كل الوجوه . والعجب ممن فسر الطارق بنجمة زحل مع انها ليست بأحسن النجوم قطعا لو لم تكن بأسوئها .

(ومنها) تسميته بالطارق ، فانها تشعر بشدة السير والطروقة بغتة وغفلة ، وذلك مختص بالمذنب .

(ومنها) قوله (ع) : «وليس يعرفه الناس» فالمذنب -كما عرفت- لم يفطن احد من الخلق بأنه نجم سماوي حتى ظهر تيخو براهه بعد الألف الهجري ، فكان علي (ع) اول من وصفه للناس وتيخو براهه اول من برهن امره ، وكان السابقون عليه يعدونه من حوادث العصر ، حتى في عصر النبي وقبله وبعده ، فهو احق بهذه الصفة من غيره .

(ومنها) قوله عليه الصلاة والسلام : «يطرق نوره سماءاً سماءاً الى سبع سماوات ، ثم يطرق سماءاً سماءاً راجعا حتى يرجع الى مكانه» فان هذه الصفة مختصة بالمذنب كما ذكرته فى الفرق الرابع فى صدر هذه المسألة .

وطروق نوره كناية عن اصل جرمه المنير ، والا فنفس النور من كل جرم ينفذ فى جميع جهاته - ثابتا كان او سياراً او مذنبا .

ولعمرى ان المتأمل فى مطاوى هذا الخبر الشريف يجده كافلا لشرح المذنب بأوجز بيان وأقربه ، ناطقا بصحة النظام الجديد وصدق هذا الشرع السديد ﴿ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

«المسألة الرابعة عشر»

(فى تعدد العوالم والنظامات)

بلغنا عن حكماء عصرنا مقالة غريبة خلاصتها : ان هذه الثوابت على كثرتها وبعدها البعيد شموس مستقلة عظيمة ، حولها سيارات كبرى اكثر من سيارات شمسنا منظمة الحركات ذات حيوان ونبات ، فهل نطق شرع الاسلام بما يوافق هؤلاء او خالفهم كالقدماء أو سكت كأكثر الشرائع ؟ .

(الجواب)

قد مر غير مرة ان القدماء من الفلاسفة والحكماء ذهبوا الى ان العالم الجسمانى كرة واحدة منضدة من ثلاثة عشرة كرة تسعة منها افلاك كلية واربعة طبقات العناصر الأربعة ، وارضنا هذه مركز الحركات ثابتة فى وسط العالم الجسمانى تحيط بها الكرات الاثنتى عشرة .

وزعموا أن الكواكب التى نسميها (الثوابت) اجرام عظام مظمة فى نفسها وانها اجمع تكسب النور من شمسنا المبصرة ، وجميع تلك الأجرام مركوزة بأسرها فى ثخن الفلك الثامن (١) وليس فى الفلك التاسع جرم ، ولذلك يعرف بالأطلس ، فانه غير منقوط الاسم ولا بمنقوش الجسم ، واقاموا

---

(١) كان القدماء يحددون اجرام الثوابت بمقادير حقيرة جداً ، كما نقل عن البرجندى عن ابرخس وبطليوس فى ص ٢٢ من زيج اصفهان .

البراهين على ان العالم الجسمانى منحصر الفرد بما هو فى جوف هذا الفلك ، وانه يستحيل وجود عالم غيره .

ووافق هؤلاء جمع من علماء المسلمين ، ففسروا بالأطلس عرش الله تعالى الوارد اسمه فى شرعنا وبفلك الثوابت كرسيه المحيط بالسماوات والأرضين

واما حكماء الهيئة العصرية فقد ثبت لديهم ان سيارات شمسنا واقمارها تكتسب الأنوار طراً من شمسنا وان سعة عالم شمسنا المحدود بمدار نبتون ألف وخمسمائة مليون فرسخا ، فترى شمسنا العظيمة عند نبتون كنجمة صغيرة بقدر الجوزة ، ومقتضى ذلك اضمحلال نورها فيما بعد بنتون .

وعلى هذا يستحيل ان تكتسب الكواكب الثابتة انوارها من شمسنا اذ هى فى منتهى البعد البعيد عن نبتون .

ألا ترى ان بعض المذنبات يبتعد عن شمسنا اكثر من بعد نبتون بأربعة عشر مرة ، وهو مع ذلك مجذوب لشمسنا لا تغلب عليه جاذبية كوكب آخر لكثرة ما بقى من البعد بينه وبين الكواكب الأخرى .

وحسبك النظارات التى تكبر زحل مع بعده البعيد فى منظرنا اضعاف ما يبصر بألف مرة لا تتمكن من تكبير الثوابت عما ترى بالبصر ، غاية الأمر تجليها وتظهر خافيها لكثرة البعد البعيد .

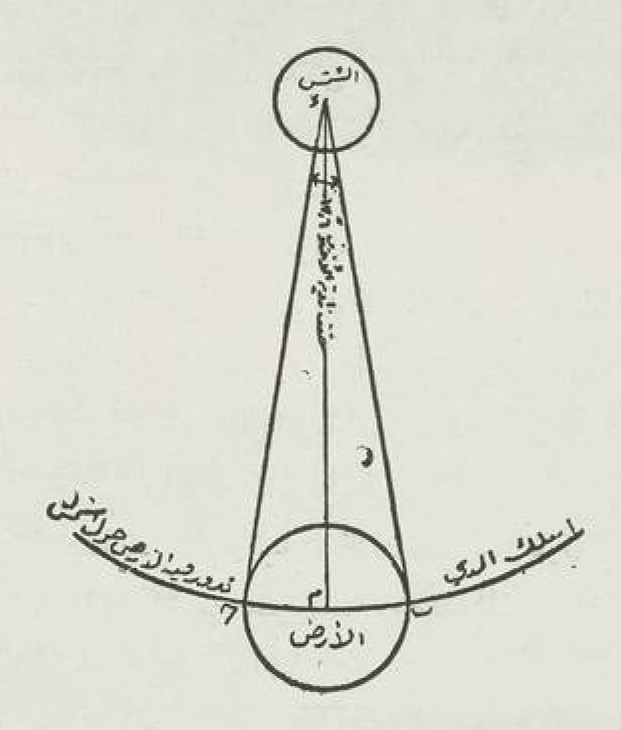
قال فانديك فى ارواء الظلماء : ان اقرب الثوابت الى نظام شمسنا بعيد عنا اكثر من بعدنا عن شمسنا بتسعمائة ألف مرة .

وفى مجلة الهلال المصرية ص ٤٧٨ من سنة ١٩٠٩ : ان اقرب الثوابت الى ارضنا هى « دلفا » (١) وهى بعد الدقة الأكيدة تتخذ فرقاً فى موقعها باختلاف

(١) لعل (دلفا) كلمة عربية ، وهى بفتح الدال وآخرها الف مقصورة بمعنى القريبة ، من « دلف » و « ازدلف » بمعنى قرب وتقرب ، حيث ان

المنظر السنوى بمقدار الثانية ، فعلم ان بعدها ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠ ميلا ، أى عشرون مليون مليون ميلا ، وتصل نورها الينا فى ثلاث سنين ، والنور يسير فى الثانية مائة وتسعون ألف ميل - انتهى .

فما تقول فى ثابتة يصل نورها الينا فى مائة سنة أو ألف سنة أو اكثر ؟!



(ش - ٢٠) مقياس بعد الأرض عن الشمس

— هذه اقرب الثوابت الى عالمنا الشمسى .

فى ارواء الظماء : ان النجم من القدر السادس عشر لايكون بعده عنا أقل من ثلاثمائة وثلاثة وستين مثل بعد الشعرى . فينتهى نوره الينا فى خمسة آلاف سنة - انتهى .

أقول : فما ظنك بالنجم من القدر الثامن والعشرين .

* * *

فاذا عرفت بعد الثوابت عنا هذا البعد العظيم قلنا : فكيف يمكن أن تكتسب أنوارها عن شمسنا التى يتلاشى نورها بعد مدار نبتون فلا محيص من الالتزام بأن الثوابت منيرة بذاتها مستقلة بأنفسها عن عالم شمسنا ، واذا ثبت انها منيرة بالذات تشع النور والنار بنفسها نحو الجهات ثبت كونها شموساً مستقلة أصغرها أعظم من شمسنا بألوف مرة .

ولأجل اثبات كبرها نقول : ان شمسنا العظيمة ترى عند نبتون كنجمة صغيرة ثم يضمحل نورها بعده فلا ترى أبداً مع انها لم تبتعد بمليون مليون فرسخاً ، وعليه فما تقول فى نجمة (دلفا) التى يقرب بعدها عنا نحو عشرة أضعاف بعد الشمس عن نبتون ونراها مع ذلك جلية ؟

ثم ان دلفا يصل نورها الينا فى ثلاث سنين ، فما تقول فى الشعرى التى تصل الينا نورها فى اكثر من عشرين سنة ، وهكذا فما تكون شمسنا عند هاتيك الشموس الاكبة خردل عند الجبل (١) .

---

(١) جاء فى المقتطف المجلد ٤٥ ص ٣١٠ مقالا بعنوان (نور النجوم) وفيه :

قال الدكتور دبزون فى خطبة تلاها فى المعهد العلمى بمدينة لندن : انه يظهر فى مقابلة أبعاد النجوم بمقدار اشراقها أو النور الواصل منها الينا ان فى الفلك بيننا وبين ما بعده عنا مائة برسك (برسك اسم لمسافة مائتى الف مرة —

وبالجملة قد غدى اليوم مسألة كون الثوابت شموساً عظيمة عند الحكماء تعد

— كبعدا لأرض من الشمس) نجوماً يختلف عددها واشراقها حسب ماترى فى الجدول التالى :

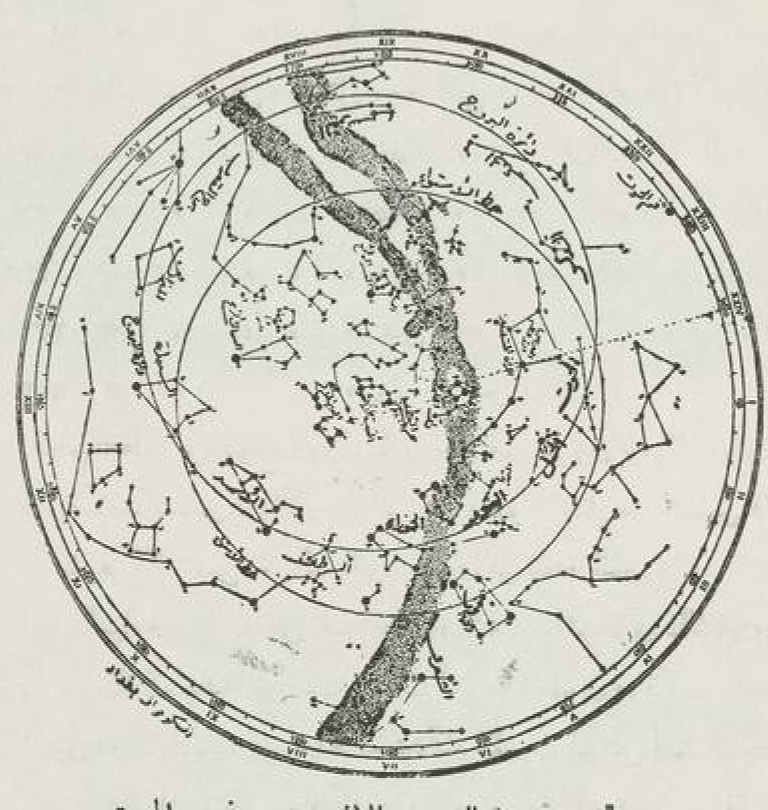
٢٤	نجماً اشراق كل منها مثل ١٠٠ شمس
٣٤٠	» » » » » » ٥٠ »
١٣٥٠	» » » » » » ٢٥ »
٤٨٤٠	» » » » » » ١٠ »
٢٣٢٠٠	» » » » » شمس واحدة
٩٢٣٠٠	» » » » » ١٠/١ شمس

فنجم القطب من النوع الأول لأن بعده عنا عشرون برسكا أى أربعة ملايين مرة كبعد الشمس من الأرض فلو كان بعده عنا مثل بعد الشمس فقط لظهر لنا مشرقا كمائة شمس مثل شمسنا وهو الآن من القدر الثانى .

وفى السماء نجوم أبعد من نجم القطب وأشد منه اشراقا فى ذلك ٢٦٩ فى النجوم الحمراء اللون بعدها عنا الف برسك أى ٢٠٠ مليون مرة كبعد الشمس عن الأرض فلو كانت الشمس بعيدة عنا كذلك لظهرت لنا مثل نجم بين القدر الخامس عشر والسادس عشر ولكن هذه النجوم بين القد ١/٢ ٩ والقدر الحادى عشر ولذلك فاشراقها أشد من اشراق شمسنا ٢٥٠ مرة الى ٦٣ مرة .

وتختلف كثافة النجوم باختلاف بعدها عنا فاذا حسبنا كثافة التى على مائة برسك مناواحداً فالتى على خمسين برسكا كثافتها ١،٣٠ والتى على ٢٠٠ برسك كثافتها ٠،٧٠ والتى على ٣٠٠ برسك كثافتها ٠،٤٨ والتى على ٤٠٠ برسك كثافتها ٠،٣٢ والتى على ٥٠٠ برسك كثافتها ٠،٢١ .

والنجوم الصفراء اللون هى أقرب النجوم الينا غالباً والعشر منها بعده عنا —



(ش - ٢١) البروج الاثنى عشر ونجوم المجرة

— أقل من مائة برسك والعشر منها بعده عنا اكثر من ٥٠٠ برسك والثمانية الاعشار الباقية بين بين . واذا تقدمنا من النجوم التى لونها أصفر الى النجوم التى لونها أزرق أو برتقالى رأيناها تزيد بعداً عنا . ٩٠ الى ٩٥ فى المائة فى النجوم أشد أشراقا — انتهى .

من المسائل الواضحة ، وان شمسنا المبصرة أيضاً لنجمة من الثوابت اذا كثر ابتعادك عنها .

ففى كتاب النقش فى الحجر فى الفصل الرابع عشر : « الشمس انما هى نجم من النجوم وهى انور النجوم وأكبرها (أى فى نظرنا المجرد) لأنها أقرب الينا من سائر النجوم ، والنظام الشمسى انما هو عدة أجرام باردة دائرة حول جرم حام ، وأرضنا مثال السيارات الباقية والشمس مثال النجوم الدرارى المالئة للكون الوسيع على أبعاد لاتدركه عقول البشر ، سواء منها صور النجوم أو نجوم البروج الاثنى عشر ونجوم المجرة التى تشبه درب التبانة من تلاصق نجوم الصغار - كما فى شكل (٢١) .

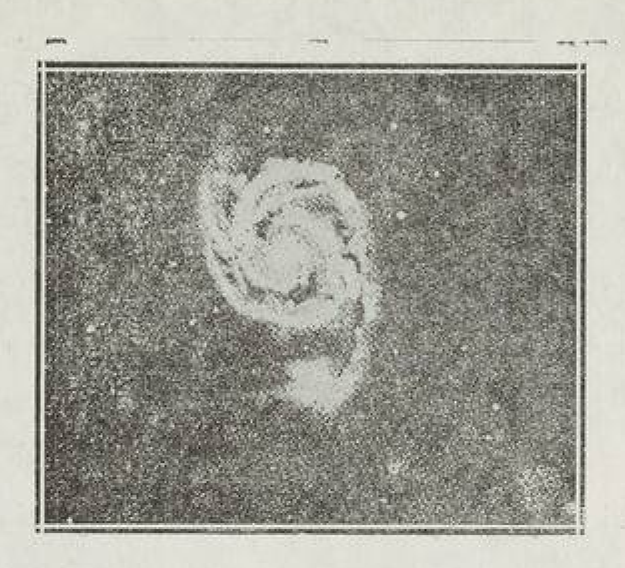
« وقد قالوا : ان هذه النجوم المتلاصقة بعيد كل منها عن الآخر بأكثر من بعد شمسنا عن ماوراء نبتون » .

« وكل نجم من النجوم الثوابت شمس تدور حولها سياراتها كما تدور سيارات شمسنا حولها . أما تلك السيارات فلا تظهر لنا لكونها اجراماً مظلمة وتظهر شموسها لكونها أجراماً نيرة مثل شمسنا » - انتهى .

وفى دائرة المعارف : « وهذه الثوابت يبعد أقربها عن أبعد السيارات بعداً شاسعاً وكل نجم منها نراه فى السماء فى ليل صاف هو شمس نورها ذاتى يضىء على عوالم ونظامات كما تضىء شمسنا على العوالم فى نظامها » .

أقول : هذا مطلب يتفرع على كون الثوابت شموساً - أعنى به وجود سيارات أخرى تدور حول الثوابت بنظام يشبه نظامنا وعالم يشبه عالمنا ، فى حين ان بعض الثوابت لاتزال فى دورها السدمى على شكل لولبى ، كما ترى فى شكل (٢٢) .

وتعد هذه شمساً غير ناضجة ، لكنما الناضج منها شمس نيرة دوارة على نفسها كشمسنا هذه ، ولم يهتد الحكماء اليه بعد الا بالحدس والظن ، لاسيما على



(ش - ٢٢) السديم اللولبي

المذهب المتقرر فى مبدأ تكوين الشمس والسيارات ، راجع مبحث تكوين العالم وأجرامه ، فان الخصائص والعوامل التى أثرت فى شمسنا اثر خلق الأراضى والأقمار وتكوين الحيوان والنبات فى تلك الأراضى هى بالظن القوى موجودة لباقى الشموس ، فلا يبعد ان يكون لها نظامات كنظامنا وعوالم كعالمنا .وهذا الظن موافق لمقتضيات حكمة الخالق تعالى وفضله .

وحيث ان الله تبارك وتعالى لم يترك شمسنا هذه مهملة الوجود معطلة الفيض بل استعمل ماأودع فيها من القوى والطبائع والأنوار والحرارات وخلق منها أراض كثيرة كبيرة سيارة حولها تستعطى من فواضلها واستولد من ذلك أصناف المواليد والمواد وأنواع الحيوانات والجماد مما يعجز الناس عن

بيانه ، فاستخرج هذه الثمرات الوجودية من شمسنا الحقيرة ولم يتركها كبُر معطلة اذا لم يخلقها سدى .

ومن سنة الله تعالى شأنه ان لا يبخل من الفيض اذا صار المورد قابلا له صالحاً . فاذا كانت سنة البارى تعالى على هذا مع أرضنا الحقيرة وشمسنا الصغيرة التى ليس لها قدر محسوس بالنسبة الى سائر الأراضى والشموس فكيف يترك الله تعالى تلك الشموس الكبيرة والكواكب الكثيرة مهملة الوجود معطلة الطبيعة (سبحانك ماخلقت هذا باطلا) .

كيف يدعها وليس لديها اجرام تتكامل من خيراتها ولا يتربى حى فى حجرها بعواطف تأثيراتها (حاشى فضل الله وحكمته عن ذلك) ، فظنهم بوجود نظامات حول الكواكب الثابتة قريب بعداثبات كونها شموساً تشبه شمسنا

وقد تأكد ظنهم المذكور بعد ما اكتشفوا سيارة حول كوكب الشعرى - كما ادعاه فيلكس ورنه الفرنسى - وسيارة اخرى فى برج السنبلة سموهـا (اونوريا) كما فى هامش مشهد الكائنات ص ٧٦ ، وهى كنجمة من القدر الثانى عشر اكتشفتها الحكيم باليزا فى مرصد فينا .

ثم حدسوا من هـذه المبانى والتى ذكرناها فى مسألة وجود الحيوان فى السيارات ان سيارات تلك الشموس ايضـاً ذات نبات وحيوان وادارات معاش كامل ، وان حيواناتها تختلف مع حيوانات أرضنـا كمية وكيفية وشكلا وغير ذلك بحسب فضيلة شمسها على شمسنا

* * *

وأما الديانة الاسلامية فمقالاتها ظاهرة فى موافقة الهيئة العصرية ، بل صريحة فى ان الكون لا ينحصر بعالم واحد أو نظام فرد لشمس واحدة ، بل الله تعالى قد خلق بفيضه الكامل شموساً كهذه الشمس المبصرة لها مخلوقات حية كمخلوقات

شمسنا لاعلم لهم بنا كما لاعلم لنا بهم لفقد الروابط، وان الكون مؤلف من عوالم ونظامات غير محصورة كل عالم منها يشتمل على أراضى وسماوات وحيوان ونبات كما قرره الحكماء المتأخرون عن الألف الهجرى .

وهذه المقالات الاسلامية كثيرة متوافرة نكتفى بسرد بعضها فنقول :

المقالة الأولى

فى الخصال والبحار ومنتخب البصائر والمحتضر والأنوار النعمانية وشرح الصحيفة السجادية للجزائرى وتفسير نور الثقلين وغيرها من كتب قدماء الامامية باسناد قوى الى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان لله عز وجل اثنى عشر ألف عالم كل عالم منهم اكبر من سبع سماوات وسبع أرضين مايرى عالم منهم ان لله عز وجل عالماً غيرهم » .

وانطباق هذا الخبر واضح على رأى المعاصرين القائلين بأن الكون مؤلف من عوالم تنوف الألوف، كل عالم منها عبارة عن سماوات وأرضين أكبر من عالمنا المؤلف من سماوات وأرضين .

وفى هذا الخبر اشارات الى اشتمال تلك العوالم على كائنات حية عاقلة :

(منها) ارجاع ضمير ذوى العقول الى العوالم باعتبار من فيها .

(ومنها) نفى الرؤية الخاصة والعلم المخصوص عن أهل تلك العوالم . فان ذلك لاينبغى الا فيمن هو شأنه العلم والرؤية - كما لايخفى .

المقالة الثانية

فى الاحتجاج والاختصاص ومنتخب الاختصاص والبحار ج٤ وبصائر الدرجات بسند صحيح عن ابان بن تغلب عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال

للعالم اليمانی : « يسير عالم المدينة (يعنی نفسه) فی ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثنی عشر ألف عالم مثل عالمكم هذا ، ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ابليس » .

اقول : احتمل بقرينة ما فی المقالة الثالثة ان يكون المراد من هذا السير السير الروحانی دون الجسمانی ، فتجول نفسه القدسية فی اعماق الكون وتحيط بعوالم غير متناهية ، واحتمل ان يراد بمسيرة الشمس سنة غير هذه السنة المعروفة للشمس ، بأن يراد سير الشمس بنفسها سنة كاملة بصحابة اطفالها حول مركزها المجهول بالحركة الانتقالية فی الفضاء المهول .

ويعلم باقی ما يتعلق بالخبر مما فی المقالة الأولى .

المقالة الثالثة

فی البحار وشرح الصحيفة السجادية وبصائر الدرجات ومنتخب الاختصاص وغيرها مسنداً إلى الامام الرابع علی بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال لمنجم : « هل ادلك على رجل (يعنی نفسه) قد مر منذ دخلت علينا فی اربعة عشر عالماً كل عالم اكبر من الدنيا ثلاث مرات لم يتحرك من مكانه ؟ » ، قال : من هو ؟ قال : انا .

اقول : تطلق الدنيا على ارضنا تارة وعلى عالمنا اخرى ، وعلى كلا الفرضين - سيما الأخير - يشعر الخبر بكثرة عوالم وسيعة منتظمة خارجة عن سعة علمنا .

وفی قوله عليه السلام : « لم يتحرك من مكانه » دلالة على ان مرور الامام (ع) فی هاتيك العوالم بسير معنوی - وسفر روحانی - كما اشرت اليه فی المقالة الثانية .

المقالة الرابعة

فى تفسير القمى والبحار مسنداً عن ابن عباس صاحب النبي ﷺ فى تفسير ﴿ رب العالمين ﴾ قال : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالم وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفة عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده ، كل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد » .

اقول : قد ذكرت فى مسألة تعدد الأرضين كون قاف اشارة الى مخروط ظل الأرض القافى لنور الشمس ، وان البحار السبعة هى المجارى المتوسطة بين مدارات المحيط بها والسيارات الممتلئة من جوهر (اتر) المائع المواج ، وتسبح السيارات فى هاتيك البحار كالحيتان ـ على ماحققته وشرحته هناك ، فراجع حتى يتضح لديك ما اقول .

وبناءاً على ذلك تكون هذه العوالم خارجة عن نظام شمسنا من وراء سماواتنا .

وفى قوله : « كل عالم منهم يزيد ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد » دلالة قوية على ان تلك العوالم خارجة عن عالمنا ، وان المبدأ الأول لأناسيهم غير آدمنا المعروف ، فان مدلول هذا الكلام انك لو جمعت جميع من ولده أبونا آدم عليه السلام فى طرف من بدو الخلقة إلى آخرها ثم جمعت عالماً واحداً من تلك العوالم فى طرف لزاد هذا العالم الواحد على آدم ومجموع من ولده آدم بأكثر من ثلاثمائة مرة .

فكيف يجوز بعد ذلك أن تأخذ اولئك الأناسى من ولد ابينا آدم ؟

والأخبار فى شريعتنامتواترة فى تعدد مثل آدم ابى البشر وان لافراد الانسان مبادىء غير منحصرة .

المقالة الخامسة

في البحار وشرح الصحيفة السجادية للسيد الجزائري وكتاب المحتضر للشيخ حسن بن سليمان مسنداً الى الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال : « ان لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء ، فبالخضرة منها خضرة السماء ، قلت : وما النطاق ؟ قال : « الحجاب . ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم اكثر من عدد الجن والانس » .

وقد بينت في رسالة جبل قاف تطبيق هذا الحجاب على ظل الأرض المخروطي وشباهته بالزبرجد الأخضر (١) وان المراد من وراء ذلك وراء نظام شمسنا . والعوالم هي النظامات الشمسية التي اوضحتها ادوات العلوم العصرية ، وهي فوق الاحصاء كثرة ، ولذلك ورد عددها في شرعنا على اختلاف حسب اختلاف المقامات .

وقوله عليه السلام : « اكثر من عدد الجن والانس » مبالغة في الكثرة ، بمنزلة ان يقول : اكثر مما لا يرى ومما يرى .

---

(١) ان هذا التفسير مخالف لمنطوق الخبر حيث يقول : « خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء » فالزبرجدة غير النطاق والنطاق غير الزبرجدة ، ولكن سماحة المؤلف في تفسيره هذا يريد ان يبين أن النطاق هو ظل الأرض المخروطي والزبرجدة ايضاً ذلك الظل المخروطي الذي اكتسب الخضرة من المجاورة واختلاط النور والظلمة - أي ان النطاق والزبرجدة شيء واحد لا شيئان - والحال ان الخبر يقول بتعددهما واختلافهما كما قلنا . وبالنتيجة لم يتبين معنى النطاق ولا معنى الزبرجدة ، وربما يراد من الزبرجدة في هذا الخبر احدى السيارات الشمسية - (ف) .

المقالة السادسة

فى البحار وفرج المهموم لابن طاوس عن كتاب الأنبياء والأوصياء لمحمد بن على ان الامام الرابع على السجاد عليه السلام قال للمنجم فيما قال : « هل ادلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا فى اربعة آلاف عالم » .

المقالة السابعة

فى كتاب الشيخ أبى الليث السمر قندى ان النبى صلى الله عليه وآله قال : « ان لله تعالى جده ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد » .

ورواه السيد نعمة الله الجزائرى فى شرحه على الصحيفة بزيادة قوله صلى الله عليه وآله « الدنيا من مشرقها الى مغربها عالم واحد » .

ورواه الشيخ سراج الدين ابن الوردى فى كتاب خريدة العجائب عن ابى سعيد الخدرى صاحب النبى صلى الله عليه وآله : « ان لله تعالى اربعون ألف عالم الدنيا من شرقها الى غربها عالم واحد » .

وعن تفسير ابن شهر آشوب عنه صلى الله عليه وآله : « ان لله ثمانيـة عشر ألف عالم واحدها الدنيا » .

واختلاف بعض الألفاظ كاختلاف العدد محمول على عوارض مقامية او شخصية كما مر مراراً .

ولعمرك ان عدد العوالم فى غاية الاختلاف فى مقالات الشريعة : ففى بعضها اربعة عشر وفى ، بعضها اربعون ، وفى بعضها سبعون ، وفى بعضها ثلاثمائة وبضعة عشر، وفى بعضها برواية سعيد بن المسيب ألف عالم ، وفى بعضها اربعة آلاف وفى بعضها سبعة آلاف وفى بعضها عشرة آلاف وفى بعضها اثنى عشر ألفاً وفى بعضها ثمانية عشر ألفاً كما رواها وهب بن منبه وابى بن كعب وهما من

اصحاب النبي ﷺ ، وفى بعضها اربعون ألفاً ، وفى بعضها سبعون ألفاً كما رواها ابن عباس ايضاً ، وفى بعضها ثمانون ألفاً عن مقاتل بن حيان ، وفى بعضها مائة ألف ، وفى بعضها ستمائة ألف ، وفى بعضها ألف ألف ، وفى بعضها كلمة (ما لا يحصى).

فاذا رأينا ذلك كله علمنا ان المتكلم لم يقصد بذكر هذه الأعداد تشخيص المعدود ، بل كان غرضه مجرد بيان كثرة المعدود والمبالغة فيه ، لا سيما على القول بأن العدد لا مفهوم له ـ كما اختاره جمع من الفقهاء واللغويين ـ أو نقول فى ذلك : ان الصحيح عدم تناهى عدد العوالم كما اشار اليه بقوله : « ما لا يحصى » ، لكن السامعين يختلفون فى تحمل الغرائب وتصديق العجائب فكان الامام عليه السلام ونحوه يلقى الكلام على حسب استعداد المخاطب ويذكر له عدداً يطيق سماعه ـ كما مر فى آخر المقدمة الرابعة انهم (ع) امروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم واحوالهم ، أو لجهات غير ذلك ذكرت بعضها فى المقالة الاولى من المبحث الخامس من مسألة صفات الشمس .

المقالة الثامنة

فى الكافى والوافى لمحمد محسن الفيض والبحار وغيرها بسند قوى عن ابى حمزة الثمالى قال : قال لى ابو جعفر محمد الباقر عليه السلام ليلة وانا عنده ونظر الى السماء فقال : « يا ابا حمزة هذه قبة ابينا آدم ، وان لله عز وجل سواها تسعة وثلاثين قبة فيها خلق ماعصوا الله طرفة عين » .

وهذا الخبر الشريف مشهور بحديث القباب ، وارجح حمله على الأراضى المتعددة المنتشرة فى الفضاء الواسع جملة منها تتبع الشمس وجملة اخرى تتبع نظامات اخرى غير عالمنا ، وحول كل ارض منها سماء غازى محيط به كالقبة .

وقد تقدم فى مسألة ترتيب السماوات السبع فى حديث الرضا عليه السلام ان سماء كل ارض محيط بها كالقبة فوق الشىء ـ والله اعلم .

المقالة التاسعة

فى البحار والأنوار النعمانية والاحتجاج وشرح السيد الجزائرى على الصحيفة السجادية وفرج المهموم للسيد ابن طاوس بأسانيد قوية عن امير المؤمنين على عليه السلام انه قال للمنجم الفارسى (سرسفيل الدهقان) : « فى البارحة سعد سبعون ألف عالم وولد فى كل عالم سبعون ألفاً والليلة يموت مثلهم » .

اقول : هذا الاحصاء قريب من الاحصاءات الأخيرة فى عصرنا على ما قاله الفاضل جورجى زيدان فى ص ٦٦٨ من اهلة سنة ١٣١٥ : انه يموت على وجه ارضنا كل ليلة تسعون ألفاً .

فيظهر من هذا الخبر ان لله تعالى سبعين ألفاً من العوالم كعالم ارضنا ـ (وهو رب العالمين) .

وروى ابن طاوس هذا الخبر ايضاً بسند آخر ، وفيه : « ان ألف ألف من البشر يولدون اليوم والليلة ويموت مثلهم » . وفى خبر آخر : « كلهم مولدون فى يوم واحد ومائة ألف من البشر كلهم يموتون الليلة وغداً » الى ان قال عليه السلام لسرسفيل : « ولو علمت ذلك لعلمت عدد كل قصبة فى هذه الأجمة » ، وكانت عن يمينه اجمة قصب .

المقالة العاشرة

فى التوحيد للصدوق والخصال وبحار الأنوار والأنوار النعمانية وشرح الصحيفة ونور الثقلين وغيرها مسنداً عن جابر ان الامام الخامس محمد الباقر (ع)

قال له : « ولعلك ترى ان الله تعالى انما خلق هذا العالم الواحد او ترى ان الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم ؟ بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وانتم فى آخر تلك العوالم واولئك الآدميين » .

وهذا الخبر المقدس صريح فى المقصد محقق المضمون بالايمان والمؤكدات

وقوله عليه السلام : « فى آخر العوالم » ليست الآخرية مختصة بالتأخر فى الزمان ، بل تستعمل كثيراً فى التأخر الشأنى والطبعى والمكانى وغير ذلك . يقولون : زيد فى آخر قومه عصراً اومجلساً او شأناً او رتبة .

المقالة الحادية عشر

فى البحار ومشارق الأنوار للحافظ البرسى عن ابى حمزة الثمالى عن الامام الرابع على السجاد عليه السلام انه قال : « أتظن ان الله تعالى لم يخلق خلقاً سواكم ، بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وانت والله فى آخر تلك العوالم » .

المقالة الثانية عشر

فى كتاب بحار الأنوار عن ابن عباس فى حديث طويل عن النبى (ص) فيما وراء السماء انه قال صلى الله عليه وسلم : « ومن وراء ذلك ظل العرش وفى ظل العرش سبعون ألف امة ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ولد آدم ولا ابليس ولا ولد ابليس ، وهو قوله تعالى : ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ .

وهذا الخبر الشريف صريح فى ان الله جلت قدرته خلق من وراء ارضنا وسماواتنا ـ اعنى خلف عالم شمسنا ـ مخلوقات كثيرة وأمماً واقواماً حية ناطقة هم فى ظل العرش أى تحت احاطة العرش .

والعرش فى الشرع كناية عن محدد عوالم الكون ، كما ان الكرسى كناية عن محدد عالم شمسنا خاصة .

* * *

وانى بعد الخوض فى بحار مقالات شرعنا الأقدس ظهرلى ـ والحمدلله ـ وفاقاً للهيئة العصرية ان الله عظمت قدرته جعل ما ينتظم به امر معاشنا فى كرة الأرض وفى كرتنا البخارية ، وسمى ما يحيط بالجميع سماءاً فهو المحدد والمنتهى لنظام ارضنا . ثم جعل ارضنا واخواتها السيارة حول شمسنا وما يلوذ بهامن الأقمار والرجوم فى سعة هــذا الجو المستدير من مركز الشمس إلى وراء نبتون بكثير .

فكما ان لجرم ارضنا هواء لطيف إلى بعــد خاص تجرى فيه السحب والرجوم كذلك لجرم شمسنا هواء ألطف منه يسمونه (جوهراتر) . وقد ذكرته فى المقالة السابعة من مسألة تعدد الأرضين .

وتجرى السيارات واتباعها فى افلاك جو هــذا الهواء كالسحب فى افلاكها والذى يحيط بهذا الجو المحدد لنظام الشمس يسمى فى شرعنا (كرسياً) و (سرادقاً) وهو كالسقف والفسطاط للسماوات والأرض .

وقد تكرر فى كلام على عليه السلام والأئمة من بنيه : « ان الله جعل السماوات لكرسيه عماداً » وفى القرآن . ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ .

قال فى حدائق النجوم ما معناه : « ان ارصاد الثوابت من القدر الأول ارشدتنا الى وجود دائرة تشبه اللبن ، وعرفتنا ان الشموس محاطة بمثل ما يحيط السيارات من الأبخرة اللطيفة لكن فى لطافة تقربها من العدم ، وتنتهى إلى حيث يجرى حكم الشمس وتؤثر عوامله الجاذبة والقاهرة » .

فنسبة الكرسى إلى مجموع النظام الشمسى كنسبة الاتمسفر إلى الأرض

وكذلك نسبة العرش إلى الجميع .

ثم خلق الله تعالى شموساً نيرة وجعل لكل منها سيارات ونظاماً يخصه ، ونحن نسمي تلك الشموس كواكباً ثابتة - اى في نظرنا العاجز - مع انها سياحة وسيارة ايضاً في بيداء الفضاء الواسع حول مراكز لم تعرف حتى الآن

والمحدد الحقيقي لجميع هذه العوالم المادية يسمى في الشرع (عرشا) كما ورد في الشريعة « ان السماوات السبع في الكرسي كحلقة تلقى في فلاة والكرسي في العرش كحلقة تلقى في فلاة » ، وظل العرش (اى سلطته وحيطته) منبسط على جميع الأجرام والنظامات القاطنة في بطنان العرش السابحة في بحار فضائه حاملة بأمر الله تعالى عباده على كواهلها وظهورها تنتظر احكامه التكوينية .

فاتضح بعد هذا البيان مقصود نبينا محمد ﷺ من قوله : « ومن وراء السماوات ظل العرش ، وفي ظل العرش سبعون ألف امة ما يعلمون ان الله تعالى خلق آدم ولا ولده » .

المقالة الثالثة عشر

ما اشتهرت روايته عن النبي ﷺ انه قال : « خلق الله العرش وللعرش سبعون ألف ساق كل ساق كاستدارة السماء والأرض » .

وقد روى هذا الخبر العلامة المجلسي في البحار ج ١٤ باب العرش الكرسي عن وهب بن منبه صاحب النبي ﷺ

وفي تفسير العلامة فخر الدين الرازي : « ان العرش له ستمائة ألف سرادق وطول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والأرضون وما فيها وما بينها فانها كلها تكون فيها شيئا يسيراً وقدراً صغيراً » .

وفي النهاية لابن الأثير : السرادق كلما احاط بشيء من خباء او حائط .

اقول : هذه الظواهر بأسرها تحكى لنا ماتقتضيه الهيئة العصرية ، وهى برمتها مخالفة لآراء القدماء والهيئة البطلميوسية. وقد ذكرت قبل هذا أن الظاهر من مقالات شرعنا الأقدس هو ان لله عظمت قدرته سماءاً تحيط بأرضه .

واما ما يحيط بجميع سماواته واراضيه ويحدد نظام شمسنا فهو الكرسى ويعبر عنه بالساق والسرادق والحجاب والركن والقائمة وغيرها ، بحسب اختلاف الملاحظات ، والمراد واحد والألفاظ شتى .

ولا يحصى عدد هذه السرادقات الا الله تعالى ، وجميع هذه السرادقات ممهدة تحت العرش فى ظله المنبسط ، والعرش هو المحدد لجميع العوالم التى لاغاية لها ولا نهاية بالنظر إلى وجداننا العاجز ، ويختص معرفة حدوده والعلم بخصوصيات وجوده بالخالق الحق ، فانه ايضا غير متناه فى ذاته العظمى وصفاته الحسنى ، وهو المحيط بعرش العوالم لا غيره ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾

ولا تذهب عنك لطيفة فى قوله ﷺ : «كل ساق كاستدارة السماء والأرض » فافهم واسلك سبيل الحق لترقى .

المقالة الرابعة عشر

فى البحار ومناقب ابن شهر اشوب عن الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير عشرة آلاف عام » .

وفى شرح السيد الجزائرى على الصحيفة السجادية والبحار وروضة الواعظين عن الامام الرابع على بن الحسين السجاد عليه السلام انه قال فى حديث طويل : « ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ألف عام » وفى نسخة « عشرة آلاف عام » والعرش

يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور » الى ان قال : « ان لله ملكا يقال له (خرقائيل) له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام، فخطر له خاطر هل فوق العرش شىء فزاده الله تعالى مثلها اجنحة اخرى فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام. ثم اوحى الله تعالى اليه : ايها الملك طر، فطار مقدار عشرين ألف عام فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش. ثم ضاعف الله تعالى له فى الجناح والقوة وامره ان يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام فلم ينل ايضاً ، فأوحى الله تعالى لو طرت الى نفخ الصور مع اجنحتك وقوتك لم تبلغ الى ساق عرشى. فقال الملك : سبحان ربى الأعلى ».

اقول : ومضمون هذا النبأ العظيم لا يجسمه رومان فيلسوف ماهر احسن مما اداه هذا التمثال الدقيق المحيط بلباب التحقيق.

ويكفيك فى تباعد النظامات وطول المسافة بين عالم شمس وعالم شمس اخرى ان النور يسير فى كل ثانية ولمحة اكثر من ستين ألف فرسخاً ، واقرب الشموس الى عالمنا ما يصل نوره الينا فى ثلاث سنين ، ومثل ذلك بعيد عنا بأكثر من سبعة آلاف ألف مليون فرسخا.

وقد صرح الحكماء بوجود شموس تصل انوارها الينا فى خمسة آلاف سنة واكثر (جلت قدرة الله تعالى والله اكبر).

ولعل المراد من قوائم العرش نظاماته وسرادقاته كما مر ، او يكون ساق العرش اشارة الى وسط دائرته التى لا حد لمحيطها ولا غاية.

واطلاق القائمة والساق على محور العرش وقطره مناسب ايضا ـ فاستعمل النظر وآمن بعظمة الله تعالى وعلم اوليائه.

المقالة الخامسة عشر

فى البحار ومناقب الحافظ الطبرسى محمد بن شهراشوب المتوفى سنة٥٨٨ عن ابن عباس عن أمير المؤمنين على عليه السلام انه قال فى جملة خبر الطويل : « وأما الأربعة عشر فأربعة عشر قنديلا من النور معلقة بين السماء السابعة والحجب تسرج بنور الله تعالى الى يوم القيامة » .

ورواه فى البحار ج ٤ والاختصاص من جملة مسائل ابن سلام اليهودى عن نبينا ، وان النبى صلى الله عليه وآله قال له : « وأما الأربعة عشر فهو أربعة عشر قنديلا من نور معلقاً بين العرش والكرسى طول كل قنديل مسيرة مائة سنة » وفى بعض النسخ « ثمانية عشر حجاباً والطول مائة ألف سنة » .

أقول : القنديل فى العرف اسم سرج ومصابيح على شكل البيضة خصوصاً اذا اعتبرت خيوطها وسلاسلها التى تعلق بها . وبناءاً على هذا يكون القنديل شبيها بالنظام الشمسى من جهة الشكل ، حيث انه بيضوى كالنظام الشمسى .

ومن جهة تظمنه لجسم نارى فى وسطه يشع بذاته نوراً وناراً كالنظام الشمسى المتضمن للشمس فى وسطه وهى تشع بذاتها نوراً وناراً ، فيصح اطلاق القنديل على النظام الشمسى تشبيهاً ومجازاً .

وأما تطبيق هذه المضامين المقدسة المفهومة من هذه الألفاظ الكريمة على تعدد العوالم فيقويه :

(أولا) قوله عليه السلام : « معلقاً بين العرش والكرسى » فانا ذكرنا فى المقالة الثانية عشر ان العرش كناية عن محدد نظامات العوالم جميعاً ، والكرسى كناية عن محدد نظامنا ومحيط عالم شمسنا ، فيكون مابينهما فراغ بيداء الفضاء الذى تهيم فى سفاسفه شموس كبرى بتوابعهن ورابيات حجورهن .

(وثانياً) قوله ﷺ : « طول كل قنديل مائة ألف سنة » بناءاً على بعض النسخ ، وانت تعلم سعة كل نظام شمسى ، وان شمسنا الصغيرة تفوق طول القطر من نظامها على ألف مليون فرسخ .

وقوله ﷺ : « معلقة » يجوز قراءته بسكون العين وتخفيف اللام بمعنى مسرجة ومشعلة ، فيقوى كونها شموساً نيرة بنفسها، ويجوز بفتح العين وتشديد اللام من التعليق بمعنى وضعها فى الفراغ غير مركوزة فى ثخن جرم ، فيتصف عندئذ بها كل جرم سماوى حسب المبانى الجديدة .

* * *

وبعد ذلك يجوز أن يكون الخبر اشارة الى المذنبات العظيمة القابلة للابصار ويؤيد ذلك من ألفاظ الخبر جمل :

(منها) قوله ﷺ : « أربعة عشر قنديلا » فان المذنبات العظام التى يجوز بصارها وإخبار الشرع عنها فى خطابه لا يبعد ان تكون أربعة عشر او الكائن كذلك فى عصره .

(ومنها) تسميته قنديلا ، فانها تشبه القنديل فى شدة الضوء والاشتعال والحرارة حسب ماشرحته فى مسألة المذنبات ، مضافا الى مشابهتها فى الشكل بالنظر الى ذؤابتها أو ذنابتها التى قد تبلغ ١٣٣ مليون ميل .

(ومنها) قوله ﷺ : « طول كل قنديل مائة سنة » على بعض النسخ ، فان عظام المذنبات لا تقصر أقطارها عن ذلك ، واذا صحت نسخة مائة ألف سنة فيجوز حملها أيضاً على سعة فلك المذنبات البيضوية الشبيهة أيضاً بالقناديل . ولا نشك فى كثرة اتساعها .

(ومنها) قوله ﷺ : « بين السماء السابعة والحجب » اذ المراد من ذلك - كما مر مراداً - هو ما بعد نظام شمسنا خلف ارانوس ونبتون الى أن ينتهى

الى حدود سائر النظامات الشمسية الأخر المعبر عنها بالساقات والسرادقات والحجب.

وأنت تعلم ان مجال المذنبات هى مابين هذه الفسحة المتسعة، وتعلم أيضاً ان المذنبات العظام تبتعد فى سيرها من فلك نبتون الى مثل بعد نبتون عن الشمس أربعة عشر مرة ثم ترجع لتشكيل فلك اهليلجى أو بيضوى فى مدة ستمائة سنة تقريباً، ومذنب سنة ١٨٨٢ م يتم دورته فى ٨٠٠ سنة.

وبناءاً عليه فكم تقدر سعة أفلاك المذنبات التى تكمل دورها فى ألفين سنة أو ثلاثة آلاف سنة؟ فانظر الى تقاصى سائر النظامات الشمسية الأخر وكمال بعد دارها عنا، اذ لاتلقف بجاذيتها هذه المذنبات الهائمة فى حمى جاذبية نظام شمسنا، ولا ترسل من جذبها شيئاً الى حدود سلطنة شمسنا فنختلس نفراً من شوارد رعاياها.

وانظر الى سعة ملك شمسنا المنبسط فى أقطاره عوامل جذبها وقهرها وطول المسافة من حدود رعايتها وكرسى سلطتها (جل ربنا العظيم الذى وسع كل شىء ولا آله سواه).

المقالة السادسة عشر

فى الأنوار النعمانية وشرح الصحيفة السجادية للحافظ السيد نعمة الله الجزائرى بعد كلام له ينبىء عن جوده الممدوح على ظواهر الكتاب والسنة قال: وقد روى عن الطاهرين - يعنى النبى وأوصيائه المعصومين - : «ان الله تعالى خلق مائة ألف قنديل وعلقها بالعرش والسماوات والأرض ومافيها حتى الجنه والنار كلها فى قنديل واحد، ولا يعلم مافى القناديل الباقية الا الله سبحانه».

اقول : وقد اشرت وسأشير إلى مشابهة النظام الشمسى بالقنديل من وجوه عديدة :

(منها) ان القنديل شكله بيضوى وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين بمجموعه بمدارات سياراته بيضوى الشكل .

(ومنها) ان القنديل يتضمن جسما لطيفاً فى وسطه يتوقد ناراً ويشع نوراً ، وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين فى وسطه كرة الشمس اللطيفة التى بذاتها تثير النار وتشع الأنوار .

(ومنها) ان القنديل مربوط فى الهواء وليس بمركوز فى ثخن جرم ، وكذلك النظام الشمسى مربوط عند المتأخرين بجاذبية الثوابت وليس بمركوز فى ثخن جرم كما كان القدماء يزعمونه .

(ومنها) ان الجرم المضىء فى القنديل ليس فى وسطه الحقيقى بل هو اقرب إلى حد منه عن الحد الآخر ، وكذلك النظام الشمسى عند المتأخرين ولذلك تراهم يقولون فى دوران السيارات حول الشمس : والشمس فى احد المحترقين .

قال فى حدائق النجوم ما معناه : ان المركز الحقيقى لعالمنا هو غير مركز الشمس وانما هو مركزه التقريبى ، بل المركز الحقيقى لعالمنا خارج عن الشمس بمقدار النصف من قطر الشمس تقريباً .

* * *

وبعد ما ظهرت لك مشابهة النظام الشمسى مع القنديل ينطبق هذا النبأ العظيم على النظام الجديد دون القديم ويكون ناطقاً بوجود ألوف من العوالم والنظامات الشمسية الحاوية لأراضى سيارة واقمار دوارة وعمار وديار وجنة ونار ونحوها من لوازم المعاش والمعاد .

وفى قوله عليهم السلام : « والسماوات والأرض وما فيها حتى الجنة والنار كلها فى قنديل واحد » دلالة واضحة على ان كلا من عوالم تلك القناديل يسع السماوات والأرض ، كما هو شأن النظام الشمسى عند المتأخرين خاصة .

وقوله عليهم السلام : « معلقة بالعرش » يناسب رأى الأواخر على ماأشرت اليه فى المقالة الخامسة عشر ، سواء قرأنا المعلقة بتشديد اللام بمعنى الربط من التعليق أو بتخفيفها بمعنى التسريج والاشعال .

والعرش كما فسرته مراراًمجددجميع نظامات الكون ومحيط عوالمه الوافرة

وقوله عليهم السلام : « ولا يعلم ما فى القناديل الباقية غيرالله سبحانه » واضح على مبانى المتأخرين ايضاً ، فان البعد البعيد والفضاء المديد المبين فيما سبق مانع من اطلاع الحواس على ما فى تلك العوالم ، بل ولا تحس بمبادىء امور فيها حتى تعيين قوة الحدس ايضاً .

وحسبك ان البعد وفقد الروابط والوسائط مانعان من اطلاعنا على ما فى سيارات شمسنا التى تبعد عشرة ملايين فرسخاً ، فضلا عما فى شموس بعدت عنا بآلاف ألوف ملايين الفراسخ وعما فى سياراتها الخفية ، ولا سيما فى عصر صدور هذا الخبر ، اعنى به زمان النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم واوصيائه عليهم السلام اذ لم يكن وقتئذ ذكر من هذه الخواطر ولا اثر من هذه الحقائق فى الدفاتر ، ولم تكن من ادواتنا الكشافة يومئذ شبح ولا سيماء ولا اسم فضلا عن المسمى .

ان العلم كان يومئذ كجنين فى رحم ظواهر الشريعة الاسلامية المقدسة مثلما هى اليوم كطفل يرضع من ثدى الكتب والصحف لينمو فى حجر الجمعيات الفاضلة ذو الأدوات والأسباب الكاملة ، وسوف يدرج مدارج الكمال ويبلغ مبالغ الرجال فى مستقبل الأجيال ـ والله العالم بحقائق الأحوال .

فانظر إلى قوة انظار اولياء الحق وامناء الاسلام وصفـاء قلوبهم ،

وانطباع اسرار الكون وحقائق العوالم القاصية فى مرآت نفوسهم المقدسة بالوحى والالهام من الرب العلام .

فاذا ظهر صدقهم فى هذه المقالات الغيبية التى لا يدركها حس ولا يهتدى اليها عقل فقد استراح القلب واطمئن فى صحة سائر دعاويهم ومقالاتهم المربية للنفوس والطباع والمكملة لنظامات الصحة والاجتماع المطلوب منها حفظ الأشخاص مع الأنواع (هذا هو الدين القيم فلا تبتغ غير الاسلام دينا) .

«خاتمة الكتاب»

(فى مقالات اسلامية توافق الهيئة العصرية)

المقالة الأولى

فى روضة الكافى والوافى وبحار الأنوار وغيرها بسند قوى عن الامام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فى خبر يسأل فيه منجماً عراقيا من اصحابه على سبيل الامتحان : كم السكينة من الزهرة جزءاً فى ضوئها ؟ قال المنجم : هذا والله نجم ماسمعت به احداً من الناس يذكره . قال الامام عليه السلام : « سبحان الله العظيم أفأسقطتم نجما بأسره فعلى ما تحسبون ؟ » . ثم قال : فكم الزهرة من القمر جزءاً فى ضوئه ؟ فقلت : هذا شىء لا يعلمه الا الله تعالى . قال : فكم القمر جزءاً من الشمس فى ضوئها ؟ قلت : ما اعرف . قال : صدقت . . الخ.

وفى باب تحريم النجوم من البحار ج ١٤ عن الكافى عن العدة بسند صحيح وفى غيره عن روضة الكافى والوافى عن عبدالله بن سيابه عن الصادق (ع) انه قال : اتدرى كم بين المشترى والزهرة من دقيقة؟ قلت: لا والله . قال: او تدرى كم بين الزهرة وبين القمر من دقيقة ؟ قلت : لا والله . قال : أو تدرى كم بين الشمس والسكينة من دقيقة ؟ قلت : لا والله ما سمعته من احد من المنجمين قط . قال : افتدرى كم بين السكينه وبين اللوح المحفوظ من دقيقة ؟ قلت : لا ما سمعته من منجم قط .

قال السيد ابن طاوس : وروى هـــذا الحديث اصحابنا في المصنفات والأصول ، ورواه محمد بن ابى عبد الله في اماليه ، ورواه محمد بن عيسى اخو مقلس عن حماد بن عثمان .

اقول : يفيدنا ظاهر هذين الخبرين الشريفين ان نجمة السكينة هى من جملة السيارات وليست من مقولة الثوابت ، وتنطبق بحسب الامارات على سيارة (ارانوس) المبصرة كنجم من القدر الخامس ، اكتشفها سر وليم هرشل سنة ١١٩٥ هـ ١٨٧١ م . ويشهد على ما استفدته امور ظاهرة :

(الأمر الأول) تكرارها فى اخبار الأئمة عليهم السلام فى عداد السيارات ، كالقمر والمشترى والزهرة ـ كما لا يخفى على المطلع .

(الأمر الثانى) مقايسة ضوئها مع ضوء الزهرة ، وذلك انما يناسب كونهما من سنخ واحد يتفاضلان فى النور والضياء ولا يناسب مقايسة تفاضلهما فى الضياء مع كون احداهما سيارة مظلمة والأخرى ثابتة وشمسا من الشموس النيرة بنفسها، بخلاف ما لو كانا من سنخ واحد بأن تكون نجمة السكينة اشارة إلى ارانوس لأصبح التناسب فى المقايسة فى أجلى ألبسة الوضوح ، فانهما جميعاً ارضان سيارتان تختلفان فى الضياء والبرق اختلافاً ظاهراً ، بحيث نرى الزهرة اشد السيارات ضياءاً وأجملها منظراً ، ونرى ارانوس اشدها خفاءاً وظلاماً . فيكون فى مقابلة ارانوس بالزهرة كمال المناسبة . بحيث لا تحصل هذه المناسبة بمقابلته مع غيرها .

(الأمر الثالث) قوله عليه السلام فى هذا الخبر وفى غيره : « افأسقطتم نجما بأسره فعلى ماتحسبون ، فان المحاسبات النجومية واحكام السعادة والنحوسة والشرف والهبوط والمقابلة والاجتماع وغيرها متعلقة بالسيارات من حيث الحالات والحركات والأدوار والأطوار ولا تتعلق بالثوابت ، اذ لا يظهر

فيها شيء من ذلك ولا ارتباط لبعضها ببعض حتى يحتاج الى ضبط حالة او حركة أو يخل جهل احدها بأحكام البقية بخلاف السيارات .

فلو كانت نجمة السكينة بناءاً على هذا من الثوابت لم يبق موضع مناسب لشدة تعجب الامام (ع) من محاسباتهم بقوله : « فعلى ما تحسبون » بعد اسقاط نجم بأسره ، واما إذا كانت هذه النجمة من السيارات وقع تعجب الامام (ع) فى انسب مواضعه - كما لا يخفى .

(الأمر الرابع) قوله (ع) : « سبحان الله العظيم أفاسقطتم نجماً بأسره » فهذا الاستعجاب العظيم من الامام انما يناسب كونها سيارة لا ثابتة ، حيث لا موضع لا ستعجابه من اسقاط نجمة ثابتة ، اذ الكواكب الثابتة التى ترى بالأبصار المتعارفة يربو عددها على ألفين كوكب عند المتقدمين والمتأخرين ولم يرصد المتقدمون ولم يعينوا منها غير ألف ونيف وعشرين كوكب ثابت ففى عصر الامام (ع) كان الساقط عن الحساب من ثوابت النجوم المبصرة بقدر مارصدوه كثرة .

وبناءاً على هذا لا يبقى موقع مناسب لتعجب الامام (ع) من اسقاط واحد منها والحال انه يماثله المآت بل الألوف فى السقوط وعدم الضبط ، واما اذا عدت نجمة السكينة من سائر السيارات صار لاستعجاب الامام (ع) موقع مناسب جداً .

فان الحكماء السالفين بذلوا أعز الأموال والأعمار فى مراقبة الأنجم السيارة حتى حصروها فى سبعة وضبطوا حركاتها على اكمل ضبط ، وعينوا مواضعها وافلاكها وترتيبها وبنوا على ذلك قواعدهم واحكامهم النجومية جميعاً فمع هذه المراقبة لو غفلوا عن سيارة واحدة مرئية بالأبصار المعتدلة ولم يتفطنوا بها ولا بأحكامها كان تعجب العاقل من هذه الغفلة العظيمة مناسباً وفى

محله وصح قوله ﷺ : «سبحان الله العظيم افأسقطتم نجما بأسره».

ويظهر من المقالة الثالثة من الطائفة الثانية فى مسألة عدد السيارات ان نجمة (ارانوس) كانت قديما مرصودة ومعروفة عند بعض حكماء الهند، ومن رصدهم اياها استقام حسابهم فى فن النجوم والفلك.

(نكتة)

كما تدل شدة تعجب الامام ﷺ من اسقاط السكينة على كونها من السيارات كذلك تدل ايضا على كونها السيارة المعروفة اليوم بأرانوس، وقد استفدت هذه الدلالة الثانية من جهات:

(الأولى) ذلك التعجب العظيم من اسقاط نجمة السكينة عن الحساب، اذ نحو هذا التعجب انما يقع من العاقل مناسبا وفى محله إذا كانت النجمة صالحة للرؤية. وأما إذا كانت غير مبصرة لم يصح من الغفلة عنها، اذ الحكيم لا يعرف الأنجم بالوحى ونحوه حتى تعد غفلته من خفايا الأجرام عجبا بل يعد اطلاعه عليها فى غاية الغرابة.

وإذا وجب على هذا كون النجم المغفول عنه سيارة مبصرة تعين كونه (ارانوس)، إذا النجوم الصالحة يومئذ للرؤية انما هى ستة من سيارات شمسنا فقط، وهى: ١عطارد، ٢ الزهرة، ٣ المريخ، ٤ المشترى، ٥ زحل، ٦ ارانوس. وليس المغفول عنه من بينها غير الأخير فقط - اعنى ارانوس، وأما الخمسة الباقية فقد كانت مرصودة معروفة عند الجميع بالخمسة المتحيرة فتنحصر اشارة الامام ﷺ الى ارانوس لا غيره.

(الجهة الثانية) مقابلته فى المقايسة مع الزهرة - كما مر فى الأمر الأول حيث ان السيارات ليس لها حسبما نشاهد اضوأ من الزهرة حتى انها قد ترى فى النهار ، كما انه ليس فيها حسبما نراه اخفى من سيارة ارانوس حتى انها قد لا ترى فى الليل ، ولا يفوز كل بصر بابصاره لتناهيه فى الظلمة والصغر .

(الجهة الثالثة) تسمية الامام عليه السلام هذه النجمة بالسكينة التى هى فى العرف تلازم بطء الحركة وهدوء السير ، وليس فى سياراتنا المبصرة ابطأ سيراً من (ارانوس) حيث يكمل الدور فى اكثر من ثمانين سنة ، فكأنه يمشى بكمال السكينة ونهاية الطمأنينة - (والحق اعلم بالحق) .

المقالة الثانية

فى البحار ج ١٤ وفرج المهموم للسيد ابن طاوس قال : روينا بالأسانيد عن الحسين ابن الغضائرى ونقلته من خطه من الجزء الثانى من كتاب الدلائل لعبد الله بن الحميرى باسناده عن بياع السابرى قال . قلت لأبى عبد الله (يعنى الامام جعفر الصادق) : ان لى فى النظرة فى النجوم لذة . . . الى ان يقول له الامام : كم تسق الشمس القمر من نورها ؟ قلت : هذا شىء لم اسمعه قط ! فقال الامام (ع) : فكم تسق الشمس الزهرة من نورها؟ قال: قلت: ولا هذا. فقال (ع) : فكم تسق الشمس من اللوح المحفوظ؟ قلت: وهذا شىء لم اسمعه قط قال. فقال الامام (ع)، هذا شىء اذا علمه الرجل عرف اوسط قصبة فى الأجمة، ثم قال (ع): «ليس يعلم النجوم الا اهل بيت من قريش واهل بيت من الهند» .

اقول : وقد استفدت من هذا النبأ القدسى معنى لطيفا يوافق الهيئة العصرية ، وهو ان السيارات مظلمة بالذات وتكتسب الأنوار من الشمس كالقمر وفاقا للمتأخرين ، فانهم متفقون على ان اجرام السيارات والأقمار

أراض كأرضنا ذات رمال وجبال لا تقتضى النورانية بذاتها ، فلا بدلها من ان تستعطى وتكتسب الأنوار من الشمس حتى تضيء ، بخلاف الثوابت فانها شموس نيرة كشمسنا لا تحتاج الى اكتساب الشعاع من الشمس(١)

* * *

وأما قدماء علم الفلك فالنقل المشهور عنهم من لدن بطلميوس الى الألف الهجرى هو استغناء جميع السيارات من الشمس فى الضوء والنورانية ما عدا القمر (٢) وقد حكى ذلك عنهم فى حدائق النجوم وغيره .

ونقل العلامتان المجلسى فى البحار والشيخ البهائى فى الحديقة الهلالية عن المنجمين ان القمر يختص بخواص لا توجد فى غيره من الكواكب واشهر

---

(١) إذا كان اكتساب النور دليلا على الظلمة الذاتية - كما يقول به سماحة المؤلف مستفيداً ذلك من الخبر حيث جعل كسب القمر والزهرة النور من الشمس دليلا على الظلمة الذاتية - فاللازم ان تكون الشمس ايضاً مظلمة بالذات ، لما جاء فى ذيل الخبر : «فكم تسقى الشمس من اللوح المحفوظ» ونستنتج من سياق هذا الخبر ان القمر والشمس والسيارات كلها تكتسب النور من غيرها وكلها مظلمة بالذات على حد سواء ، فاذن لا بد من التأمل فى قول المؤلف : «بخلاف الثوابت فانها شموس نيرة كشمسنا . . .» ، وهذا القول مناقض مع كيفية الاستدلال - (ف) .

(٢) هذا ضد مااختاره محيي الدين واضرابه ، فكأن القدماء كانوا بين قولين لا ثالث لهما . احدهما اسضاءة العموم من الشمس حتى الثوابت وثانيهما استغناء العموم عن الشمس حتى السيارات ما عدا القمر . واما الهيئة الجديدة فاتخذت مسلكا وسطا وقالت باستغناء الثوابت عموما واستضاءة السيارات عموما . وهذا هو مذهب الشرع المحمدى .

تلك الخواص ستة : سرعة الحركة ، واختلاف تشكلاته ، واكتسابه النور من الشمس . . . الخ .

فاستعطاء الضياء من الشمس كباقى الخواص كان لديهم مخصوصاً بجرم القمر فقط ، واضحى اليوم هو كباقى الخواص مشتركا بين جميع السيارات عند المتأخرين ، وان الجميع مظلمة ذاتاً لو لم تسق الشمس سطوحها من فيض اشعتها .

وهذا الخبر القدسى المعنون يشير بظاهره الى مذهب المتأخرين ، وان الشمس تسق من فيض ضوئها جرم القمر كما هو المسلم بين من تقدم وتأخر ، وكذلك تسق بقية السيارات مما افاض الله تعالى عليها ، فتسق الزهرة مثلا من انوارها مقداراً لا يعلمه الا الله تعالى واولياؤه . واللوح المحفوظ كناية عن حقيقة خفية فى عالم الوجود نشرحها فى بقية كتبنا انشاء الله تعالى والشمس تستق منها بل كل ما فى عوالمنا مستفيض من بحار جودها (والله اعلم بما خلق وهو اللطيف الخبير) .

وقد ذكر الامام (ع) فى هذا الخبر القدسى استضاءة الزهرة والقمر من قرص الشمس وانها مقدرة بمقدار خاص ، اى يستضىء القمر من الشمس قدراً معيناً ، وكذلك الزهرة تأخذ من الشمس مقداراً معينا من النور وهذه التقادير معينة فى نفس الأمر ولكن لا يعلمها الا الله تعالى واولياؤه المقربون اليه .

وقد بذل المتأخرون هممـاً ناهضة واموالا باهضة حتى عرفوا بمعونة الآلات الدقيقة على سبيل التقريب مقدار ما تستفيده السيارات من نور شمسنا ونارها ، فقالوا : ان الزهرة تكتسب من نور شمسنا ثلاثة اضعاف ماتفيضه على الأرض ، ويكتسب منها عطارد ثمانية اضعاف ماتفيضه على

الأرض ، واختصت القناعة بالسيارات العليا (والقناعة شأن الأعلون) فتكتسب نجمة زحل من نور الشمس بجزء من تسعين جزء مما تفيضه على الأرض ، ويكتسب ارانوس منه بجزء من ثلاثة وستين جزء مما تفيضه على الأرض ، ويكتسب نبتون منه بجزء من تسعمائة جزء مما تفيضه على الأرض على ما صرح به فلامريون الفرنسى .

وعرفوا أيضاً مقدار شكل الشمس فى عين الناظر اليها من كل سيارة فقالوا : ان الشمس تتراءى كدائرة قطرها شبر لمن فى ارضنا ، وشبر ونصف لمن فى الزهرة ، وقدمان لمن فى عطارد ، ونصف قدم لمن فى المريخ ،وكرمانة لمن فى المشترى ، وكنارنجة لمن فى زحل ، وكبيضة لمن فى ارانوس ، وكجوزة أو لوزة لمن فى نبتون على ما قدره كثيرون .

ومعرفة هذه الأقدار تحقيقاً وتقريبا كان فى القرون الماضية من غوامض الأسرار المختصة بالله جل علمه وبمن اوحى اليه،ولذلك قال الامام(ع) « هذا شيء اذا علمه الرجل عرف اوسط قصبة فى الأجمة » . يعنى ان هذه الأسرار فى تلك العصور لا تعرف الا باحاطة غيبية بالمبادىء القدسية .

فيكون بناءاً على ذلك عرفان هذه الأقدار وعرفان بواطن الأشجار مثلا زمان ، لكونها معلولين لعلة واحدة هى المبدأ أو المنشأ لها - اعنى بها انكشاف ما فى الطبيعة لدى النفس المتصلة بما فوق الطبيعة .

(تتمة مهمة)

ويقرب من مضمون هذا الخبر المعنون خبر آخر وجدته فى البحار ج ١٤ والاحتجاج عن ابان بن تغلب ان الامام السادس جعفر بن محمد الصادق (ع)

قال للمنجم اليمانى . كم ضوء المشترى على ضوء القمر درجة ؟ فقال اليمانى : لا ادرى . فقال ابو عبد الله (ع) : صدقت فكم ضوء المشترى على عطارد درجة ؟ فقال اليمانى . لا ادرى . . . الخ .

اقول . وقد استفدت من ظواهر هذا الخبر لطائفاً :

(منها) كون السيارات المظلمة تكتسب الأنوار من الشمس ، فان الامام عليه السلام ذكر عطارد والمشترى والقمر بسوق واحد وقاس بين انوارها . وقد اوضحنا فى المقالة الأولى من الخاتمة ان المقايسة انما تقع مناسبة وفى محلها اذا كانت بين المتجانسات ، مثل ان يكون الطرفان كلاهما منيرين بالذات كالثوابت ، او يكون كلاهما مظلمين بالذات ويكتسبان النور من الغير كالسيارات ، فاذا كانت السيارات كالقمر تكتسب الأنوار من الشمس كما فى الهيئة العصرية ظهر لهذه المقايسة موقع مناسب جداً . وقد مر فى الأمر الأول من مسألة القمر ما يشير الى استضاءة السيارة .

(ومنها) ان ضوء المشترى فائق فى نفس الأمر على ضوء القمر كثيراً وان كان النظر الحسى يفوق ضوء القمر عليه ، وكذلك بالنسبة الى عطارد فان ضوء المشترى فائق عليه ، فالشريعة والفلسفة متوافقان فى هذه المسألة ايضاً وإن وان خالفهما الحس البدوى .

(ومنها) ترتيب السيارات ، فان ترتيب بيان الامام(ع) وذكره لأسماء السيارات موافق للنظام الحديث الموافق للقرآن والأحاديث كما مر فى الأمر الأول من مسألة اوصاف القمر ، فانه (ع) ذكر المشترى اولا ثم عد السيارات نازلا منه ، فسمى ما هو بعد المشترى بواحد اعنى القمر ، ثم ذكر ما بعد القمر بواحد اعنى عطارد على النظام الجديد ، فيتجه لهذا الكلام نظام . بخلاف ما لو اعتبرنا الهيئة القديمة فانه لم يبق لهذا الكلام التام نظام

معه بل ينحل إلى ترتيب مشوش ـ كما لا يخفى .

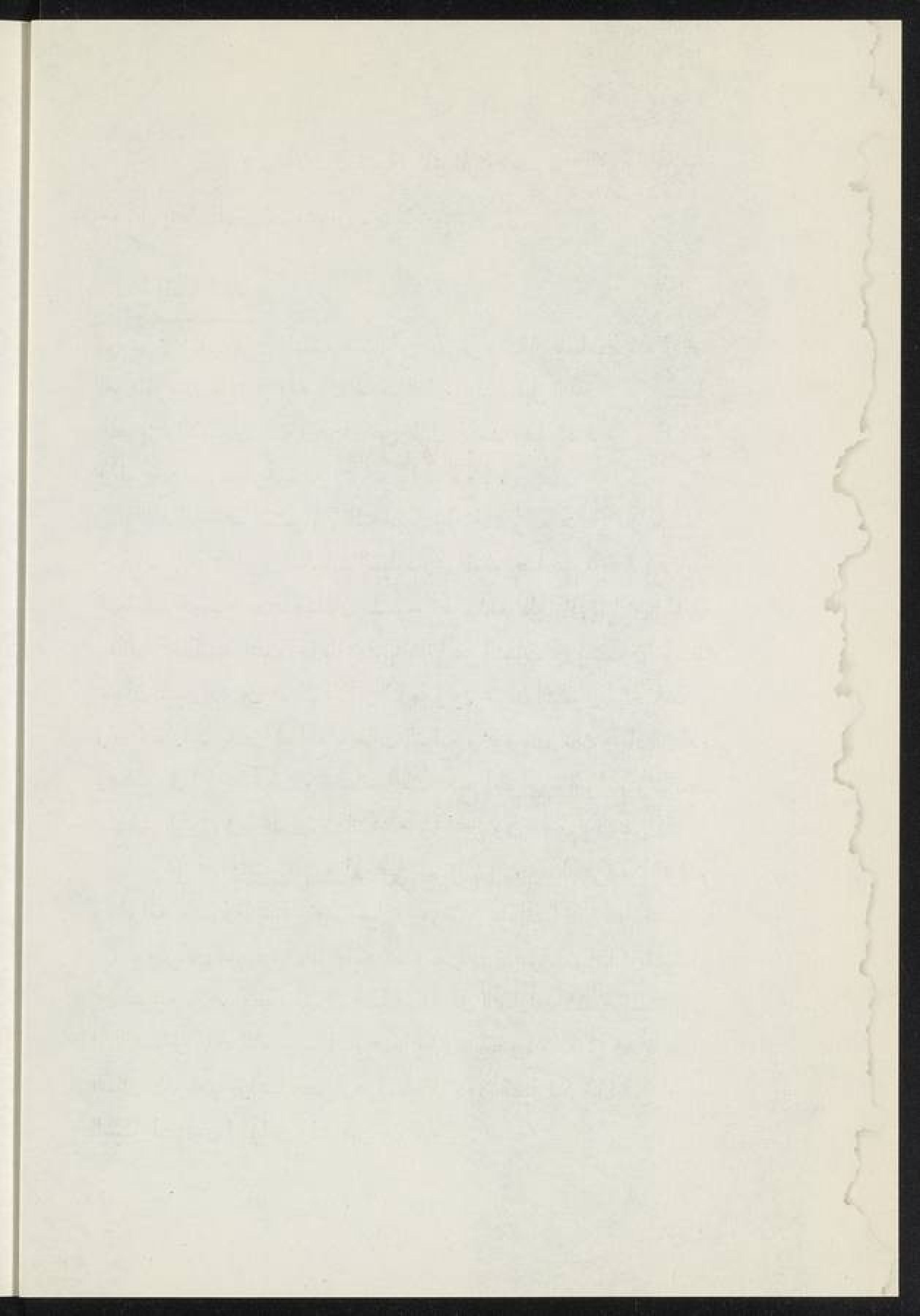
المقالة الثالثة

فى كتاب فرج المهموم للسيد ابن طاوس والبحار بأسانيد كثيرة عن امير المؤمنين على (ع) انه قال للمنجم الفارسى سرسفيل الدهقان على سبيل التعجيز والامتحان : « اخبرنى عن طول الأسد وتباعده عن المطالع والمراجع ، وما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ » .

اقول : قد اشتهر بين المتأخرين اطلاق التوابع على الأقمار من جهة انها تابعة فى السير للكرات السيارة وفى المولد ايضاً على مايقولون كمتابعة السيارات للشمس . وقد يصفون الشموس بالجوامع نظراً الى انها هى الجامعة بنظامها شمل السيارات والحافظة بجذبها بناتها عن الشتات . ويعتقدون توسط عنوان السيارات بين عنوان الأقمار التابعة وبين عنوان الشموس الجامعة ، وان السيارات بنات الجوامع وامهات التوابع ومجذوبات لتلك وجاذبات لهذه وهكذا فى اكثر الجهات ترتبط السيارات مع الجوامع والتوابع وتتوسط بينهما فى السير وفى الجذب وفى التكوين وفى المحل وفى الحجم وفى غير ذلك .

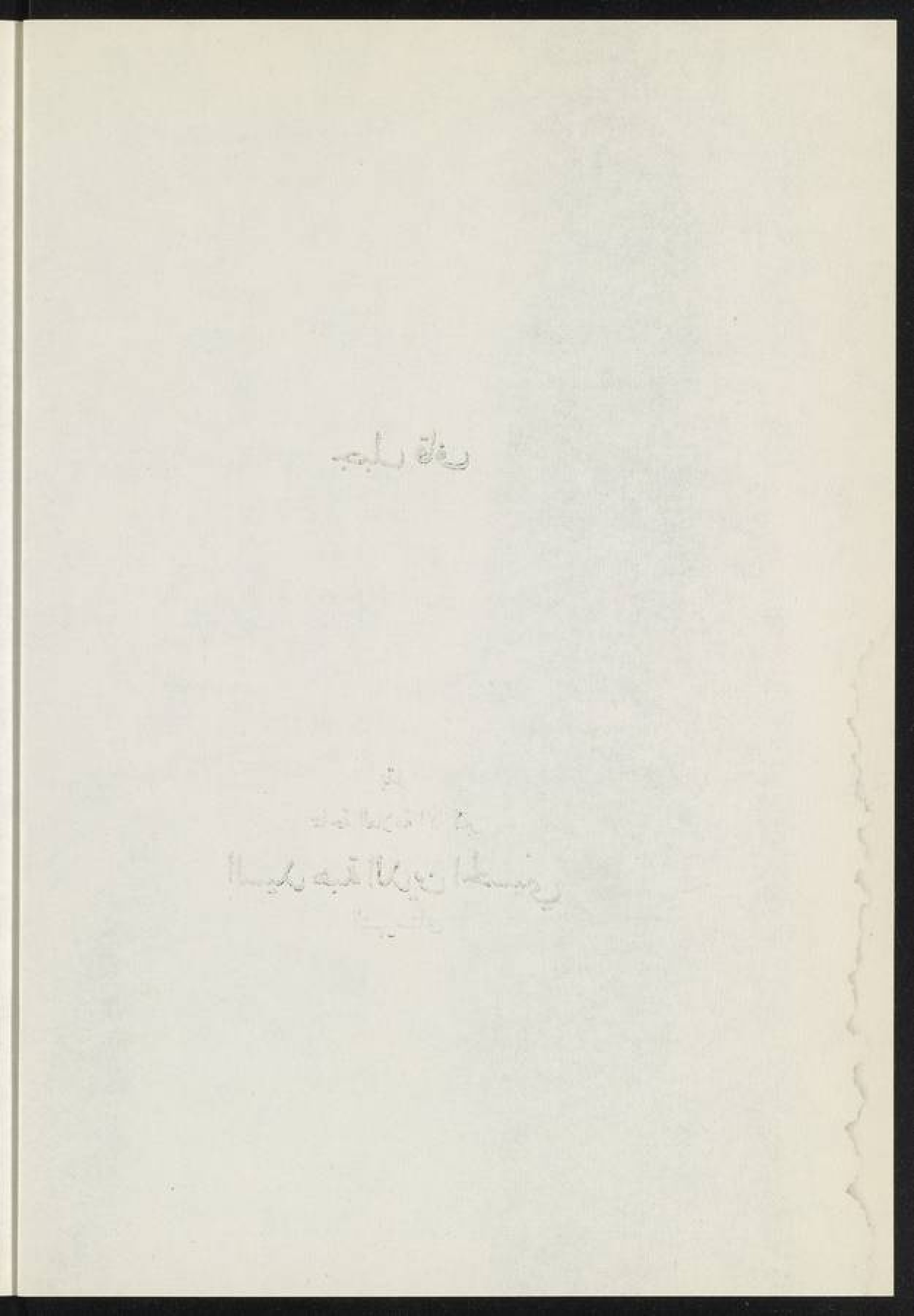
وعلى هذا يتضح معنى قول وصى النبي (ع) : « وما الزهرة من التوابع والجوامع » ، اى وما نسبة عنوان سيارة زهرة من عنوانيهما .

ولو كان سرسفيل عالماً بالهيئة العصرية لقال : نسبة عنوانها هى التوسط بين التوابع والجوامع ، اى ان نسبة الأقمار الى السيارات كنسبة السيارات الى الشموس كما فصلناه . وبناءاً على هذا يكون المقصود من ذكر زهرة مطلق السيارات وكافتها . وانما خص زهرة بالذكر دون البقية لكونها اظهر افراد السيارات لدى الحواس واعرفهن بين الناس .



جبل قاف

بقلم
سماحة العلامة الأكبر
السيد هبة الدين الحسيني
الشهرستاني



عزيزي القارىء

(جبل قاف) اسم يتردد كثيراً فى آثار الشريعة الاسلامية ويلوح لنا من هنا وهناك فى الأحاديث النبوية وما ورد عن اهل بيته المعصومين (ع) . فهو جبل محيط بالدنيا من زبرجدة خضراء عليه كنفا السماء وطوله مسيرة ألف سنة . . . الخ .

فاذن اين هذا الجبل ولماذا لم نصل اليه مع كثرة الوسائل النقلية ؟

ان هذا سؤال يتردد كثيراً على الألسن ويصحبه تبسم فيه شيء من التهكم والسخرية من الذين يريدون شن الغارات على الاسلام وعلى مقدساته وعقائده ، انهم يجدون طريقاً للغمز فى التعاليم الاسلامية الغراء ، ذلك لأنهم لم يطلعوا على هذه الأسرار التى كانت مخبوءة لهذا العصر وما بعده حيث يتطلبان معاجز غير تلك المعاجز التى ابداهـــا الرسول العظيم لأهل عصره واظهرها اهل بيته المعصومين لزمانهم الذى كانوا يعيشون فيه .

ان (جبل قاف) ليس بشيء خيالى بعيد عن الواقع وانما هو ظل الأرض المخروطى المخضر من اختلاط النور والظلمة ، هكذا يفسر هذا الاسم سماحة العلامة الأكبر سيدنا السيد هبة الدين الحسينى الشهرستانى فى رسالته هذه التى نقدمها كتكملة لكتابه القيم (الهيئة والاسلام) ، راجين من المولى جل وعلا ان يديم حياة سيدنا ليكون نبراساً نستضىء به فى الظلم

السيد احمد الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم انبيائه ، وعلى آله واوليائه .

اما بعد : فان الأخبار المأثورة عن النبي والأئمة من اهل بيته الكرام - عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام - في شأن (جبل قاف) لما كانت صادرة على طريقة الاشارة والتمثيل ، وهي الطريقة التي قال عنها المصطفى ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم » ، ومن أجله أصبحت ظواهرها غريبة الشكل تتباعد عنها الطباع والأسماع ، وصار من اجل ذلك يتخذ الذين في قلوبهم مرض وزادهم الله مرضاً امثال هذه الظواهر وسيلة الى التشكيك والتضليل والاستخفاف بالآثار الاسلامية .

ولذلك اندفعت الى تفسير تلك الظواهر المأثورة وكشف أسرارها المستورة ، والتوفيق بينها وبين الكشفيات الجديدة عند المتأخرين من علماء الهيئة والفلك .

فان اصبت الحقيقة فيما فسرت فذلك من فضل ربي ، وان اخطأت فان ربي غفور رحيم .

النجف الأشرف سنة ١٣٢٧ هـ — هبة الدين الحسيني

«الفصل الاول»

(الآثار الاسلامية حول جبل قاف)

ان الأخبار المأثورة حول جبل قاف وتفسير هذا الرمز الغريب تبلغ عشرين أثراً أو اكثر نوردها قبل الشروع فى تفسيرها :

١ ـ ما فى تفسير الحافظ على بن ابراهيم القمى من ابناء القرن الثالث الهجرى فى شرح قوله تعالى : ﴿ حمعسق ﴾ بسنده القوى عن الامام الباقر محمد ابن على بن الحسين عليهم السلام انه قال : « وق جبل محيط بالدنيا من زمرد اخضر ، فخضرة السماء من ذلك الجبل » ـ الخ . وهو مروى فى البحار للمجلسى وفى البرهان للسيد البحرانى وفى مفتاح الجنان للشيخ البرغانى .

٢ ـ ما فى بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ وفى منتخب البصائر لحسن بن سليمان الحلى : « ان الله تعالى خلق جبلا محيطاً بالدنيا من زبرجد اخضر ، وانما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل » . وهو مروى فى البحار والبرهان والمفتاح ايضاً .

٣ ـ ما فى معانى الأخبار لصدوق المحدثين محمد بن على بن بابويه القمى المتوفى سنة ٣٨١ هـ مسنداً عن الامام الصادق جعفر بن محمد (ع) انه قال فى خبر طويل : « واما ق فهو الجبل المحيط بالأرض ، وخضرة السماء منه ، وبه يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها » . وهو مروى ايضاً فى البحار والبرهان وغيرهما .

٤ ـ مافى الدر المنثور للحافظ السيوطى جلال الدين من ابناء القرن التاسع بسنده عن عبد الرحمن بن بريدة قال : « ق جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنفا السماء » ، وهو مروى فى البحار ايضاً .

٥ ـ ما فى الدر المنثور وفى بحار الأنوار للعلامة المجلسى محمد باقر المتوفى سنة ١١١١ هـ عن مجاهد أنه قال : « ق جبل محيط بالأرض » . ورواه الفيروزآبادى فى القاموس فى مادة (قوف) .

٦ ـ ما فى تفسير على بن ابراهيم القمى ايضاً وفى غيره قال : « قاف جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج . وهو قسم » . ورواه الطريحى ايضاً فى مجمع البحرين فى مادة (قوف) عند تفسير آية ﴿ ق . والقرآن المجيد ﴾ .

٧ ـ ما فى البحار والدر المنثور عن ابن عباس (رض) صاحب النبى (ص) وابن عمه قال : « خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم » .

٨ ـ ما فى مجمع البيان لأمين الاسلام الطبرسى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ عن الضحاك وعكرمة من اصحاب النبى (ص) : « ان قاف اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء وخضرة السماء منها » .

٩ ـ المقطوعة المروية فى البحار وفى كتاب الأقاليم والبلدان : « ان جبل قاف محيط بالأرض كاحاطة بياض العين بسوادها » .

١٠ ـ ما فى باب البلدان من كتاب البحار من جملة مسائل عبد الله بن سلام الاسرائيلى عن النبى (ص) فقال فيما قال : أخبرنى ما بال سماء الدنيا خضراء ؟ قال (ص) : « يابن سلام اخضرت من جبل قاف » ، قال : صدقت يا محمد .

١١ ـ ما فى البحار والدر المنثور عن ابن عباس قال : « خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيط بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له

(قاف) السماء الدنيا مترفرفة عليه ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل ايضاً مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، وهكذا حتى عد سبع ارضين وسبعة أبحر وسبعة اجبل .

١٢ ـ ما فى البحار والدر المنثور ايضاً عن ابن عباس قال : دخل علينا رسول الله (ص) ونحن فى المسجد حلق حلق فقال لنا : فيم انتم ؟ فقلنا : نتفكر فى الشمس . . . الى ان قال (ص) : « ان من وراء قاف سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ، ومن وراء ذلك سبع ارضين يضىء نورنا لأهلها ، ومن وراء ذلك سبعين ألف امة » ـ الخبر .

١٣ ـ ما فى باب الجبل من كتاب البحار عن بعض المفسرين « ان الله تعالى من وراء جبل قاف ارضاً بيضاء كالفضة طولها مسيرة اربعين يوما للشمس » ـ الخبر .

١٤ ـ ما فى تفسير القمى وغيره عن عبد الله بن عباس فى تفسير آية ﴿رب العالمين﴾ قال : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالما وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفة عين قط ، ولم يعرفوا آدم ولا ولده ، وكل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد » .

١٥ ـ ما فى كتاب المختصر (بالضاد المعجمة) وفى البحار ايضا عن الامام الرضا على بن موسى (ع) : « ان لله تعالى خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء ، فبالخضرة منها خضرة السماء » قال الراوى : قلت : وما النطاق ؟ قال : « الحجاب ، ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم اكثر من الجن والانس » وهو مروى فى تفسير البرهان ايضاً .

اقول : وانما ذكرت هذه الرواية فى عداد اخبار جبل قاف مع انه لم يذكر اسمه فيها لأن الصفات المختصة بهذا الجبل قد ذكرت محمولة على موضوع

سمي بالنطاق تارة وبالحجاب اخرى ، مثل كونه من زبرجدة خضراء وكون اخضرار السماء من خضرته ، ومن وجود العوالم المتعددة خلفه ، ولا ينافى ذلك تسميته بجبل قاف ايضا اذكل هذه الأسماء سمات وصفات بعضها اشهر من بعض كما سيتلى .

ولا يبعد ان يكون التعبير عنه بالنطاق اشارة الى كونه محيطا بالأرض ـ كما مر عليك فى الأخبار السالفة . والنطاق والمنطقة الحزم المحيط بخصر المرء.

١٦ ـ ما فى الدر المنثور وغيره عن كعب الأحبار فى قوله تعالى فى سورة ص : ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ انه قال : « حجـــاب من ياقوت اخضر محيط بالخلائق ، فمنه اخضرت السماء الخضراء واخضر البحر من السماء ، فمن ثم يقال البحر الأخضر » .

اقول : والاعتراض الذى اوردته فى الخبر السابق وارد ههنا ايضـا ، كما ان جوابنا عنه هنالك نافع فى هذه الرواية بالطريق الأولى ـ كما لا يخفى .

١٧ ـ ما فى البحار والدر المنثور عن ابن مسعود صاحب النبي (ص) انه قال بمثل مانقلناه عن كعب الأحبار فى الحديث السالف .

١٨ ـ ما فى البحار وكتاب جامع الأخبار المنسوب الى شيخناالصدوق ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن عرض قاف وطوله واستدارته ؟ فقال (ص) : « مسيرة ألف سنة » الى ان قال : « وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب من نور : ذؤابة بالمشرق ، وذؤابة بالمغرب ، والأخرى فى وسط السماء » .

١٩ ـ ما رواه المحدث الفاضل الفيض الكاشانى فى روضـــة الوافى والشيخ الصفار فى بصائر الدرجات بالاسناد عن الامام الباقر محمد بن علي (ع) « ان الله تعالى خلق جبلا محيطا بالدنيامن زبرجد اخضر ، وان خضرة السماء من

ذلك الجبل ، وخلق خلفه خلقا لم يفترض عليهم شيئا مما افترض على خلقه من صلاة وزكاة . . . » .

٢٠ ـ ما رواه المجلسى فى باب العوالم من كتاب البحار عن ابن عباس عن امير المؤمنين على (ع) انه قال : « ان من وراء قاف عالم لايصل اليه احد غيرى ، وانا المحيط بما ورائه وعلى به كعلمى بدنياكم هذه » .

ومعنى « لا يصل اليه احد غيرى » ان فى ذلك العصر لم يكن احد يدرك هذا العلم غيره .

(خاتمة)

قد استفاضت هذه المضامين المروية فى جوامع الحديث ، فلا يضرها ضعف اسانيدها ظاهراً ، ولكن هلم الخطب بغرابتها واستنكار العقول لجملة من ظواهرها ، لجزمها بانتفاء جبل من الصخر يحيط كالحائط بالأرض ويقدر بمسيرة ألف سنة ، وهو بعينه من زبرجد اخضر وتؤثر خضرته فى السماء ، وخلفه كذا وكذا من العوالم والأقوام واشباهاتنا فى اصول الهيئتين (القديمة والجديدة) بل تناقض مقالات السواح والرحالة .

اذن فلا مناص من توجيه الظواهر وتأويلها الى معنى صحيح يتفق مع الفن ويصدقه العيان والبرهان . وقد خطر لى توجيهها الى مثل هذا المعنى لكنه غريب لدى الناظر اليه لأول وهلة . نعم غريب لدى النظر لكن التأمل فى شواهده وفى كمال توافقه مع المضامين المأثورة المذكورة يعطى العلم احياناً بكونه المقصود لدى اصحاب تلك المقالات بطريق الاشارة والرمز .

« الفصل الثاني »

(تسمية جبل قاف)

ذهب البعض الى ان (جبل قاف) هو سلسلة جبال ممتدة من نواحى بحر قزوين - بحيرة خزر - الى سواحل البحر الأسود فى جنوب روسيا وشمال شرقى الأناضول وشمال غربى ايران حيث الأراضى الموسومة بـ (قفقاسية) . ويؤيد هذا الزعم ان كلمة قفقاز او قوقاس منحوتة من لفظ قوه قاف ظاهراً ، واصل هذه كوه قاف ، وهى فارسية معناها جبل قاف .

لكن هذا التفسير على فرض صحته لا يكفل شرح المأثورات الاسلامية التى اوردناها فى الفصل السابق ، ولا ينطبق على هذا الجبل شىء من تلك الصفات التى نحن بصدد شرحها وحلها ، اللهم الا بعض تلك المأثورات كالرواية السادسة .

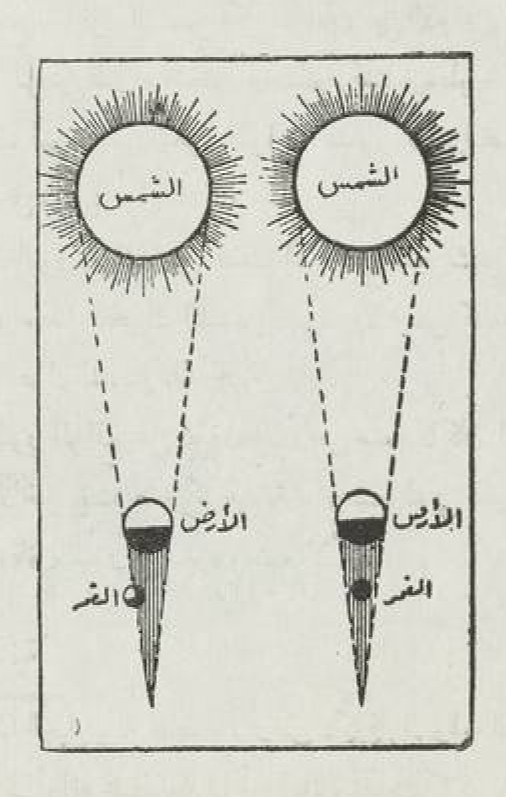
اذن فول ّ وجهك شطر المعنى الذى يتفق مع المضامين المأثورة واوصافها المذكورة ، وهو على غرابته فى بادىء النظر يفتقر الى تمهيد :

انك لو تصورت كرة الأرض مع ظلها الحادث من استتار الشمس خلفها لوجدت الظل شبحاً مظلماً على شكله المخروطى ، قاعدته الوسيعة عند الأرض ورأسه الدقيق نحو السماوات على هيئة جبل عظيم - انظر شكل(١) .

افلا يجوز لك اطلاق اسم الجبل على هذا الشكل المخروطى العظيم على

سبيل المجاز والتشبيه لتمام الشبه بين هذا الظل وبين الجبل في الشـــكل ؟ بلى لاشك من منصف في جوازه ، خصوصاً اذا قامت هناك قرينة لفظية او عقلية.

فيصح بناءاً عليه ان يكون اطلاق الجبل على مخروط ظل الأرض في المقالات الاسلامية من هذا القبيل ، لاسيما وموارد استعماله مقرونة بالقرائن فلا مانع لنا من جهة الصدق العرفي في هذا المقام ، وعليه فلنبحث عن تطبيق تلك العلامات ودلالة هاتيك القرائن والصفات ، وهي عشرة :



(ش - ١) كرة أرضنا ومخروط ظلها المتولد من مقابلة الارض لقرص الشمس وخسوف القمر داخل ظل الارض خسوفاً كلياً وخسوفاً جزئياً .

القرينة الأولى

توصيفه بالقاف حتى صار اسماً له ، وسيأتى ان الأرضين السبع فى كل منها جبل قاف - كما مر فى الرواية الحادية عشرة - فلا يكون اسم قاف علماً شخصياً لشىء كما يظن ، بل يعتبر اسم جنس متكثر الأفراد . ويقرب ما نبتغيه ذكر جبل قاف فى القاموس ومجمع البحرين وغيرهما فى مادة (قوف) بمعنى تبع ، وجوازا خذه من قفى يقفو فهو قاف بمعنى متبع الأثر فى المسير وظل الأرض يتبع اثر نور الشمس بكل سرعة وعلى الدوام .

والشمس ترسل على الدوام اشعتها الى سطح أرضنا وسطوح بقية السيارات فيستنير بها النصف النوعى من الكرة المواجه للشمس ويبقى النصف الآخر فى ظلام - انظر شكل (١) .

ومعلوم ان النور الواقع على نصف الأرض متحرك دائما من المشرق إلى المغرب ، سواء قلنا بتحرك الشمس حول الأرض كالقدماء أو قلنا بتحرك الأرض حول الشمس كالمتأخرين .

فاذا كان النور الواقع على نصف الأرض متحركا كان الظل الحادث منه فى النصف الآخر ايضا متحركا على اثره ومتبعا له فى سيره ، وصدق على هذا الظل انه قاف للنور فى سيره ومتبع لأثره .

القرينة الثانية

وصف هذا الجبل بأنه محيط بالأرض - كما فى الرواية الثالثة والخامسة والثامنة والتاسعة - أوانه محيط بالدنيا أو العالم ونحوه - كما فى الرواية الأولى والثانية والرابعة والسادسة والسابعة والسادسة عشرة والتاسعة عشرة .

ومعلوم ان مرادهم من الدنيا والعالم والخلائق هو هذه الأرض وما

عليها ، وان ظل الأرض محيط بها وبما عليها على التوالى كاحاطة بياض العين بسوادها . فما ألطف هذا التشبيه الوارد فى نص الرواية التاسعة ؟ فى حين انه لا يوجد جبل من الصخر يحيط بالأرض او بالخلائق .

القرينة الثالثة

وصف هذا الجبل بارتفاع عظيم وانه كمسير ألف سنة فى المسافة - على ما فى الرواية الثامنة عشرة - وان السماء الدنيا طرفاها على هذا الجبل - كما فى الرواية الرابعة - مع ان اعظم جبال الأرض ارتفاعاً كجبال هميالا لا تزيد على ثلاثة فراسخ البتة .

لكن ذلك البعد المأثور صالح للانطباق على مخروط ظل الأرض ، اذ طوله عند القدماء يقرب من فلك الزهرة ، وعند المتأخرين يقرب من ثمانمائة ألف ميل ، أى مائتى ألف فرسخ ونحو ستين ألف فرسخ .

وبعد اضافة ابعاد عرضه ومساحة استدارته - كما فى الخبر - يبلغ مسيرة ألف سنة او اكثر ، على ان المسير المأثور مجهول القدر من حيث الآلة والزمان

واما كون السماء الدنيا طرفاها عليه فان فسرت السماء بفلك القمر - كما إرتآه القدماء - فطر فاقوس من فلك القمر ملازم لهذا الظل - انظر شكل (١)

وبعد القمر عند القدماء قريب من اثنين واربعين ألف فرسخ ، وعند المتأخرين قريب من اثنين وستين ألف فرسخ .

وان فسرت السماء الدنيا بما فى (الهيئة والاسلام) فانطباقه يصبح فى غاية الوضوح .

القرينة الرابعة

كون هذا الجبل ذا ذوائب ثلاث من نور : ذؤابة فى المشرق ، وذؤابة فى المغرب ، والأخرى فى وسط السماء - كما فى الرواية الثامنة عشرة .

وهذا الوصف ايضاً لا ينطبق الا على مخروط ظل الأرض ، فان شكله مثلث مستطيل محفوف بالخطوط النورية من كل جهة ، فلا يبرح مستنيراً وجهه الشرقى ووجهه الغربى ورأس مخروطه السماوى اما بنور القمر او من احاطة الأشعة الشمسية ، فيصدق عليه عندئذ انه ذو ذوائب ثلاث من نور - انظر شكل (١) .

ولا يخفى لطافة تشبيه ذلك بالذوائب ، فان الجبال النورية والخطوط الظلامية مسترسلتان كالذوائب من جوانب هذا المخروط ومشتبكتان عليه .

القرينة الخامسة

تشبيه هذا الجبل بالزمردة الخضراء كما فى الرواية الأولى والرابعة والثامنة والثامنة عشرة ، وبالزبرجد الأخضر كما فى الرواية الثانية والخامسة عشرة والتاسعة عشرة ، وبالياقوتة الأخضر كما فى السادسة عشرة والسابعة عشرة

والفطن الخبير اذا اطلع على توصيف الشيء تارة بالزمرد الأخضر واخرى بالزبرجد الأخضر ومرة ثالثة بأنه ياقوت اخضر عرف من ذلك ان المقصود انما هو توصيف ذلك الشيء بخضرة هذه الاعيان المختلفات فى ذواتها والمتحدات فى صفاء الخضرة ، اذ الشيء الواحد لا يكون زمرداً وزبرجداً وياقوتاً فى وقت واحد ، فليس الغرض الا ان جبل قاف فى الخضرة كهذه الخضروات ، لا أنه من نفس هذه الأحجار الثمينة كما يتوهم .

ولقائل ان يقول : سلمنا قصد الخضرة من وصف جبل قاف بالزمرد والزبرجد ، كما سلمنا انطباقه على مخروط ظل الأرض ، لكن هـــذا

المخروط ليس له لون ما حتى يوصف بالخضرة او الحمرة ؟

والجواب عن ذلك : ان العرف يصف الظل بالسواد وبغيره كما يصف النور بالبياض وغيره ، وهذا مما لاشبهة فيه ولا شك يعتريه ، وظل الأرض له باطن شديد الظلام موصوف بالسواد عرفاً ، وهو جزؤه المصادف لأوساط الليل ، وله سطوح ظاهرة هى اوائل الظل المشتبك ظلامها بالضياء وهذه اشبه بأن تكون خضراء لأن لون الخضرة متوسط بين السوادوالبياض أو مزيج النور والظلام .

ولا يخفى ان العبرة فى لون الأشياء انما هى بسطوحها الظاهرة دون البواطن ، فان الزنجى اسود والرومى ابيض باعتبار ألوانهما الظاهرة ، فعليه اصبح سائغاً وصف الظل بالخضرة والزرقة ونحوهما باعتبار ما يتراءى من اطراف ظل الأرض المختلط فيها بياض النور بسواد الظلام .

ويتأيد هذا المعنى بشاهد لفظى مذكور فى الرواية الثامنة عشرة وهو : ان جبل قاف « زجة من زمردة خضراء » والزج فى اللغة طرف الشيء ، فيتفق مع تفسيرنا المذكور .

القرينة السادسة

ان السماء خضرتها من خضرة ذلك الجبل كما فى الرواية الأولى والثانية والثالثةوالثامنة والعاشرةوالخامسةعشرةوالسادسةعشرةوالسابعةعشرةوالتاسعة عشرة . وهذا الأمر انما يستغرب ان اخذت لفظة (من) الجارة نشوية فيكون المعنى بناءاً عليه ان خضرة السماء ناشئة من خضرة هـذا الجبل ، فلا ينطبق حينئذ على الظل . واما ان اخذناها جنسية انطبق على الظل ويكون المعنى ان خضرة السماء من جنس خضرة الظل ، كما يقال : « الزنجى من البشر »

اى من جنس البشر ومن صنفهم وكما تقول : « ان الزهرة من السيارات » اى من جنسها .

وهذا معنى صحيح يأتلف به ظاهر ألفاظ الأخبار ، اذ الخضرة الظاهرة فى جهة السماء انما هى من جهة ان الأنوار المنعكسة عن الأرض تختلط مع الظلمة المستوطنة فوق الهواء وفى موضع التعادل بين المختلطين يحصل لون متوسط بين قوة النور وبين قوة الظلمة ، وسبق فى القرينة الخامسة ان اوائل الظل اشبه بالخضرة والزرقة اللازوردية .

ويؤيد ما ندعيه كلام العلامة المحقق فيلسوف الاسلام نصير الدين الطوسى المتوفى سنة ٦٧٢ ه فى كتابه (التذكرة) وخلاصته : « ان الحكماء قالوا : ان الزرقة التى يظن الناس انها لون السماء تظهر فى كرة البخار ، لأنه لما كان ألطف اجزاء البخار اعلى واكثفه الاسفل كانت اجزاؤه القريبة منا انوار ، اذ انعكاس النور من الأكثف اشد ومن الألطف اقل ، فصار بذلك الطبقات العليا من الهواء اظلم من الطبقات السافلة ، فيرى الناظر فى كرة البخار لوناً متوسطاً بين الظلام والضياء ، وهو اللون اللاجوردى » ـ الخ .

فاذا ثبت ان خضرة السماء اللازوردية انما هى اختلاط النور والظلام فى طبقات الهواء الوسطى ، كما ثبت ان اوائل الظل المخروطى لازوردية اللون وانها حادثة من اختلاط النور والظلمة وتعادلها ، يثبت جلياً ان خضرة السماء من جنس خضرة ظل الأرض ومن قبيلها .

واما خضرة لون البحر (كما تشير اليهما الرواية السادسة عشرة) فهى ايضاً من اختلاط النور النافذة فى الماء مع الظلمة المستوطنة فى قعر البحر ، فكلما بعد النور من سطح الماء غلبت عليه الظلمة ، فيحصل عند اعتدال النور والظلام لون متوسط اخضر كما سبق . وهذا هو السر فى ان البحار العميقة يضرب

لونها إلى السواء ، فاذا اغترفت من مائها غرفة ذهب عنه سواده في يديك . فظهر ان خضرة البحار من قبيل خضرة السماء ، وكلاهما من قبيل خضرة ظل الارض .

اما قوله في الرواية السادسة عشرة : « حتى توارت بالحجاب » فضمير التأنيث راجع إلى الشمس عند اكثر المفسرين ، وصدق الحجاب مجازاً على ظل الأرض متناسب جداً ، لأن الحجاب يستر المرئيات عن الناظرين وظل الأرض - وهو الليل - يستر المرئيات ايضاً عن الابصار اشد استتاراً ، وتوارى الشمس بظل الأرض ايضاً ظاهر ، اى توارت الشمس واختفت بسبب الحجاب وظهور مخروط ظل الأرض .

وهذا الوصف لجبل قاف الذى لا ينطبق الا على ظل الأرض قابل لأن يكون مستقلا عن الأوصاف العشرة . واما بقية الفقرات فيؤخذ شرحها مما قدمناه .

القرينة السابعة

ان من خلف جبل قاف بحار سبعة يفصل كل بحر ارضا عن أرض من الأرضين السبع كما في الرواية الحادية عشرة والثانية عشرة وغيرهما ، ولا ينطبق هذا الوصف ابداً الا على ظل الأرض سواء حملنا الأرضين السبع على الأقاليم كما هو رأى جماعة او حملناها على طبقات الأرض المتداخلة كما عليه الآخرون ، اذ ليس فيما بين الأقاليم بحار سبعة يفصل كل منها ارضاً عن ارض ، وليس في الأرض بحر مسافته خمسمائة عام كما تشير اليه الرواية الثانية عشرة ، مع ان حصر الأقاليم الأرضية فرضى غير حقيق . وليس ايضاً بين اطباق الأرض بحار فواصل ولا جبال بوارز مع ان الطبقات الأرضية ثلاث عند القدماء وغير محصورة عند المتأخرين .

فاذا لم يتم التفسير بالأقاليم ولا بالطبقات ونحوهما فالأقرب ما حققناه

بدلالة الآيات والروايات فى ابواب الأرضين والسماوات من كتاب (الهيئة والاسلام) ، وتفسير البحار السبعة بالبحار السماوية المتكرر ذكرها فى الأحاديث الشريفة ، وموجز ذلك :

إن السيارات السبع - حسب ما حققه الفلكيون المتأخرون - اجرامها اراضى ذات وهاد وانجاد وانهار وجبال مثل ارضنا هذه ، فتصدق عليهن كلمة (الأرضين السبع) صدقاً حقيقياً ، وصرح بذلك الامام الرضا على بن موسى عليه السلام فى رواية الحسين بن خالد ، ولكل كرة من هذه الأرضين ظل مخروطى يحدث وراءها من مقابلة الشمس لها ويدور حولها على شاكلة ظل الأرض - كما سنبينه فى القرينة الثامنة .

والفضاء المتوسط بين سيار وسيار - أو بالاحرى بين مدار ومدار - مواج بسيال شفاف اثيرى يسمى (اتر) فيشبه البحر الهائج (١) وينقسم الى سبعة ابحر بسبب انقسام مدارات السيارات إلى ثمانية ، فالفواصل السبع بين هذه

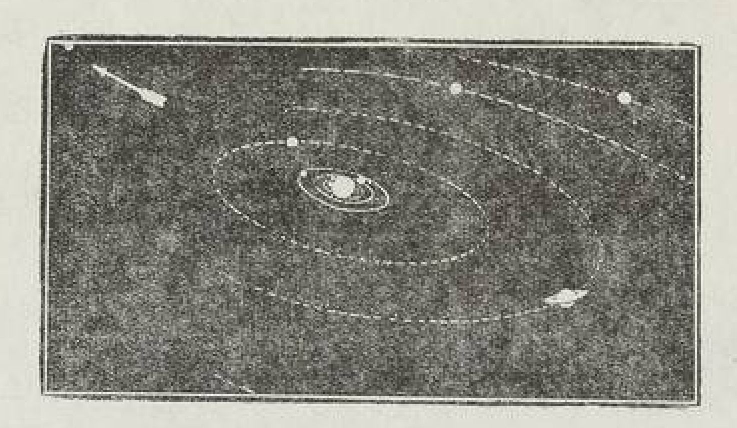
---

(١) ويؤكد تشبيه ذلك بالبحار امران ، هما :

١ - عظمة الطول والعرض والعمق للفضاء المتوسط بين مدار ومدار ، حتى ان اقل البعد من اقربها عدة ملايين من الفراسخ .

٢ - ان الكرات السيارة لابد لكل منها من ظل مستطيل يحدث خلفه بسبب وقوع نور الشمس على نصفها ، فيكون كل من الكرات الكبيرة والصغيرة شبيهاً بالسمك الطويل ، رأسه الجرم البيضوى لكرة والبدن ظلها المستطيل المشبك سطحه من اختلاط النور والظلام - انظر شكل - (١)

فلا تحسب المتخيلة إذا صادفت هذه الاشباح جارية فى الجو الاصور اسماك وحيتان صغار وكبار تسبح فى بحر الفضاء . فيحصل بهذه الملاحظة مشابهة تامة بين مجارى هذه السيارات وبين البحار .



(ش - ٢) مجارى الأفلاك بحسب الهيئة الجديدة

المدارات الثمان يصح تسميتها بحاراً سبعة حسبما نوضحه لك قريباً - انظر شكل (٢) .

فبناءاً على مشابهة السيارات السبع مع ارضنا فى ظلالها وبقية احوالها وانقسام افلاكها إلى مدارات ثمان اولها لعطارد واخرها لنبتون تكون الأبحر السماوية بين الأفلاك سبعة (١) وتكون الأرضين سبعاً كما قال فى الرواية

(١) ويؤيد توجيه البحار السماوية بالمجارى المتوسطة بين مدارات النجوم امور هى :

أ - توصيف تحرك السيارات بالسباحة فى الآيات والروايات كما قال تعالى فى سورة يس : ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾ وقال الامام الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام : « ومن تدبير النجوم التى تسبح فى الفلك » . وقد اثبتنا —

الحادية عشرة : « حتى عد سبع ارضين وسبعة ابحر وسبعة اجبـــل » وكما قال ﷺ فى الرواية الثانية عشرة : « ان وراء قاف (يعنى ظل ارضنا) سبعة بحار كل بحر خمسمائة عام ، ومن وراء ذلك سبع ارضين (يعنى السيارات السبع) يضيء نورنا لأهلها » ـ الخ .

ويعنى من قوله : « يضيء نورنا لأهلها » ان شمسنا مضيئة على اهالى تلك الأرضين .

القرينة الثامنة

تعدد جبل قاف وانه متكثر الأفراد فى عالمنـــا وان كان منفرداً فى ارضنا خاصة ، ويظهر ذلك من الرواية الحادية عشرة ، فان الظاهر منها

ـ بدلالات شرعية فى كتاب الهيئة والاسلام ان الفلك فى عرف الشرع هو مجرى السيار ومداره ، فوصف السيارات بالسباحة تناسب ملاحظة مجاريها فى الفضاء كالبحار حتى تكون تحركاتها فى ذلك الفضاء سباحة .

ب ـ تحديد اعماق هـذه البحار فى بعض الأخبار بمسيرة خمسمائة عام كالمروى فى توحيد الصدوق وفى بحار شيخنا المجلسى وغيرهما بسند قوى ان رسول الله ﷺ قال : « ان فى السماوات السبع لبحاراً عمق احدها مسيرة خمسمائة عام » . وهذه المسافة قد وردت متكررة فى تحديد ما بين الأرضين السبع ، أى من كل سيار الى كل سيار وفى تحديد ما بين السماوات السبع ، اى من سماء سيارة الى سماء سيارة اخرى ـ على ما شرح فى الهيئة والاسلام . فيدل المجموع على المطلوب .

ج ـ تصريح اخبار اخر بوجود بحار من نور فى السماوات تتلألأ انوارها ، كذلك الفضاء المتوسط بين المدارات ممتلىء من الأنوار المتلألئة وأى نور حسي اقوى منها واهم ؟!

تعداد سبع ارضين ومع كل ارض بحر محيط بها وجبل فيها اسمه (قاف) أو بالأحرى سمته وصفته نظراً الى متابعة الظـــل للنور فى سيره واقتفائه لأثره.

وهذا المعنى الغريب الذى كان يعد من الأسرار الغامضة يتضح بعد الاطلاع على الكشفيات الجديدة فى فن الفلك فان كلا من السيارات السبع ارض كأرضنا ولكل منها ظل مخروطى الشكل شبيه بالجبل كالموجود فى ارضنا ، ويحيط ذلك الجبل بتلك الأرض احاطة بياض العين بسوادها ، وكل سيارة منها تجرى فى بحر مواج سيال شفاف اثيرى يسمى (اتر) عند الافرنج ، وهو الحامل لاهتزازات دقائق النور والكهربائية.

ويتضح امر هذه القرينة بما اوضحناه فى القرينة السابعة ، كما انه يتضح تسمية كل ظل من الظلال المخروطية للسيارات بجبل قاف بما شرحناه فى القرينة الاولى

القرينة التاسعة

ان من وراء جبل قاف ارضاً بيضاء كالفضة طولها مسيرة اربعين يوما للشمس كما فى الرواية الثالثة عشرة . ومعلوم ان هذا لا يتجه اذا حملنا جبل قاف على الجبال الحجرية البارزة على متن الأرض .

وقبل العلم بالكشفيات الأخيرة فى علم الفلك فسرت هذا الحديث بأن الرواية تشير إلى الأراضى القطبية ونواحيها التى هى مغمورة تحت الثلوج وترى بيضاء على الدوام كالفضة او اشد بياضاً وهى المسماة بـ(المنطقة المتجمدة).

وبما ان العرب عرفوا البلاد القوقاسية وأن الاراضى البيضاء بالثلوج واقعة فى شمالى تلك البلاد صح اخبارهم بأن من وراء جبل قاف ارضا بيضاء كالفضة . الخ .

وكنا نفسر جبل قاف بجبال القوقاس ، ونفسر « مسيرة الشمس فيها اربعين يوماً » بظهور الشمس فى المناطق المتجمدة نحو شهرين أو اكثر من جملة ايام السنة . فى حين ان الرواية تتضمن ما يبعد هذا التفسير ، فان قوله « طولها مسيرة اربعين يوماً للشمس » لا ينطبق على أى قطعة فى مناطق الارض

وعليه فالاقرب تأويل هذه الارض البيضاء بأرض (عطارد) فان جرمها من شدة القرب الى قرص الشمس مضىء اشد الاضاءة ، حتى ان حرارة الشمس على كرة هذا السيار يقاس بثمانية امثال حرارتها فى ارضنا ، ودرجة الضوء تقاس فى عطارد بأكثر من هذا المقياس جداً ، فيناسب قوة الضوء فيها تمثيلها بالفضة المجلوة والتعبير عنها بالارض البيضاء

ولا يخفى ان ارض عطارد واقعة من وراء ظل ارضنا المخروطى اثناء النهار كما هى واقعة تجاهنا ليلا ، فيصح على تفسير جبل قاف بظل الارض قوله : « ان من وراء جبل قاف ارضا بيضاء كالفضة المجلوة »

فان سألتم بعد هذا عن تفسير قوله : « طولها مسيرة اربعين يوماً للشمس » اجبناكم أن الفلكيين المتأخرين ضبطوا الحركة السنوية لسيارة عطارد بمدة ثمانين يوماً وبضعة ايام ، فهى فى نصف هذه المدة مستضيئة بضياء الشمس فترى بيضاء وفى نصفها الآخر مظلمة بالظل المخروطى الحادث فيها ، ونصف المدة المذكورة يكون اربعين يوماً بالتقريب .

ولى تأويل ثالث للرواية المذكورة مبنى على صحة ما ادعاه بعض الفلكين فى استكشافه سنة ١٢٦٤ ﻫ سنة ١٨٤٦ م سيارة جديدة اقرب إلى قرص الشمس من سيارة عطارد وسموها (فلكان) فان شدة استضاءتها من الشمس جعلتها مشتعلة فى منظر الرائى كالبركان المنفجر ، فأرضها اشد بياضاً من عطارد واقرب إلى تفسير الرواية بها لو تم امرها ، إذ انها تبعد عن قرص الشمس

سبع درجات من الفلك فى حين ان عطارد تبعد ثمانى وعشرين درجة تقريباً ، وقد شرحت انطباق حركتها السنوى على قوله : « طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس » فى الهيئة والاسلام .

وتوجد آثار نبوية اخرى تشير أى هذه الأرض البيضاء أوردها شيخنا المجلسى فى السماء والعالم من كتاب البحار ، فروى عن مناقب الشيخ رجب البرسى المؤلف سنة ٨٠٠ هجـ وعن مصباح الكفعمى من علمائنا فى القرن التاسع الهجرى بالاسناد عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال له جبرئيل فى حديث طويل : « والذى بعثك بالحق نبياً ان خلف المغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق الله » الى ان قال الامام : « ومسير الشمس فى بلادهم أربعون يوماً » ـ الخ .

وروى عن السيوطى فى الدر المنثور عن بعض أئمة الكوفة ـ والظاهر انه جعفر بن محمد عليه السلام ـ قال : قام ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ـ يعنى احتراماً له ـ فقصد النبى نحوهم فسكتوا فقال صلى الله عليه وآله : ما كنتم تقولون ؟ قالوا : نظرنا الى الشمس فتفكرنا فيها من اين تجيء وان تذهب ؟ وتفكرنا فى خلق الله تعالى . فقال النبى صلى الله عليه وآله : « كذلك فافعلوا ، تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله تعالى ، فان لله تعالى وراء المغرب أرضاً بيضاء ونورها مسيرة الشمس أربعين يوماً فيها خلق من خلق الله تعالى » .

وان أبيتم من حمل هذين الخبرين على سيارة فلكان أو عطارد الواقعتين من جهة مغرب أرضنا نهاراً فاتخذوا الخبرين نبأ غيبياً عن أراضى أمريكا المكتشفة سنة ١٤٧٦ م الواقعة خلف مغربنا تماماً .

القرينة العاشرة

ان من وراء جبل قاف خلائق أو عوالم كثيرة لايعرفون آدم ولاولده وكل عالم منهم اكثر من ثلاثمائة أمثال آدم وماولد كما فى الرواية الرابعة عشرة والخامسة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين .

ويستدعى توضيح الموضوع من مجموع ذلك أبحاثاً خمسة :

(البحث الأول) ان الجمل المذكورة فى هـذه الأحاديث لاتنطبق على الجبال الصخرية فى أرضنا كجبال القوقاس ، اذ ليس من وراء هذه الجبال بحار سبعة ولا سبعون ألف امة ولا أقوام لايعصون الله أولم يفترض عليهم الصلاة والزكاة ، كما انه ليس من ورائها مئآت العوالم التى يزيد واحدها عن آدم بأكثر من ثلاثمائة مرة .

والعالم يفسر عند أعلام اللغة كالفيروزآبادى فى قاموسه بأنه الخلق كله، أو ماحواه بطن الفلك ، أو انه مجموعة الكائنات والأمم ، وعلى هذا يعود من المحتم فرض أمثال هذه العوالم خارج أرضنا هذه .

(البحث الثانى) اذا أبت الروايات الأربع حمل جبل قاف على الجبال الصخرية الأرضية وجهناك نحو التاويل الذى شرحناه، وتقريبه ان الظل المخروطى لأرضنا الممتد الى ماوراء فلك القمر (انظر شكل - ١) يوجد من ورائه وخلف البحار السبعة (١) اعنى ماوراء مجارى السيارات السبع (انظر شكل - ٢) عوالم

---

(١) قد سبق فى القرينة السابعة ذكر البحار السبعة السماوية وانها من وراء جبل قاف مستشهدين على ذلك بالروايتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وقد نبهنا هذا البحث المهم على ان الرواية الرابعة عشرة مؤيدة أيضاً لتلكما الروايتين ، اذ انها تصرح بوجود البحار السبعة من وراء جبل قاف ، وماهى—

وسيعة الأكناف ذوات شموس كشمسنا هذه . وحول كل شمس سيارات كثيرة كبيرة تدور كل مجموعة منها حول شمسها المتمركزة فى الوسط على هيئة أفلاك شمسنا هذه ، وتلك الكرات القصية عنا لا تخلو من مخلوقات لربنا سبحانه هى أحياء عاقلة على شاكلة احياء أرضنا أو ارقى مما يعبدون الله تعالى ولا يعصونه ما أمرهم به وهم بأمره يعملون .

ونظراً الى افتراض الشموس وسياراتها الكثيرة الكبيرة لا يبعد أن تشتمل على سبعين ألف امة أوما يزيد عددهم على الجن والانس ، أو ان تعد عوالمهم مئات العوالم بل ألوفا ولا يستبعد أن يكون الواحد منها مشتملا على اكثر مما ولده آدم بثلاثمائة مرة أو اكثر ، فتنطبق الروايات والمأثورات الاسلامية على هذا الوجه القريب .

(البحث الثالث) ان اصول الهيئة الجديدة المؤيدة والكشفيات الأخيرة حملت عامة الفلكيين على القول بوجود عوالم من جنس عالمنا الحيوانى وأنظمة شبيهة بنظامنا الشمسى وكائنات مثل كائنات أرضنا من وراء ظلها المخروطى .

وبيان ذلك على سبيل الاجمال : ان الكواكب المحسوسة بأعيننا قد لا يزيد عددها على ثلاثة آلاف كوكب ، وهى منقسمة على اقدار ستة حسب اختلاف تلألئها وتفاوت درجاتها فى التشعشع ، فأظهرهن كالشعرى من القدر الأول واخفاهن كالسهى من القدر السادس .

وأما النظارات الفلكية (تلسكوب) أى دور بين فمن حينما اخترعها (غاليله) المتوفى سنة ١٦٤٢ م الى ان تكاملت فى عصرنا الحاضر قامت ـ والحق يقال ـ بكشف ما يدهش العقول من أسرار السماوات وعوالمها المستورة

ـ الا البحار السماوية التى مر تفسيرها بأوضح بيان ، وأصبح بذلك مجرانا فى تأويل الأحاديث يقوى بعضه بعضا .

فأصبحت بفضلها الكواكب تعد اليوم بأكثر من مائة وأربعين مليوناً ، ولا يخضع منها للدوران حول شمسنا هذه الا ثمانية نجوم تسمى السيارات ،وهذه السيارات ثابت بالاتفاق لديهم كونها أراضى ذات وهاد وروابى وأنهار وأقمار على شاكلة الأرض التى نحن عليها .

وأما بقية الكواكب ـ وتسمى الثوابت ـ فقد أجمع الفلكيون فى عصرنا على انها شموس كشمسنا هذه أو اكبر . ولكن البعد السحيق الفاصل بينهن وبين مركزنا يصغر منظرهن الى حد قد يسترهن عن الأبصار ، فالذنب للعين لا للنجم فى الصغر .

وحسبك ان اقرب هذه الكواكب الثوابت الينا نجمة تسمى (دلفا) يصل نورها الى أعيننا فى مدة ثلاث سنوات ، فى حين ان النور يسرى فى كل ثانية زهاء ستين ألف فرسخ ، ولا توجد حركة ما أسرع من حركة النور ، فكم يكون بعد هذا الكوكب عنا ياترى ؟ ! يكون بعده عن مدار نبتون نحو ستة ملايين مليوناً من الفراسخ ، فى حين ان مدار نبتون يبعد عن مركز شمسنا اكثر من تسعمائة مليون فرسخاً .

فهل يجوز العقل وصول نور شمسنا الى نجمة دلفا حتى يضيئها ويضيء ماهو أبعد منها ؟ كلا ثم كلا . لأن شمسنا العظيمة التى هى أكبر من أرضنا بمليون وأربعمائة ألف مرة قد صغرت فى أعيننا ، فنرى قرصها نحو شبر بسبب بعدها عنا نحو ثلاثين مليوناً من الفراسخ ، فاذا صار بعد الشمس عن مدار نبتون ثلاثين مرة مثل بعدها عن أرضنا صغر بالضرورة منظرها فى مدار نبتون لحد يجعلها كحمصة أو كنجمة فى بادىء النظر .

فشمسنا التى صغرت على عظمتها عند مدار نبتون لهذا الحد المدهش كم يكون ليت شعرى قدرها ونورها فى حدود دلفا التى تبعد عن مدار نبتون نحو

ستة آلاف مرة مثل البعد الذى بين مدار نبتون ومركز الشمس ؟ أجل يتلاشى نورها فى أثناء المسافة ، فلا يمكن أن يستفيد جرم دلفا من نور شمسنا أو من حرها شيئا ما .

ولا بد حينئذ من تصديقنا باستقلال نجمة دلفا بنفسها فى نورها ونارها فتكون شمسا كشمسنا هذه فى الانارة والادارة .

وإذا صح القول فى نجمة دلفا وتم استقلالها من بين الثوابت كان غيرها من الكواكب الثابتة أولى منها بهذا الأمر وأحق ، اذ المسافة بين الشمس والثوابت الأخر أبعد وأبعد ثم أبعد . فان النور من نجمة دلفا يصل الى أرضنا فى نحو ثلاث سنوات ، ويصل النور من بعضهن (كالشعرى) الينا نحو عشرين سنة ، ويصل النور من البعض الآخر (كنجمة الجدى القطبية) نحو خمسين سنة وفى السماء نجوم يصل نورها الينا فى خمسة آلاف سنة ، فكم تكون المسافة - ياترى - بين هذه النجوم وبين شمسنا ، وكم يكون القدر المضروب لمثل هذه الكواكب ؟ وهل يجوز مع ذلك دعوى استفادة الكواكب طرا أشعتها وأضواءها من شمسنا هذه كما زعمه الأقدمون ؟ كلا !

فلو صحت من الفلكيين هذى الدعاوى التى يستندون فى اثباتها على أدواتهم الدقيقة وآلاتهم الحديثة لزم أن يكون الكون ظرفا لشموس تفوق الحد والحصر ، وان تكون شمسنا العظيمة هذه حقيرة جدا فى جنب تلك الشموس بتمام معنى الكلمة .

وعليه يستبعد العقل من خالقنا الحكيم جل شأنه أن يترك هاتيك الشموس مسلوبة الفوائد غير مربوطة بنظام وأحكام ليس فى حضانتها أراضى مأهولة بالأحياء ، وقد قامت ضجة فى الفلكيين ولا تزال حتى اليوم قائمة على ان المريخ والمشترى وزميلات لهما من سيارات شمسنا مأهولة بالأحياء ومسكونة

من قبل اناس متقدمين فى التمدن والحضارة .

وقد أوردنا كلمات القوم ومؤيداتهم فى بحث السيارات المسكونة من كتاب الهيئة والاسلام ، وذكرنا المأثورات الاسلامية التى تنص على وجود الحيوان والانسان فى الكرات السماوية .

فالخالق الحكيم الذى لم يهمل فوائد شمسنا هذه الحقيرة ولم يدع مواهبها ضائعة فى الفضاء حتى أوجد منها ولها السيارات والمدارات ، ولم يترك أراضى السيارات سدى وعبثاً حتى أوجد فيها ومنها المواليد والأشجار النامية وأجرى لها وعليها الأنهار والأقمار ، وأسكنها أنواعاً من الحيوان والانسان متنعمين بجوده ومترنمين بآيات مجده ، كيف يعقل أن يترك سبحانه مئات الملايين من شموس هذا الكون الوسيع مهملة ضائعة لايستفاد من مواهبها وقواها . وفيهن آلاف الألوف من الشموس التى هى أعظم من شمسنا وأعظم ثم أعظم ؟!

لذلك لانستبعد ماجاء فى مشهد الكائنات من كشف سيارة لبعض الكواكب الثابتة فى برج السنبلة سموها (أونوريا) وهى نجمة من القدر الثانى عشر ، كما لانستبعد ماادعاه فلكس ورنه الفرنسى من اكتشافهم سيارة حول كوكب الشعرى ، وما قرع من السمع من هذا القبيل .

(البحث الرابع) ـ قد عرفت الرأى السائد بين الفلكيين فى العصور الأخيرة واتخاذهم الكواكب الثابتة شموساً مستقلة كشمسنا فى انارتها وادارتها ومركزيتها لسياراتها ومداراتها وان السيارات طراً أراضى كأرضنا هذه مسكونة أو انها صالحة لسكنى الأحياء ، فاعرف الآن عن نبى الاسلام والأئمة من آله ـ عليه وعليهم السلام ـ اشاراتهم وعباراتهم الناطقة بوجود عوالم مأهولة بالأحياء خارج أرضنا هذه ، وانها لاتنطبق الا على كائنات الكرات السماوية ، سواء كانت فى حضانة شمسنا هذه أو فى حضانة الشموس الأخرى

التى ذكرناها . ونخص من بينها أخباراً ستة :

أ ـ المروى فى أبواب السماء والعالم من كتاب بحار الأنوار للشيخ المجلسى المتوفى سنة ١١١١ هج بالسند القوى الى الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : « ان لله عز وجل اثنى عشر ألف عالم ، كل عالم منهم اكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ، مايرى عالم منهم ان لله عز وجل عالماً غيرهم » .

فقد دل على أن فى الكون عوالم تنوف على الألوف كل عالم منها عبارة عن سماوات وأرضين وأكبر من عالمنا المؤلف من سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ، ويشير الى اشتمالها على الأحياء العاقلة التى لاتعرف عن عالمنا خبراً ولا أثرا .

ب ـ المروى فى البحار وفى فرج المهموم للسيد بن طاوس المتوفى سنة ٦٦٤ هج بسنده عن الامام السجاد على بن الحسين السبط (ع) انه قال لمنجم : « هل أدلك على رجل قد مر منذ دخلت علينا فى أربعة آلاف عالم ؟ » .

ج ـ المروى فى كتاب الشيخ ابى الليث السمرقندى وفى كتاب متشابه القرآن لمحمد بن شهراشوب المتوفى سنة ٥٨٨ هج عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : « ان لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد » .

د ـ المروى فى الكافى للشيخ الكلينى المتوفى سنة ٣٢٩ هج بسنده عن أبى حمزة الثمالى قال : قال لى أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام ليلة وأنا عنده ونظر الى السماء فقال : « هذه قبة أبينا آدم ، وان لله عز وجل سواها تسع وثلاثين قبة فيها خلق ماعصوا الله طرفة عين » .

هـ ـ المروى فى البحار وفى فرج المهموم وفى كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسى من علماء القرن الخامس الهجرى مسنداً الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام انه قال لسرسفيل الدهقان المنجم : « فى البارحة سعد سبعون ألف

عالم ، وولد فى كل عالم سبعون ألفاً ، والليلة يموت مثلهم » .

د ـ المروى فى البحار وفى كتاب التوحيد للشيخ الصدوق محمد بن بابويه المتوفى سنة ٣٨١ هـ بسنده عن جابر الأنصارى الصحابى ان الامام الباقر محمد ابن على عليهما السلام قال له : « ولعلك ترى ان الله تعالى انما خلق هذا العالم الواحد ، أو ترى أن الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم ، بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، وأنتم فى آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين » .

وهذا الخبر المقدس صريح فى المطلوب ، كما أن المأثورات السابقة عليه لاتقصر عنه فى الصراحة ، وقد شرحناها وعززناها بأمثالها فى مبحث تعدد العوالم من كتاب الهيئة والاسلام ، وذكرنا ان اختلاف أعدادها عند الاخبار عنها محمول على رعاية أفكار السائلين ومقدار تحمل عقولهم ، عملا بالحديث الشريف النبوى القائل : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » .

وبالجملة فهذه مأثورات إسلامية تؤيد كل التأييد علماء الفلك المتأخرين فى عقيدتهم بكثرة الكرات المأهولة فى السماوات ، ولو صحت آراؤهم هذه لأضحت هذه المأثورات الثابتة عن أئمة الاسلام براهين ساطعة على صحة هذا الدين القويم وصدق نبيه العظيم بل لا أجد اليوم برهاناً أقوى دلالة منها على قداسة نبينا الأمين وقداسة الأئمة من آله الطاهرين ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ وان نفوسهم القدسية كانت مربوطة بالعوالم الغيبية ومستمدة من الأسرار الربوبية .

(البحث الخامس) اذا ترجح لدى الناظر ماأوردناها من آراء الفلكيين

بشأن الكرات السماوية المأهولة بالأحياء وكثرة هاتيك العوالم خارج أرضنا ، تلك الآراء المعززة بظواهر الأحاديث الشريفة تسنى له ان يفسر المأثورات الاسلامية الواردة فى جبل قاف والعوالم التى من ورائه ، فان قوله فى الرواية الرابعة عشرة : « ان الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالماً وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله تعالى طرفة عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده كل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاث عشر مثل آدم وما ولد » يفسر منه جبل قاف بهيئة ظل الكرة الأرضية المخروط الشبية بالجبل - انظر شكل (١) وما ذكرناه فى الفصل الثانى .

وأما البحار السبعة التى هى خلف قاف فهى المجارى المتوسطة بين مدارات السيارات المواجة بالسيال الأثيرى - انظر شكل (٢) وما فى القرينة السابعة .

وتفسير المئات من العوالم فيه بوضعيات الخلائق الكائنة فى الكرات خارج نظامنا الشمسى - كما شرحناه فى البحث الثالث .

وكذلك القول فى تفسير الرواية التاسعة عشرة ، فتنطبق الروايتان على ما ارتأيناه فى جبل قاف ويكون قرينة عليه .

وما قوله فى الرواية الخامسة عشرة : « ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم عددهم اكثر من الجن والانس » فمفسر أيضاً بعوالم المخلوقات خارج أرضنا ، وقد فصلنا عنها المقال .

فظهر ولله الحمد - بعد التأمل فى القرائن العشر - ترجيح تفسيرنا لجبل قاف على بقية المحتملات فيه ، وأضحى بفضل شروحنا الوافية وتحقيقاتنا المهمة هذا الرمز الغريب أو اللغز العجيب جلياً أمره كبقية الرموز والأسرار الدينية التى كشفنا الاستار عنها فى هذا الكتاب ، بعد ما لبثت تحت ستار الغموض

ثلاثة عشر قرناً ، وأضحت فى مثل هذا اليوم هى البراهين الوحيدة لاثبات صدق النبي الأمين وصحة مذهب الأئمة من أهل بيته الطاهرين الذين اختصوا بعلومه وأسراره كما اختص جدهم النبي بالوحى المبين ، فعليه وعليهم أفضل الصلات والتحيات .

فهرس تفصيلي

(مقدمات الكتاب)

(المسألة الاولى)

(المسألة الثانية)

(المسألة الثالثة)

(المسألة الرابعة)

(المسألة الخامسة)

(المسألة السادسة)

(المسألة السابعة)

(المسألة الثامنة)

(المسألة التاسعة)

(المسألة العاشرة)

(المسألة الحادية عشر)

(المسألة الثانية عشر)

(المسألة الثالثة عشر)

(المسألة الرابعة عشر)

(خاتمة الكتاب)

(رسالة جبل قاف)

فهرس الاشكال والصور

سيصدر قريباً

مكتبات النجف الاشرف
ومختصر من تاريخها

بقلم
السيد أحمد الحسيني

